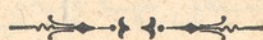
كتاب

نور اليقين في سيرة سيد المرسلين



لمؤلفه

« محمد الخضري »

﴿ الحائز شهادة التدريس من مدرسة دار العلوم الخديوية ﴾

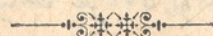
(والمدرس بمدرسة القضاء الشرعي)

« بمصر »



حقوق الطبع محفوظة لمؤلفه

سنة ١٣٢٦



« طبعة ثالثة »

يطلب من مكتبة المؤيد بشارع محمد علي بمصر

مطبعة المعارف باول شارع الفجالة

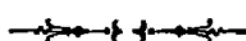
اهداءات ٢٠٠٢

د/ محمد عبد الفتاح الغمراوى

الاسكندرية

كتاب

نور اليقين في سيرة سيد المرسلين



لمؤلفه

« محمد الخضري »

﴿ الحائز شهادة التدريس من مدرسة دار العلوم الخديوية ﴾

(والمدرس بمدرسة القضاء الشرعي)

« بمصر »



حقوق الطبع محفوظة لمؤلفه

سنة ١٣٢٦

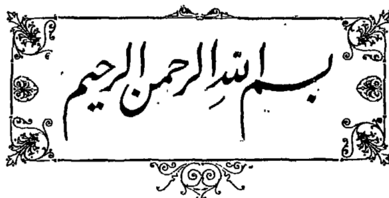


« طبعة ثالثة »

يطلب من مكتبة المؤيد بشارع محمد علي بمصر



مطبعة المعارف بأول شارع الفجالة



نحمدك يامن اوضحت لنا سبل الهداية . وازحت عن بصائرنا غشاوة الغواية . ونصلي ونسلم على من أرسلته شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً وعلى الاصحاب الذين هجروا الاوطان . يبتغون من الله الفضل والرضوان . والانصار الذين آووا ونصروا . و بذلوا لاعزاز الدين ما جمعوا وما ادخروا (اما بعد) فيقول محمد الخضري ابن المرحوم الشيخ عفيفي الباجوري كنت أجد من نفسي منذ النشأة الاولى ارتياحاً لقراءة تواريخ السالفين وقصص الغابرين وأجدها لعقل الانسان أحسن مهذّب وانصح معلم . وكنت أرى في تاريخ نبينا عليه الصلاة والسلام وما لقيه من أذى قومه حينما دعاهم الى الحق وعظيم صبره حتى هجر أوطانه و بلاده اعظم مربّ لافكار المسلمين فانه يدلهم على ما يجب اتباعه وما يلزم اجتنابه ليسودوا كما ساد سابقوهم وخصوصاً ما يتعلق بالحكام من اجتناب النفوس النافرة

والتأليف بين القلوب المختلفة وما يتعلق بقواد الجيوش من تأليف الرجال واحكام المعدات حتى يتم لهم النصر على اعدائهم وما يتعلق بالعامة من اتحاد قلوبهم وصيرورتهم يداً على من سواهم فكنت أجد من قراءتها ارتياحاً عظيماً وكانت نفسي كثيراً ما تأسف على ترك المسلمين لها فقلما أجد من يشتغل بها ولكني كنت أقدم لهم العذر بتطويل الكتب المؤلفة في هذا الموضوع فلما قدمت مدينة المنصورة جمعتني النوادي مع محمود بك سالم القاضي بمحكمة المنصورة المختلطة فوجدت منهُ علماً بدينهِ تقف دونه فحول الرجال وتتأخر عن مسابقته فيه الابطال . فقلما توضع مسألة دينية الاّ وجدته مبرّزاً فيها مفصحاً عن الجواب عنها . اما علمه بسيرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم فعنده منها الخبر اليقين وكنت كثيراً ما اسمعه يتشوّف لعمل سيرة خالية من الحشو والتعقيد تنتفع بها عامة المسلمين فقلت يالله لقد وافق هذا السيد الكريم ما في نفسي ولكني كنت أرى في عزيمتي قصوراً عن تنفيذ رغبته وتتميم أمنيته فان المقام عظيم وصعوباته اعظم ولكن لم أرَ من الامر بداً تلقاء ما كنت أسمعه من كبار رجال المنصورة فانهم اكثروا من الاماني لعمل هذا الكتاب العميم النفع الجزيل الفائدة فقمت معتمداً على الله راجياً منه ان يوفقني لما فيه رضاهُ وواصلت السير بالسرى حتى بلغت المنى فجاء بحمد الله كتاباً سهل المنال عذب المورد تنتفع به العامة وترجع اليه الخاصة وقد كان موردي في تأليفه

القرآن الشريف وصحيح السنَّة مما رواهُ الامامان البخاري ومسلم ولم أخرج عنهما الاَّ فيما لا بدّ منه من تفهيم العبارات فكان يساعدني الشفاء للقاضي عياض والسيرة الحلبية والمواهب اللدنية للقسطلاني واحياء علوم الدين للغزالي . هذا واسأل الله من فيض فضله ان يوفق أئمَّتنا وامراءنا للاقتداء بسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم واحياء معالم دينه حتى يؤيدوا بروحٍ من عند الله

وقد آن ان نشرع فيما قصدناهُ · مستعينين بحول الله فنقول

النسب الشريف

السيد الاكرم الذي شرُف الناس بوجوده هو (محمد بن عبد الله) من زوجه آمنة بنت وهب الزهرية (١) القرشية (ابن عبد المطلب) من زوجه فاطمة بنت عمرو المخزومية (٢) القرشية وكان عبد المطلب شيخاً معظماً في قريش يصدرون عن رأيه في مشكلاتهم ويقدمونه في مهماتهم (ابن هاشم) من زوجه سلمى بنت عمرو (٣) النجارية

(١) من بني زهرة بن كلاب من قريش

(٢) من بني مخزوم بن يقظة بن مرة من قريش

(٣) من بني النجار من الخزرج والخزرج احدى القبيلتين اللتين كانتا تقيمان بالمدينة وهما الاوس والخزرج وهما اخوان وسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاًّ انصارا

الخزرَجية (ابن عبد مناف) من زوجه عاتكة بنت مرّة السلمية (١) (ابن قصيّ) من زوجه حُبيّ بنت حليل الخزاعية (٢) وكان الى قصيّ في الجاهلية حجابة البيت وسقاية الحاج واطعامه المسمى بالرّفادة والندْوة وهي الشورى لا يتم امر الاّ في بيته واللواء لا تعقد راية لحرب الاّ بيده ولما اشرف على الموت جعلها في يد أحد أولاده عبد الدار ولكن بنو عبد مناف أجمعوا رأيهم على ان لا يتركوا بني عمهم عبد الدار يستأثرون بهذه المفاخر وكاد يفضي الامر الى القتال لولا ان تدارك الامر عقلاء الفريقين فأعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة فدامتا فيهم الى أن انتهتا للعباس ابن عبد المطلب ثم لبنيه من بعده أما الحجابة فبقيت بيد بني عبد الدار وأقرها لهم الشرع فهي فيهم الى الآن وهم بنو شيبة بن عثمان بن ابي طلحة بن عبد العزي بن عثمان ابن عبد الدار وأما اللواء فدام فيهم حتى أبطله الاسلام وجعله حقاً للخليفة على المسلمين يضعه فيمن يراه صالحاً لهُ وكذلك الندوة وقصيّ (ابن كلاب) من زوجه فاطمة بنت سعد وهي يمانية من أزْدشنوءة (ابن مرة) من زوجه هند بنت سرير من بني فهر بن مالك (ابن

(١) من بني سليم بن منصور احدى قبائل قيس عيلان بن مضر بن نزار

(٢) من بني خزاعة بن عمرو احدى قبائل قمعة بن الياس بن مضر وهم الذين كانوا يتولون البيت قبل قريش

كعب) من زوجه محشية بنت شيبان من بني فِهر أيضاً (ابن لؤي) من زوجه ام كعب مارية بنت كعب من قضاعة (ابن غالب) من زوجه أم لؤيّ عاتكة بنت يخلد من بني النضر بن كنانة (ابن فِهر) من زوجه أم غالب ليلى بنت الحارث من هذيل وفهر هو قريش في قول الاكثرين فكل من كان من ولده فهو قرشي وكانت قريش اثنتي عشرة قبيلة بنو عبد مناف و بنو عبد الدار بن قصيّ و بنو أسد ابن عبد العزّي بن قصيّ و بنو زهرة بن كلاب و بنو مخزوم بن يقظة ابن مرّة و بنو تيم بن مرّة و بنوعديّ بن كعب و بنو سهم ابن هصيص ابن عمرو بن كعب و بنو جمح بن هصيص بن عمرو بن كعب و بنو عامر بن لؤيّ و بنو تيم بن غالب وبنو الحارث بن فهر و بنو محارب ابن فهر والمقيمون منهم بمكة يسمون قريش البطاح والذين بضواحيها قريش الظواهر (ابن مالك) من زوجه جندلة بنت عامر من جرهم (ابن النضر) من زوجه عاتكة بنت عدوان بن قيس عيلان (ابن كنانة) من زوجه برّة بنت مُرّ من بني تميم (ابن خزيمة) من زوجه عوانة بنت سعد بن قيس عيلان (ابن مدركة) من زوجه سلمى بنت أسلم من قضاعة (ابن الياس) من زوجه خندف المضروب بها المثل في الشرف والمنعة (ابن مضر) من زوجه الرّباب بنت جندة ابن معدّ (ابن نزار) من زوجه سودة بنت عك (ابن معدّ) من زوجه معانة بنت جوشم من جرْهم (ابن عدنان)

هذا هو النسب المتفق على صحته من علماء التاريخ والمحدثين أما النسب فوق ذلك فلا يصح فيه طريق غاية الامر انهم اجمعوا على أن نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ينتهي الى اسماعيل بن ابراهيم ابي العرب المستعربة . نسب شريف كما ترى آباء طاهرون وامهات طاهرات لم يزل عليه السلام يتنقل من أصلاب أولئك الى ارحام هؤلاء حتى اختاره الله هادياً مهدياً من أوسط العرب نسباً فهو من صميم قريش التي لها القدم الاولى في الشرف وعلو المكانة بين العرب ولا تجد في سلسلة آبائه الاّ كراماً ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وكذلك أمهات آبائه من ارفع قبائلهنَّ شأناً ولا شك ان شرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة وكل اجتماع بين آبائه وامهاته كان شرعياً بحسب الاصول العربية ولم ينل نسبه شيء من سفاح الجاهلية بل طهره الله من ذلك والحمد لله

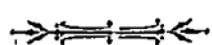
زواج عبد الله بآمنة وحملها

كان عبد الله بن عبد المطلب من أحب ولد أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وسنه ثماني عشرة سنة وهي يومئذٍ من افضل نساء قريش نسباً وموضعاً ولما دخل عليها حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلبث أبوه ان توفى بعد الحمل بشهرين ودفن بالمدينة عند اخواله بني عديّ بن النجار فانه كان ذهب

لتجارة الى الشام فادركته منيته بالمدينة وهو راجع ولما تمت مدة حمل آمنة وضع ولدها فاستبشر العالم بهذا المولود الكريم الذي بث في ارجائه روح الآداب وتمم مكارم الاخلاق وقد حقق المرحوم محمود باشا الفلكي ان ذلك كان في صبيحة يوم الاثنين تاسع ربيع اول الموافق لليوم العشرين من ابريل سنة ٥٧١ من الميلاد وهو يوافق السنة الاولى من حادثة الفيل (١) وكانت ولادته في دار ابي طالب بشعب بني هاشم وكانت قابلته الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف ولما ولد أرسلت أمه لجده تبشره فأقبل مسروراً وسماه محمداً ولم يكن هذا الاسم شائعاً قبل عند العرب ولكن اراد الله ان يحقق ماقدره وذكره في الكتب التي جاءت بها الانبياء كالتوراة والانجيل فألهم جده ان يسميه بذلك انفاذاً لامره وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية أمة

(١) حادثة شهيرة حصلت بمكة فأرخت بها العرب كعادتهم هم وكل امة في التاريخ بالامور المهمة وقد ذكر القرآن هذه الحادثة في سورة الفيل وحاصلها ان ملكاً من ملوك الحبشة الذين امتلكوا اليمن بعد حمير أغار على مكة وقصد هدم كعبتها وكان معه فيل عظيم لم يكن العرب رأوا مثله فاكراماً للنبي المنتظر وغيرة على بيته الكريم جعل الله كيد الاعداء في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول وأراح قريشاً من عناء مقاومتهم اهـ

أبيه عبدالله وأول من ارضعهُ ثويبة أمة عمه ابى لهب



الرضاع

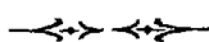
وكان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم في البوادي ليكون انجب للولد وكانوا يقولون ان المربي في المدن يكون كليل الذهن فاتر العزيمة فجاءت نسوة من بني سعد بن بكر يطلبنَ اطفالاً يرضعنهم فكان الرضيع المحمود من نصيب حليمة بنت ابى ذؤيب السعدية واسم زوجها أبو كبشة وهو الذي كانت قريش تنسب له الرسول صلى الله عليه وسلم حينما يريدون الاستهزاء به فيقولون هذا ابن أبى كبشة يكلم من السماء . ودرّت البركات على أهل ذاك البيت الذين أرضعوه مدة وجوده بينهم وكانت تربو عن اربع سنوات(١)

حادثة شق الصدر

وحصل له وهو بينهم حادثة مهمة وهي شق صدرهِ واخراج حظ الشيطان منه فأحدث ذلك عند حليمة خوفاً فردتهُ الى أمه وحدثتها قائلة بينما هو واخوته في بُهم لنا خلف بيوتنا اذ أتى أخوه يعدو فقال لي ولابيه ذاك أخي القرشي قد أخذهُ رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاهُ فشقا بطنه فهما يسوطانه(٢) فخرجت انا وابوهُ نحوه فوجدناه

(١) السيرة الحلبية (٢) يحركانه بسوط

منتقعاً لونه (١) فالتزمتهُ والتزمهُ أبوه فقلنا له مالك يا بنيّ فقال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فاقبلا يبتدراني فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئاً فأخذاه وطرحاه ولا أدري ما هو



﴿ وفاة آمنة وكفالة عبد المطلب ووفاته وكفالة أبي طالب ﴾

ثم ان امه اخذته منها وتوجهت به الى المدينة لزيارة اخوال أبيه بني عديّ بن النجار وبينما هي عائدة أدركتها منيّتها في الطريق فماتت بالأبواء (٢) فحضنته أم أيمن وكفله جده عبد المطلب ورَقّ له رقّة لم تعهد له في ولدهِ لما كان يظهر عليه مما يدلّ على ان له شأناً عظيماً في المستقبل وكان يكرمه غاية الاكرام ولكن لم يلبث عبد المطلب ان توفي بعد ثماني سنوات من عمر الرسول صلى الله عليه وسلم فكفله شقيق أبيهِ أبو طالب فكان له رحيماً وعليه غيوراً وكان أبو طالب مقلاًّ من المال فبارك الله لهُ في قليله وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في مدّة كفالة عمه مثال القناعة والبعد عن السفاسف التي يشتغل بها الاطفال عادة كما روت ذلك أم أيمن حاضنته فكان اذا أقبل وقت الاكل جاء الاولاد يختطفون وهو قانع بما سيسره الله له

(١) شبيهاً بالنقع وهو التراب

(٢) قرية بين مكة والمدينة وهي أقرب الى المدينة

السفر الى الشام المرّة الأولى

ولما بلغ سنهُ عليه السلام اثنتي عشرة سنة أراد عمه وكفيله السفر بتجارة الى الشام فاستعظم الرسول صلى الله عليه وسلم فراقهُ فرقّ لهُ وأخذه معهُ وهذه هي الرحلة الاولى ولم يمكثوا فيها الاَّ قليلاً وقد أشرف على رجال القافلة وهم بقرب بصرى (١) بَحيرا الراهب فسألهم عمَّا رآهُ في كتبهم المقدسة من بعثة نبي من العرب في هذا الزمن فقالوا انهُ لم يظهر للآن وهذه العبارة كثيراً ما كان يلهج بها أهل الكتاب من يهود ونصارى قبل بعثة الرسول « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا بهِ فلعنة الله على الكافرين » (٢)

حرب الفِجَار

ولما بلغ سنه عليه السلام عشرين سنة حضر حرب الفِجَار وهي حرب كانت بين كنانة ومعها قريش وبين قيس وسببها انه كان النعمان بن المنذر ملك العرب بالحَيْرة (٣) تجارةٌ يرسلها كل عام

(١) قرية على الحدود بين بلاد الشام وبلاد العرب

(٢) سورة البقرة

(٣) بلدة غرب الفرات كان يقيم بها ملك العرب من قبل ملوك فارس فتحها خالد بن الوليد في السنة الثانية عشرة (راجع اتمام الوفاء)

الى سوق عُكاظ (١) لتباع له وكان يرسلها في أمان رجل ذي مَنَعة وشرف في قومه ليجيزها فجلس يوماً وعنده البرّاض بن قيس الكناني وكان فاتكاً خليعاً خلعه قومه لكثرة شره وعروَة بن عتبة الرّحال فقال من يجيز لي تجارتي هذه حتى يبلغها عكاظ فقال البراض أنا أجيزها على بني كنانة فقال النعمان انما أريد من يجيزها على الناس كلهم فقال عروة أَبَيْتَ اللّعْن (٢) أكاب خليع يجيزها لك أنا أجيزها على أهل الشيح والقيصوم من أهل نجد (٣) وتهامة (٤) فقال البراض أو تجيزها على كنانة يا عروة قال وعلى الناس كلهم فأسرّها البراض في نفسه وتربص له حتى اذا خرج بالتجارة قتله غدراً ثم أرسل رسولاً يخبر قومه كنانة بالخبر ويحذرهم قيساً قوم عروة أما قيس فلم تلبث بعد أن بلغها الخبر ان همت لتدرك ثأرها حتى

(١) سوق كانت تعقده العرب كل عام لتعرض فيه تجارتها وما قاله فصحاؤها من قصائد الفخر وما أشبه ذلك من مفاخر العرب وهي أشبه في ذلك بمعارض أوربا الآن

(٢) تحية عربية ومعناها باعدت كل ما يستحق المذمة

(٣) هو المرتفع من بلاد العرب وهو وسطها

(٤) هو ماانخفض من سواحل البلاد العربية والشرقي منها يسمى البحرين والفاصل بين نجد وتهامة الحجاز في الغرب واليمامة في الشرق

أدركوا قريشاً وكنانة بنخلة (٥) فاقتتلوا ولما اشتد البأس وحميت قيس احتمت قريش بحرمها وكان فيهم رسول الله ثم ان قيساً قالوا لخصومهم انا لا نترك دم عروة فموعدنا عكاظ العام المقبل وانصرفوا الى بلادهم يحرض بعضهم بعضاً فلما حال الحول جمعت قيس جموعها وكان معها ثقيف وغيرها وجمعت قريش جموعها من كنانة والاحابيش وهم حلفاء قريش وكان رئيس بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه اخوته أبو طالب وحمزة والعباس وابن اخيه النبي الكريم وكان على بني أمية حرب ابن أمية وله القيادة العامة لمكانه في قريش شرفاً وسناً وهكذا كان على كل بطن من بطون قريش رئيس ثم تناجزوا الحرب فكان يوماً من أشد أيام العرب هولاً ولما استحل فيه من حرمات مكة التي كانت مقدسة عند العرب سمي يوم الفجار وكادت الدائرة تدور على قيس حتى انهزم بعض قبائلها ولكن أدركهم من دعا المتحاربين للصلح على أن يحصوا قتلى الفريقين فمن وجد قتلاه اكثر أخذ دية الزائد فكانت لقيس زيادة أخذوا ديتها من قريش وتعهد بها حرب بن أمية ورهن لسدادها ولده أبا سفيان وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثيراً ما تشبه حروب العرب تبدؤها صغيرات الامور حتى ألف الله بين قلوبهم وأزاح عنهم هذه الضلالات بانتشار نور الاسلام بينهم

(٥) موضع بين مكة والطائف

حلف الفضول

وعند رجوع قريش من حرب الفجار تداعوا لحلف الفضول فتم في دار عبد الله بن جُدعان التَّيْمي أحد رؤساء قريش وكان المتحالفون بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف وبني أسد بن عبد العزى وبني زهرة بن كلاب وبني تيم بن مرّة تحالفوا وتعاقدوا ان لا يجدوا بمكة مظلوماً من اهلها أو من غيرهم من سائر الناس الا قاموا معه حتى تردّ اليه مظلمته وقد حضر هذا الحلف رسول عليه السلام مع اعمامه وقال بعد ان شرفه الله بالرسالة (لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما أحب ان لي به حُمْرَ النَّعَم ولو دعيت به في الاسلام لاجبت) وذلك لانه عليه السلام مبعوث بمكارم الاخلاق وهذا منها وقد اقر دين الاسلام على كثير يرشدك الى هذا قوله عليه السلام (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) وقد دعا بهذا الحلف كثيرون فأنصفوا

رحلته الى الشام المرّة الثانية

ولما بلغ سنه عليه السلام خمساً وعشرين سنة سافر الى الشام المرة الثانية وذلك ان خديجة بنت خويلد الاسدية (١) كانت سيدة تاجرة

(١) من بني أسد بن عبد العزي بن قصي

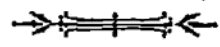
ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم اياه فلما سمعت عن السيد من الامانة وصدق الحديث ما لم تعرفه في غيره حتى سماه قومه الأمين استأجرتهُ ليخرج في مالها الى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره فسافر مع غلامها ميسرة فباعا وابتاعا وربحا ربحاً عظيماً وظهر للسيد الكريم في هذه السفرة من البركات ما حببه في قلب ميسرة غلام خديجة

زواجه خديجة

فلما قدما مكة ورأت خديجة ربحها العظيم سرَّت من الامين عليه السلام وأرسلت اليه تخطبه لنفسها وكان سنها نحو الاربعين وهي من أوسط قريش حسباً واوسعهم مالاً فقام الامين عليه السلام مع اعمامه حتى دخل على عمها عمرو بن أسد فخطبها منهُ بواسطة عمه أبي طالبٍ فزوجها عمها وقد خطب أبو طالب في هذا اليوم . فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسماعيل وضئضيء (١) معدّ وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه وجعله لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا حكام الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبدالله لا لا يوزن به رجل شرفاً ونبلاً وفضلاً وان كان في المال قلاً فان المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مستردَّة وهو والله بعد هذا له نبأ

(٢) . أصل

عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة في كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق (كذا) وعلى ذلك تم الأمر . وقد كانت متزوّجة قبله بأبي هالة توفي عنها وله منها ولد اسمه هالة وهو ربيب المصطفى عليه السلام



بناء البيت

ولما بلغ سنه عليه السلام خمساً وثلاثين سنة جاء سيل جارف فصدع جدران الكعبة بعد توهينها من حريق كان اصابها قبل فأرادت قريش هدمها ليرفعوها و يسقفوها فانها كانت رضيمة (١) فوق القامة فاجتمعت قبائلهم لذلك ولكنهم هابوا هدمها لمكانها في قلوبهم فقال لهم الوليد بن المغيرة أتريدون بهدمها الاصلاح أم الاساءة قالوا بل الاصلاح قال انّ الله لا يهلك المصلحين وشرع يهدم فتبعوهُ وهدموا حتى وصلوا الى أساس اسماعيل وهناك وجدوا صحافاً نقش فيها كثير من الحكم على عادة من يضعون أساس بناء شهير ليكون تذكرة للمتأخرين بعمل المتقدمين ثم ابتدؤا في البناء وأعدوا لذلك نفقة ليس فيها مهر بغيّ ولا بيع ربا وجعل الاشراف من قريش يحملون الحجارة على اعناقهم وكان العباس ورسول الله فيمن يحمل وكان الذي يلي البناء نجار رومي اسمه باقوم وقد خصص لكل ركن جماعة من العظماء ينقلون

(١) بناء رضيم مبني بالصخر اهـ من أساس البلاغة

اليه الحجارة وقد ضاقت بهم النفقة الطيبة عن اتمامه على قواعد اسماعيل فأخرجوا منها الحجر و بنوا عليه جداراً قصيراً علامة على انه من الكعبة ولما تم البناء ثماني عشرة ذراعاً بحيث زيد فيـه عن اصله تسع أذرع ورفع الباب عن الارض بحيث لا يصعد اليه الا بدرج أرادوا وضع الحجر الاسود موضعه فاختلف اشرافهم فيمن يضعه وتنافسوا في ذلك حتى كادت تشب بينهم نار الحرب ودام بينهم هذا الخصام أربع ليال وكان اسنّ رجل في قريش اذ ذاك ابو اميـة بن المغيرة المخزومي عم خالد بن الوليد فقال لهم يا قوم لا تختلفوا وحكموا بينكم من ترضون بحكمه فقالوا نكل الامر لاول داخل فكان هذا الداخل هو الامين المأمون عليه الصلاة والسلام فاطمأن الجميع له لما يعهدون فيه من الامانة وصدق الحديث وقالوا هذا الامين رضينـاه هذا محمد لانهم كانوا يتحاكمون اليه اذ كان لا يداري ولا يماري فلما اخبروه الخبر بسط رداءه وقال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم وضع فيه الحجر وامرهم برفعه حتى انتهوا الى موضعه فأخذه ووضعهُ فيه وهكذا انتهت هذه المشكلة التي كثيراً ما يكون امثالهـا سبباً في انتشار حروب هائلة بين العرب لولا ان يمن الله عليهم بعاقل مثل أبي أميـة يرشدهم الى الخير وحكيم مثل الرسول صلى الله عليه وسلم يقضي بينهم بمـا يرضى جميعهم ولا يستغرب من قريش تنافسهم هذا لان البيت قبلة العرب وكعبتهم التي يحجون اليها فكل عمل فيه عظيم به الفخر والسيادة وهو

اول بيت وضع للعبادة بشهادة القرآن الكريم قال تعالى في سورة آل عمران (ان اول بيت وُضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً) وكان يلي امره بعد ولد اسماعيل قبيلة جُرْهم فلما بغوا وظلموا من دخل مكة اجتمعت عليهم خزاعة وأجلَوْهم عن البيت ووليته خزاعة حيناً من الدهر ثم اخذتهُ منهم قريش في عهد قصيّ بن كلاب و بسببه أمنوا في بلادهم فكانت قبائل العرب تهابهم واذا احتموا بهِ كان حصناً اميناً من اعتداء العادين وامتنّ الله عليهم بذلك في تنزيله فقال في سورة القصص (أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً و يتخطف الناس من حولهم)

معيشته عليه السلام قبل البعثة

لم يرث عليه السلام من والده شيئاً بل ولد يتيماً عائلاً فاسترضع في بني سعد ولما بلغ مبلغاً يمكنهُ معهُ ان يعمل عملاً كان يرعى الغنم مع اخوته من الرضاع في البادية وكذلك لما رجع الى مكة كان يرعاها لاهلها على قراريط كما ذكر ذلك البخاري في صحيحه ووجود الانبياء في حال التجرد عن الدنيا ومشاغلها أمر لا بد منهُ لانهم لو وجدوا اغنياء لألهتهم الدنيا وشغلوا بها عن السعادة الابدية ولذلك ترى جميع الشرائع الالهية متفقة على استحسان الزهد فيها والتباعد عنها وحال الانبياء السالفين أعظم شاهد على ذلك فكان عيسى عليه السلام

أزهد الناس في الدنيا وكذلك كان موسى وابراهيم وكانت حالهم في صغرهم ليست ذات سعة بل كلهم سواء تلك حكمة بالغة أظهرها الله على انبيائه ليكونوا نموذجاً لمتبعيهم في الامتناع عن التكالب على الدنيا والتهافت عليها وذلك سبب البلايا والمحن . وكذلك رعاية الغنم فما من نبي الا رعاها كما أخبر عن ذلك الصادق المصدوق في حديث للبخاري وهذه أيضاً من بالغ الحكم فان الانسان اذا استرعى الغنم وهي اضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف تعطفاً فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب أولاً من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون في أعدل الاحوال . ولما شبّ عليه السلام كان يتاجر وكان شريكه السائب بن ابي السائب وذهب بالتجارة لخديجة رضي الله عنها الى الشام على جعل يأخذه . ولما شرفت خديجة بزواجه وكانت ذات يسار عمل في مالها وكان يأكل من نتيجة عمله وحقق الله له ما امتنّ عليه به في سورة الضحى بقوله جلّ ذكره (ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى) فالايواء والاغناء قبل النبوة والهداية بالنبوة هداه للكتاب والايمان ودين ابراهيم عليه السلام ولم يكن يدرى ذلك قبل . قال تعالى في سورة الشورى (وكذلك أوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا)



﴿ سيرته في قومه قبل البعثة ﴾

كان عليه السلام أحسن قومه خلقاً واصدقهم حديثاً واعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال حتى كان أفضل قومه مزوءة واكرمهم مخالطة وخيرهم جواراً واعظمهم حلماً واصدقهم حديثاً فسموه الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة الحميدة . والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء حتى شهد له بذلك ألدّ اعدائه النضر ابن الحارث من بني عبد الدار حيث يقول قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم واصدقكم حديثاً وأعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر قال ذلك في معرض الاتفاق على ما يقولونه للعرب الذين يحضرون الموسم حتى يكونوا متفقين على قول مقبول يقولونه . ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان قائلاً هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا فقال هرقل ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله ورد ذلك في اول صحيح البخاري . وقد حفظه الله في صغره من كل اعمال الجاهلية التي جاء شرعه الشريف بضدها (١) و بغضت اليه الاوثان بغضاً شديداً حتى ما كان يحضر لها احتفالاً أو عيداً مما يقوم

(١) الشفاء للقاضي عياض

به عبادها وقال عليه السلام (لما نشأت بغضت الي الاوثان و بغض الي الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين كل ذلك يحول الله بيني و بين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء بعدهما حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو أبصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر كما يسمرُ الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة أسمع عزفاً بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست لذلك فضرب الله على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس ولم أقض شيئاً ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك) وكان عليه السلام لا يأكل ما ذبح على النصب (١) وحرم شرب الخمر على نفسه مع شيوعه في قومه شيوعاً عظيماً وذلك كله من الصفات التي يحلي الله بها انبياءه ليكونوا على تمام الاستعداد لتلقي وحيه فهم معصومون من الادناس قبل النبوة و بعدها أما قبل النبوة فليتأهلوا للامر العظيم الذي سيسند اليهم وأما بعدها فليكونوا قدوة لاممهم. عليهم من الله أفضل الصلوات واتم التسليمات

ما أكرمه الله به قبل النبوة

أول منحة من الله له ما حصل من البركات على آل حليمة الذين كان مسترضعاً فيهم فقد كانوا قبل حلوله بناديهم مجدبين فلما صار

---

(١) هي حجارة تنصب تصب عليها دماء الذبائح وتعبد

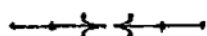
بينهم صارت غنيماتهم تؤوب من مرعاها وان أضراعها لتسيل لبناً
ويرحم الله البوصيري حيث يقول في همزيته .

واذا سخر الاله أناساً ☆ لسعيد فانهم سعداء

ثم اعقب ذلك ما حصل من شق صدره واخراج حظ الشيطان منه وليس هـذا بالعجب على قدرة الله تعالى فمن استبعد ذلك كان قليل النظر لا يعرف من قوَّة الله شيئاً لان خرق العادات للانبياء ليس بالامر المستحدث ولا المستغرب . ومن المكرمات الالهية تسخير الغمامة له في سفره الى الشام حتى كانت تظله في اليوم الصائف لا يشترك معه أحد في القافلة كما روى ذلك ميسرة غلام خديجة الذي كان مشاركاً له في سفره وهذا ماحببه الى خديجة حتى خطبتهُ لنفسها وتيقنت أن له في المستقبل شأناً ولذلك لما جاءته النبوة كانت أسرع الناس ايماناً به ولم تنتظر آية أخرى زيادة على ما علمته من مكارم الاخلاق وما سمعته من خوارق العادات ومن منن الله عليه ما كان يسمعه من السلام عليه من الاحجار والاشجار (١) فكان اذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بناء ويفضي الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا سمع الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً وقد حدث بذلك عن نفسه وليس في

(١) السيرة الحلبية

ذلك كبير اشكال فقد سخر الله الجمادات للانبياء قبله فعصا موسى التقمت ما صنع سحرة فرعون بعد ان تحولت حية تسعى ثم رجعت كما كانت ولما ضرب بها الحجر نبع منه الماء اثنتى عشرة عيناً لكل سبط من اسباط بني اسرائيل عين وكذلك غيره من الانبياء سخر الله لهم ما شاء من انواع الجمادات لتدل العقلاء على عظيم قدرهم وخطارة شأنهم



تبشير التوراة به

أنزل الله التوراة على موسى محتوية على الشرائع التي تناسب أهل ذاك الزمن ونوّه فيها بذكر كثير من الانبياء الذين علم الله انه سيرسلهم فمما جاء فيها تبشيراً برسولنا الكريم خطاباً لسيدنا موسى عليه السلام (١) (وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين اخوتهم واجعل كلامي في فمه ويكلمهم بكل شيء آمره به ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فانا الذي انتقم منه فأما النبي الذي يجترئ علي بالكبرياء ويتكلم باسمي بما لم آمره به أو باسم آلهة أخرى فليقتل واذا احببت ان تميز بين النبي الصادق والكاذب فهذه علامتك ان ما قاله ذلك النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه

(١) الاصحاح الثامن سفر التثنية

ولذلك لا تخشاه) ويقول اليهود ان هـذه البشارة ليوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام مع انهم كانوا ينتظرون في مدة المسيح نبياً آخر غير المسيح فانهم (١) أرسلوا ليوحنا المعمدان (يحيى) يسألونه عن نفسه فقالوا له أنت ايليا فقال لا فقالوا انت المسيح فقال لا فقالوا انت النبي فقال لا فقالوا ما بالك اذا تعمد اذا كنت لست ايليا ولا المسيح ولا النبي . فهذه تدل على ان التوراة تبشر بايليا والمسيح ونبي لم يأت حتى زمن المسيح ثم ان التوراة تقول في صفة النبي انه مثل موسى وقد نصت في آخر سفر التثنية على انه لم يقم في بني اسرائيل نبي مثل موسى وورد في هذه البشارة ان النبي الذي يفتري على الله يقتل ويشبه ذلك في القرآن قوله تعالى في سورة الحاقة (ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) (٢) ونبينا صلى الله عليه وسلم مكث بين اعدائه الالدّاء من مشركين ويهود ثلاثا وعشرين سنة يدعوهم فيها الى الله ومع ذلك عصمه الله منهم وأنزل عليه تطميناً لخاطره في سورة المائدة (والله يعصمك من الناس) أكان يعجز الله وهو القادر على كل شيء ان يعاقب من ينسب اليه مالم يقله وهو الذي قال في سورة الشورى (ام يقولون افترى على الله كذباً فان

(١) الاصحاح الاول من انجيل يوحنا

(٢) عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه

يشأ الله يختم على قلبك ويمحُ الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليمٌ بذات الصدور) وقد اخبرتنا هذه البشارة عن العلامة التي نعرف بها صدق النبي من كذبه وهي الاخبار بما سيأتي وقد اخبر النبي عليه السلام عن اشياء كثيرة فحدثت كما اخبر عنهـا ومنها ما لا ينفع معه الحدس والتخمين كالاخبار بأن الروم سيغلبون بعد ان قهرهم الفرس قهراً شديداً حتى كادوا يحتلون القسطنطينية عاصمة ملكهم فالاخبار اذاً بأن الروم سيردون ما فقد منهم بعد بضع سنين لا يكون الا من عند الله ولذلك استغرب به جداً بعض المشركين من قريش وراهن على ذلك أبا بكر الصديق رضي الله عنه وقد حقق الله الخبر فاستحق الصديق الرهن وهذا قليل من كثير سيأتيك تفصيله ان شاء الله تعالى

وروي القاضي عياض في الشفاء ان عطاء بن يسار سأل عبدالله ابن عمرو بن العاص عن صفة رسول الله عليه السلام فقال أجل والله انهُ لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للاميين أنت عبـدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب (١) في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئـة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضهُ الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعيناً عميـا وآذاناً صما وقلوباً غلفاً

(١) شديد الصوت

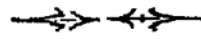
وروى مثله عن عبدالله بن سلام رضي الله عنهُ الذي كان رئيس اليهود فلم تعنه الرياسة حتى يترك الدين القويم وكذلك كعب الاحبار وفي بعض طرق الحديث ولا صخب في الاسواق ولا قوال للخنا أسدّده لكل جميل واهبُ له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة مقوله والصدق والوفاء طبيعتهُ والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع بهِ بعد الخمالة واسمى به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة وأجعل أمته خير امة اخرجت للناس .

وقد اخبر عليه السلام عن صفته في التوراة فقال وهو الصادق الامين عبدي احمد المختار مولده مكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة وامته الحمادون الله على كل حال

تبشير الانجيل

بشر عيسى عليه السلام قومه في الانجيل بالفارقليط ومعناه قريب من محمد أو أحمد ويصدقهُ في القرآن قول الله تعالى في سورة الصف (واذ قال عيسى ابنُ مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم

مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) وقد وصف المسيح هذا الفارقليط باوصاف لا تنطبق الا على نبينا فقال انهُ يوبخ العالم على خطيئته وانه يعلمهم جميع الحق لانهُ ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع وهذا ما ورد في القرآن الكريم في سورة النجم (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحيٌ يوحى) وقد ورد في انجيل برنابا الذي ظهر منذ زمن قريب واخفتهُ حجب(١) الجهالة ذكر اسم الرسول عليه السلام صراحة



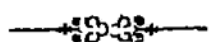
حركة الافكار قبل البعثة

وهذا يسهل لك فهم الحركة العظيمة من الاحبار والرهبان قبيل البعثة فكان اليهود يستفتحون على عرب المدينة برسول منتظر فقد حدث عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا انما دعانا للاسلام مع رحمة الله تعالى لنا ما كنا نسمع من احبار يهود كنا أهل شرك واصحاب أوثان وكانوا اهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا و بينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معهُ قتل عادوارم فكثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمداً أجبنا حين دعانا الى الله

(١) ترجم الى العربية وهو الآن يطبع بمصر

وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا وكفروا وانما قال لهم اليهود نقتلكم معهُ قتل عادوارم لان من صفته عليـهِ السلام في كتبهم ان هذا النبي يستأصل المشركين بالقوة ولم يكونوا يظنون ان الحسد والبغي سيتمكنان من افئدتهم فينبذون الدين القيم فيحق عليهم العذاب في الدنيا والاخرة وكان امية بن ابي الصلت المتنصر العربي كثيراً ما يقول اني لاجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا . وحدث سلمان الفارسي رضي الله عنـهُ عن نفسه انهُ صحب قسيساً فكان يقول له يا سلمان ان الله سوف يبعث رسولاً اسمهُ احمد يخرج من جبال تهامة علامته ان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة . وهذا الحديث كان من اسباب اسلام سلمان ولما راسل عليـه السلام ملوك الارض لم يهن كتابه الا كسرى الذي ليس عندهُ علم من الكتاب اما جميع ملوك النصارى كالنجاشي ملك الحبشـة والمقوقس ملك مصر وقيصر ملك الروم فأكرموا وفادة رسله ومنهم من آمن كالنجاشي ومنهم من رد رداً لطيفاً وكاد يسلم لولا غلبـة الملك كقيصر ومنهم من هادى كالمقوقس ولم يكن عليه السلام في قوة يرهب بها هؤلاء المـلوك اللهم ما ذاك الا لانهم يعلمون ان المسيح عليهِ السلام بشر برسول يأتي من بعده ووافقت صفات رسولنا ما عندهم فاجابوا بالتي هي احسن . أما ما سمع من الهواتف والكهان قبل زمنه فهو مالا يدخل تحت حصر وليس بعد ما ذكرتهُ لك زيادة لمستكثر ومع ذلك كلهُ فالاعمـال التي جاد

الله بها على يديه والاقوال التي اتانا بها اعظم مقوّ لحجته ومؤيد لدعوته . وسيأتي عليك بيان ذلك كلهُ بأجلى بيان فتأمله ترشد هداك الله الى الصراط السوى



بدء الوحي

لما بلغ عليه السلام سن الكمال وهو اربعون سنة أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً ليخرجهم من ظلمات الجهالة الى نور العلم وكان ذلك في اول فبراير سنة ٦١٠ من الميلاد كما اوضحه المرحوم محمود باشا الفلكي . واول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح وذلك لماجرت به عادة الله في خلقه من التدريج في الامور كلها حتى تصل الى درجة الكمال ومن الصعب جداً على البشر تلقي الوحي من الملك لاول مرة ثم حبب اليه عليه السلام الخلاء ليبتعد عن ظلمات هذا العالم وينقطع عن الخلق الى الله فان في العزلة صفاء السريرة وكان يخلو بغار (١) حراء فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد فتارة عشراً وتارة اكثر الى شهر وكانت عبادته على دين أبيه ابراهيم عليه السلام ويأخذ لذلك زاده فاذا فرغ رجع الى خديجة فيتزوّد لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء

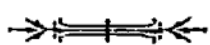
(١) جبل على مقربة من مكة

فبينما هو قائم في بعض الايام على الجبل اذ ظهر له شخص وقال ابشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله الى هذه الامة ثم قال له اقرأ قال ما انا بقارئ فانهُ عليه السلام أمي لم يتعلم القراءة قبلاً فاخذه فغطه بالنمط الذي كان ينام عليه حتى بلغ منهُ الجهد ثم ارسله فقال اقرأ فقال ما انا بقارئ فأخذه فغطه ثانية ثم ارسله فقال اقرأ قال ما انا بقارئ فأخذه فغطه الثالثة ثم ارسله فقال(اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فرجع بها عليه السلام يرجف فؤاده مما ألمَّ به من الروع الذي استلزمته مقابلة الملاك لاول مرة فدخل على خديجة زوجه فقال زملوني (١) زملوني لتزول عنه هذه القشعريرة فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي لان الملاك غطه حتى كاد يموت ولم يكن له عليه السلام علم قبل ذلك بجبريل ولا بشكله فقالت كلا والله ما يخزيك الله ابداً انك لتصل الرحم وتحمل الكلَّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فلا يسلط الله عليك الشياطين او الاوهام ولا مراء ان الله اختارك لهداية قومك ولتتأكد خديجة مما ظنته أرادت ان تتثبت ممن لهم علم بحال الرسل ممن اطلعوا على كتب الاقدمين فانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل ابن

---

(١) لفوني في ثوب

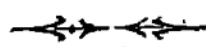
عم خديجة وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانيـة ما شاء الله ان يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره عليه السلام خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى لانهُ يعرف ان رسول الله الى انبيائه هو جبريل ثم قال يا ليتني فيها جذعاً (شاباً جلداً) اذ يخرجك قومك من بلادك التي نشأت بها لمعاداتهم اياك وكراهيتهم لك حينما تطالبهم بتغيير اعتقادات وجدوا عليها آباءهم فاستغرب عليه السلام ما نسب لقومه مع ما يعلمه من حبهم له لاتصافه بمكارم الاخلاق وصدق القول حتى سموه الامين وقال أو مخرجيّ هم قال لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت بهِ الا عودى . وقد نطق بذلك القرآن الكريم قال تعالى في سورة ابراهيم (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودنَّ في ملتنا) ولتمام تصديق ورقة برسالة الرسول الاكرم عليه السلام قال وان يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزَّراً (معضداً) ثم لم يلبث ورقة أن توفى



فترة الوحي

وفتر الوحي مدة لم يتفق عليها المؤرخون وارجح اقوالهم فيها اربعون يوماً ليشتد شوق الرسول للوحي وقد كان فان الحال اشتدت

بهِ عليه السلام حتى صار كلما أتى ذروة جبل بدا له أن يرمي نفسهُ منها حذراً من قطيعة الله له بعد ان أراه نعمتهُ الكبرى وهي اختياره لان يكون واسطة بينهُ و بين خلقه فيتبدى له الملك قائلاً أنت رسول الله حقاً فيطمئن خاطره و يرجع عما عزم عليـه حتى أراد الله ان يظهر للوجود نور الدين فعاد اليه الوحي



عود الوحي

فبينما هو يمشي اذ سمع صوتاً من السماء فرفع اليهِ بصرهُ فاذا الملك الذي جاءهُ بحراء جالس بين السماء والارض فرُعب منهُ لتذكر مافعله في المرة الاولى فرجع وقال دثروني دثروني فانزل الله تعالى عليه (يا ايها المدثر قم فأنذر) حذر النـاس من عذاب الله ان لم يرجعوا عن غيهم وما كان يعبد آباؤهم (وربك فكبر) خصه بالتعظيم ولا تشرك معهُ في ذلك غيره (وثيابك فطهر) لتكون مستعداً للوقوف بين يدي الله اذ لا يليـق بالمؤمن ان يكون مستقذراً نجساً (والرُّجزَ فاهجرْ) أي اهجر اسباب الرجز وهو العذاب بان تطيع الله وتنفذ امره (ولا تمنن تستكثر) ولا تهب احداً هبة وانت تطمع ان تستعيض من الموهوب له أكثر مما وهبك فهـذا ليس من شأن الكرام (ولربك فاصبر) على ما سيلحقك من أذى قومك حينما تدعوهم الى الله



الدعوة سراً

فقام عليه السلام بالامر ودعا لعبادة الله اقواماً جفاةً لادين لهم الاّ ان يسجدوا لاصنام لا تنفع ولاتضرّ ولا حجة لهم الا انهم متبعون لما كان يعبد آباؤهم وليس عندهم من مكارم الاخلاق الا ما كان مرتبطاً بالعزّة والانفة وهو الذي كثيراً ما كان سبباً في الغارات والحروب واهراق الدماء فجاءهم رسول الله بما لا يعرفونهُ فذوو العقول السليمة بادروا الى التصديق وخلع الاوثان ومن أعمته الرياسة ادبر واستكبر كيلا تسلب منه عظمته . وكان اوّل من سطع عليه نور الاسلام خديجة بنت خويلد زوجه وعلي بن ابي طالب ابن عمه وكان مقيماً عنده يطعمه ويسقيه ويقوم بأمره لان قريشاً كانوا قد اصابهم مجاعة وكان ابو طالب مقلاًّ كثير الاولاد فقال عليه السلام لعمه العباس بن عبد المطلب ان اخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدّة فانطلق بنا اليه لنخفف من عياله تأخذ واحداً وانا واحداً فانطلقا وعرضا عليه الامر فأخذ العباس جعفر بن ابي طالب واخذ عليه السلام علياً فكان في كفالته كاحد اولاده الى ان جاءت النبوّة وقد ناهز الاحتلام فكان تابعاً للنبي في كل اعماله ولم يتدنس بدنس الجاهلية من عبادة الاوثان واتباع الهوى واجاب ايضاً زيد بن حارثة بن شُرَحبيل الكلبي مولاه عليه السلام وكان يقال له زيد ابن محمد لانهُ

لما اشتراه اعتقه وتبناه وكان المتبنى معتبراً كابن حقيقي يرث ويورث واجابت ايضاً أم أيمن حاضنته التي زوجها لمولاه زيد . وأول من اجابه من غير اهل بيته ابو بكر بن ابي قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي القرشي كان صديقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوّة يعلم ما اتصف به من مكارم الاخلاق ولم يعهد عليه كذباً منذ اصطحبا فأول ما أخبره برسالة الله أسرع بالتصديق وقال بأبي انت وامي اهل الصدق انت اشهد ان لا اله الاّ الله وانك رسول الله . كان رضي الله عنه صدراً معظماً في قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق وكان من اعفّ الناس سخياً ببذل المال محبباً في قومه حسن المجالسة ولذلك كله كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة الوزير فكان يستشيره في أموره كلها وقال في حقه (ما دعوت احداً الى الاسلام الاّ كانت له كبوة غير أبي بكر) وكانت الدعوة الى الاسلام سراً حذراً من مفاجأة العرب بأمر شديد كهذا فيصعب استسلامهم فكان عليه السلام لا يدعو الاً من يثق به ودعا ابو بكر الى الاسلام من يثق به من رجال قريش فأجابه جمع (منهم) عثمان بن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموي القرشي ولما علم عمه الحكم باسلامه اوثقه كتافاً وقال ترغب عن دين آبائك الى دين مستحدث والله لا أحلك حتى تدع ما انت عليه فقال عثمان والله لا ادعه ولا افارقه فلما رأى الحكم صلابته في الحق

تركه وكان شاباً لا يتجاوز العشرين من عمره (ومنهم) الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي القرشي وامه صفية بنت عبد المطلب وكان عم الزبير يرسل الدخان عليه وهو مقيد ليرجع الى دين آبائه فقوّاه الله بالثبات وكان شاباً لا يتجاوز سن الاحتلام (ومنهم) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب الزهريّ القرشيّ وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه عليه السلام عبد الرحمن (ومنهم) سعد بن ابي وقاص مالك بن أُهيَب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري القرشي ولما علمت أمه حمنة بنت ابي سفيان بن أمية باسلامه قالت له يا سعد بلغني انك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف من الحرّ والبرد وان الطعام والشراب عليّ حرام حتى تكفر بمحمد و بقيت كذلك ثلاثة ايام فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليـه أمر امه فنزل في ذلك تعليماً قول الله تعالى في سورة العنكبوت(ووصينا الانسان بوالديه حسناً وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما اليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) وصاه جل ذكره بوالديه وأمره بالاحسان اليهما مؤمنين كانا او كافرين اما اذا دعواه للاشراك فالمعصية متحتمة لان كل حق وان عظم ساقط هنا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال اليّ مرجعكم من آمن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم وفي ختـام هذه الآية فائدتان التنبيه على ان الجزاء الى الله فلا تحدث

نفسك بجفوتهما لاشراكهما والحض على الثبات في الدين لئلا ينال شرّ جزاء في الاخرى (ومنهم) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي القرشي وقد كان عرف من الرهبان ذكر الرسول وصفته فلما دعاه ابو بكر وسمع من رسول الله ما نفعه الله به ورأى الدين متيناً بعيداً عما عليه العرب من المثالب بادر الى الاسلام (وممن) سبقوا الى الاسلام صهيب الرومي وكان من الموالي وعمار بن ياسر العنسي وقد قال رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه الاّ خمسة أعبد وامرأتان وابو بكر وكذلك اسلم ابوه ياسر وأمهُ سُمَيَّة (ومن) السابقين الاوّلين عبد الله بن مسعود كان يرعى الغنم لبعض مشركي قريش فلما رأى الآيات الباهرة وما يدعو اليه عليه السلام من مكارم الاخلاق ترك عبادة الاوثان ولزم رسول الله وكان رضي الله عنه كثير الدخول على الرسول لايحجب ويمشي امامه ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس ادخلهما في ذراعيه (ومن) السابقين الاولين ابو ذرّ الغِفاري وكان من اعراب البادية فصيحاً حلو الحديث ولما بلغه مبعث رسول الله قال لاخيه اركب الى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم انهُ نبي يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله ثم أئتني فانطلق الاخ حتى قدم مكة وسمع من قول الرسول ثم رجع الى ابي ذرّ فقال رأيته يأمر بمكارم الاخلاق ويقول كلاماً ما هو بالشعر فقال ما شفيتني

مما أردت فتزوّد وحمل قربة له فيها ماء حتى قدم مكة فاتى المسجد فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه وكره ان يسأل عنه لما يعرفه من كراهة قريش لكل من يخاطب رسول الله حتى اذا ادركه الليل رآه عليّ فعرف انه غريب فاضافه عنده ولم يسأل احد منهما صاحبه عن شيء (على قاعدة الضيافة عند العرب لا يسأل الضيف عن سبب قدومه الاّ بعد ثلاث) فلما اصبح احتمل قربته وزاده الى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه الرسول حتى امسي فعاد الى مضجعه فمرّ به عليّ فقال اما نال للرجل ان يعرف منزله الذي اضيف به بالامس فاقامه فذهب معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى اذا كان اليوم الثالث عاد على مثل ذلك ثم قال له عليّ الا تحدثني ما الذي اقدمك قال ان اعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت ففعل فاخبره قال فانهُ حق وهو رسول الله فاذا اصبحت فاتبعني فاني ان رأيت شيئاً اخافه عليك قمت كأني اريق الماء فان مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل فانطلق يتبع اثره حتى دخل على النبي ودخل معه فسمع من قوله واسلم مكانه فقال له النبي ارجع الى قومك فأخبرهم حتى يأتيك امري قال والذي نفسي بيده لاصرُخنّ بها بين ظهرانيهم فخرج حتى اتى المسجد فنادى باعلى صوته أشهد ان لا اله الاّ الله وان محمداً رسول الله فقام القوم فضربوه حتى اضجعوه واتى العباس فأكبَّ عليه وقال ويلكم أولستم تعلمون انهُ من غِفار وان طريق تجارتكم الى الشام عليه فانقذه

منهم ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا اليه فأكب العباس عليه (رواه البخاري) كان رضي الله عنه من اصدق الناس قولاً وازهدهم في الدنيا (ومن) السابقين سعيد بن زيد العدوي القرشي وزوجه فاطمة بنت الخطاب اخت عمر وام الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية زوج العباس بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي القرشي ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجه ام سلمة وعثمان بن مظعون الجمحي القرشي واخواه قدامة وعبد الله والأرقم بن ابي الارقم المخزومي القرشي (ومن) السابقين الاولين خالد بن سعيد بن العاص بن امية بن عبد الشمس الاموي القرشي . كان ابوه سيد قريش اذا اعتم لم يعتم قرشي اجلالاً له وكان سعيد قد رأى في منامه انه سيقع في هاوية فأدركه رسول الله وخلصه منها فجاء اليه وقال الامَ تدعو يا محمد قال ادعوك الى عبادة الله وحده لا شريك له وان تخلع ما انت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع والاحسان الى والديك وان لا تقتل ولدك خشية الفقر وان لا تقرب الفاحشة ما ظهر منها وما بطن وان لا تقتل نفساً حرّم الله قتلها الا بالحق وان لا تقرب مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه وان توفي الكيل والميزان بالقسط وان تعدل في قولك ولو حكمت على ذوي قرباك وان توفي لمن عاهدت فأسلم رضي الله عنه

وحينئذٍ غضب عليه ابوه وآذاه حتى منعه القوت فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه و يعيش معه ويغيب عن ابيه في ضواحي مكة واسلم بعده اخوه عمرو بن سعيد . وهكذا دخل هؤلاء الاشراف في دين الاسلام ولم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف يضرب به اعناقهم حتى يطيعوه صاغرين وليس معه ما يرغب فيه حتى يترك هؤلاء العظماء آباءهم .وذوي الثروة منهم و يتبعوا الرسول ليأ كلوا من فضل ماله بل كان الكثير منهم واسع الثروة أ كثر منهُ عليه السلام كابي بكر وعثمان وخالد بن سعيد وغيرهم والذين اتبعوه من الموالي اختاروا الاذى والجوع والمشقات مع اتباع الرسول بحيث لو اتبعوا ساداتهم لكانوا في هـذه الدنيا أهدأ بالاً وانعم عيشة اللهم ليس ذلك الا من هداية الله وسطوع انوار الدين عليهم حتى ادركوا ما هم عليه من الضلالة وما عليه رسول الله من الهدى .

الجهر بالتبليغ

مضت كل هذه المدة والنبي عليهِ السلام لا يظهر الدعوة في مجامع قريش العمومية ولم يكن المسلمون يتمكنون من اظهار عبادتهم حذراً من تعصب قريش فكان كل من اراد العبادة ذهب الى شعاب مكة يصلي مستخفياً . ولما دخل في الدين ما يربو على الثلاثين وكان من

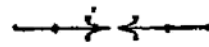
اللازم اجتماع الرسول بهم ليرشدهم ويعلمهم اختار لذلك دار الارقم بن أبي الارقم وهو ممن ذكرنا اسلامهم ومكث عليه السلام يدعو سراً حتى نزل عليه قوله تعالى في سورة الحجر (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فبدل الدعوة سراً بالدعوة جهراً ممتثلاً أمر ربه واثقاً بوعده ونصره فصعد على الصفا فجعل ينادي يابني فهر يا بني عدي لبطون قريش فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج أرسل رسولاً لينظر الخبر فجاء أبو لهب بن عبد المطلب وقريشاً فقال عليه السلام أرأيتم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ قالوا نعم ما جربنا عليك كذباً قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تباً لك ألهذا جمعتنا فانزل الله في شانهِ (تبت يدا ابي لهب وتبّ ما أغنى عنهُ ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأتهُ حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) والقصد من حمل الحطب المشي بالنميمة لانها كانت تقول على رسول الله الأكاذيب في نوادي النساء • ثم نزل عليهِ في سورة الشعراء (وأنذر عشيرتك الاقربين) وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل وبنو عبد شمس أولاد عبد مناف (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوْك) أي العشيرة الاقربون (فقل اني بريء مما تعملون) فجمعهم عليهِ السلام وقال لهم ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم والله الذي لا اله الا هو

اني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتنّ كما تنامون ولتبعثنّ كما تستيقظون ولتحاسبنّ بما تعملون ولتجزونّ بالاحسان احساناً و بالسوء سوءاً وانها لجنة أبداً أو لنار أبداً فتكلم القوم كلاماً ليناً غير عمه أبي لهب الذي كان خصماً لدوداً فانه قال خذوا على يديه قبل ان تجتمع عليه العرب فان اسلمتموه اذا ذللتم وان منعتموه قتلتم فقال أبوطالب والله لنمنعنهُ ما بقينا ثم انصرف الجمع

ولما جهر رسول الله عليه الصلاة والسلام بالدعوة سخرت منه قريش واستهزؤا به في مجالسهم فكان اذا مر عليهم يقولون هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء وهذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء لا يزيدون على ذلك فلما عاب آلهتهم وسفه عقولهم وقال لهم والله ياقوم لقد خالفتم دين أبيكم ابراهيم ثارت في رؤسهم حمية الجاهلية غيرةً على تلك الآلهة التي كان يعبدها آباؤهم فذهبوا الى عمه أبي طالب سيد بني هاشم الذي أخذ على نفسهِ حمايته من أيدي أعدائه فطلبوا منهُ أن يخلي بينهم و بينهُ أو يكفه عما يقول فردهم رداً جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله لما يريده لا يصده عن مراده شيء فتزايد الامر واضمرت قريش الحقد والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحث بعضهم بعضاً على ذلك ثم مشوا الى أبي طالب مرة أخرى وقالوا له ان لك سناً وشرفاً ومنزلة مناوانا قد طلبنا منك أن تنهي ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه عقولنا وعيب

آلهتنا فانهم كانوا اذا احتجوا في استمرارهم على عدم اتباع الحق ذمهم لعدم استعمال عقولهم فيما خلقت له قال تعالى في سورة البقرة (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليهِ آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) وقال في سورة المائدة (واذا قيل لهم تعالَوْا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليهِ آباءنا أو لوكان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون). وقال في سورة لقمان (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) وقال في سورة الزخرف في بيان حججهم الداحضة (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) ولما شبههم بمن قبلهم من الامم في هذه المقالة الدالة على التعصب والعناد قال (قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) فلما تمسكوا بحجة التقليد لآبائهم جر ذلك الى وصف آبائهم بعدم العقل وعدم الهداية فهاج ذلك أضغانهم وقالوا لابي طالب اما ان تكفه أو ننازله واياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا فعظم على ابي طالب فراق قومه ولم يطب نفساً بخذلان ابن اخيه فقال له يا ابن اخي ان القوم جاؤني فقالوا لي كذا فأبقِ على نفسك ولا تحملني من الامر ما لا اطيق فظن الرسول ان عمه خاذله فقال والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر ما فعلت حتى يظهره الله او اهلك

دونه ثم بكى وولى فقال ابو طالب اقبل يا ابن اخي فأقبل عليه فقال اذهب فقل ما احببت والله لا اسلمك



الايذاء

ورأى رسول الله من المشركين كثير الاذى وعظيم الشدة خصوصاً اذا ذهب الى الصلاة عند البيت وكان من اعظمهم أذى لرسول الله جماعة سموا لكثرة أذاهم بالمستهزئين (فأولهم) واشدهم ابو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي قال يوماً يا معشر قريش ان محمداً قد اتى ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه احلامكم وسب آبائكم اني اعاهد الله لاجلسن له غداً بحجر لا اطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت بهِ رأسهُ فاسلموني عند ذلك او امنعوني فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فلما اصبح اخذ حجراً كما وصف ثم جلس لرسول الله ينتظره وغدا عليه السلام كما كان يغدو الى صلاته وقريش في انديتهم ينتظرون ما ابو جهل فاعل فلما سجد عليهِ السلام احتمل ابو جهل الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونهُ من الفزع ورمى حجره من يده فقام اليه رجال من قريش فقالوا مالك يا ابا الحكم قال قمت اليه لأفعل ما قلت لكم فلما دنوت منهُ عرض لي فحل من الإبل والله ما رأيت مثله قط همّ بي ان يأكلني

فلما ذكر ذلك لرسول الله قال ذاك جبريل ولو دنا لاخذه وكان ابو جهل كثيراً ما ينهى الرسول عن صلاته في البيت فقال له مرة بعد ان رآه يصلي ألم انهك عن هذا فأغلظ له رسول الله القول وهدّده فقال اتهددني وأنا اكثر اهل الوادي نادياً فأنزل الله تهديداً له في آخر سورة اقرأ (كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب) ومن اذيته للرسول ما حكاه عبد الله بن مسعود من رواية البخاري قال كنا مع رسول الله في المسجد وهو يصلي فقال أبو جهل الا رجل يقوم الى فرْث جزور بني فلان فيلقيهِ على محمد وهو ساجد فقام عقبة بن ابي مُعَيْط بن ابي عمرو ابن أمية بن عبد شمس وجاء بذلك الفرث فالقاه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فلم يقدر احد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على القائه عنه لضعفهم عن مقاومة عدوهم ولم يزل عليه السلام ساجداً حتى جاءت فاطمة بنته فاخذت القذر ورمته فلما قام دعا على من صنع هذا الصنع القبيح فقال اللهم عليك الملأ من قريش وسمى اقواماً قال ابن مسعود فرأيتهم قتلوا يوم بدر . ومما حصل لرسول الله مع أبي جهل ان هذا ابتاع اجمالاً من رجل يقال له الأراشي فمطله باثمانها فجاء الرجل مجمع قريش يريد منهم مساعدة على اخذ ماله فدلوه على رسول الله لينصفه من أبي جهل استهزاء لما يعلمونهُ من افعال ذاك الشقي بالرسول . فتوجه الرجل اليه وطلب منهُ المساعدة على ابي جهل فخرج معه حتى

ضرب عليه بابه فقال من هـذا قال محمد فخرج منتقعاً لونهُ فقال له الرسول أعط هذا حقهُ فقال ابو جهل لا تبرح حتى تأخذه فلم يبرح الرجل حتى أخذ دينه فقالت قريش ويلك يا أبا الحكم ما رأينا مثل ما صنعت قال ويلكم والله ما هو الا ان ضرب على بابي حتى سمعت صوتاً ملئت منهُ رعباً وان فوق رأسي فحلاً من الابل ما رأيت مثله (ومن جماعة المستهزئين) ابو لهب بن عبد المطلب عم رسول الله كان اشد عليهِ من الاباعد فكان يرمي القذر علي بابه لانهُ كان جاراً له فكان الرسول يطرحه و يقول يا بني عبدمناف ايّ جوار هذا وكانت تشاركه في قبيح عمله زوجه ام جميل بنت حرب بن أمية فكانت كثيراً ما تسب رسول الله وتتكلم فيه بالنمائم وخصوصاً بعد ان نزل فيها وفي زوجها سورة أبي لهب (ومن) المستهزئين عقبة بن أبي معيط كان الجار الثاني لرسول الله وكان يعمل معه كأبي لهب صنع مرة وليمة ودعا لها كبراء قريش وفيهم رسول الله فقال عليه السلام والله لا آكل طعامك حتى تؤمن بالله فتشهد فبلغ ذلك أبيّ بن خلف الجمحي القرشي وكان صديقاً له فقال ما شيء بلغني عنك قال لا شيء دخل منزلي رجل شريف فابى ان يأكل طعامي حتى اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له قال أبيّ وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمداً فلم تطأ عنقه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فلما رأى عقبة رسول الله فعل به ذلك فأنزل الله فيه في سورة الفرقان (ويوم يعض الظالم

على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولاً) ومن اشد ما صنعه ذلك الشقي برسول الله ما رواه البخاري في صحيحه قال بينما النبي يصلي في حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن ابي معيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال (أتقتلون رجلاً أن يقول ربيَ الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) (ومن) جماعة المستهزئين العاصي بن وائل السهمي القرشي والد عمرو بن العاص كان شديد العداوة لرسول الله وكان يقول غرّ محمد اصحابه ان يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر فقال الله رداً عليه في دعواه في سورة الجاثية (وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر مالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) وكان عليه دين لخباب ابن الارت احد رجال المسلمين فتقاضاه اياه فقال العاصي أليس يزعم محمد هذا الذي أنت على دينه ان في الجنة ما يبتغي أهلها من ذهب أو فضة او ثياب او خدم قال خباب بلى قال فانظرني الى هذا اليوم فسأوتىَ مالاً وولداً وأقضيك دينك فانزل الله فيه في سورة مريم (افرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتينّ مالاً وولداً أطلعَ الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً كلا سنكتب ما يقول ونمدّ لهُ من العذاب مداً ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً) (ومن) جماعة المستهزئين الاسود بن

عبد يغوث الزهري القرشي من بني زهرة اخوال رسول الله كان اذا رأى اصحاب النبي مقبلين يقول قد جاءكم ملوك الارض استهزاء بهم لانهم كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن وكان يقول لرسول الله سخرية اما كلمت اليوم من السماء (ومنهم) الاسود بن المطلب الاسدي ابن عم خديجة كان هو وشيعته اذا مر عليهم المسلمون يتغامزون وفيهم نزل في سورة التطفيف (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنو يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) (ومنهم) الوليد بن المغيرة عم ابي جهل كان من عظماء قريش وفي سعة من العيش سمع القرآن مرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقومه بني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانهُ يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد لتصبأن قريش كلها فقال ابو جهل انا اكفيكموه فتوجه وقعد اليه حزيناً وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمداً مجنون فهل رأيتموه يهوس وتقولون انهُ كاهن فهل رأيتموهُ يتكهن وتزعمون انهُ شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لاثم قالوا فما هو ففكر قليلاً ثم قال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فارتج النادي

فرحاً فانزل الله في شأن الوليد في سورة المدّثر مخاطباً لرسوله (ذرني ومن خلقت وحيداً . وجعلت له مالاً ممدوداً . و بنين شهوداً . ومهدت له تمهيداً . ثم يطمع ان ازيد . كلا انهُ كان لآياتنا عنيداً . سأرهقه صعوداً انهُ فكر وقدّر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر ثم عبس و بسر . ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الاسحر يؤثر . ان هذا الا قول البشر . سأصليه سقر) وانزل فيه ايضاً في سورة ن (ولا تطع كل حلاّف) كثير الحلف وكفى بهذا زاجراً لمن اعتاد الحلف (مهين) حقير واراد به الكذاب لانهُ حقير في نفسه (هماز) عياب طعان (مشاء بنميم) ينقل الاحاديث للافساد بين الناس (مناع للخير معتد أثيم . عتلٍّ) غليظ جاف (بعد ذلك زنيم) دخيل (ان كان ذا مال وبنين . اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين . سنسمه على الخرطوم) كناية عن الاذلال والتحقير لان الوجه اكرم عضو والانف اشرف ما فيه ولذلك اشتقوا منهُ كل ما يدل على العظمة كالانفة وهي الحمية فالوسم على اشرف عضو دليل الاذلال والاهانة (ومن) المستهزئين النضر بن الحارث العبدري من بني عبد الدار بن قصيّ كان اذا جلس رسول الله مجلساً للناس يحدثهم ويذكرهم ما اصاب من قبلهم قال النضر هلموا يا معشر قريش فاني احسن منه حديثاً ثم يحدث عن ملوك فارس وكان يعلم احاديثهم ويقول ما احاديث محمد الاّ اساطير الاولين وفيه نزل في سورة لقمان (ومن الناس من يشتري لهوَ الحديث ليضل

عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزُواً أولئك لهم عذاب مهين . واذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها كأنّ في أذنيه وَقراً فبشره بعذاب أليم) وكل هؤلاء انتقم الله منهم كما قال تعالى في التنزيل في سورة الحجر (انا كفيناك المستهزئين * الذين يجعلون مع الله الهاً آخر فسوف يعلمون) وقد وضع الله جل ذكره الوعد في صورة الماضي للتحقق من وقوعه لان الآية مكية وهلاك هذه الفئة كان بعد الهجرة فمنهم من قتل كأبي جهل والنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ومنهم من ابتلاه الله بأمراض شديدة فهلك منها كأبي لهب والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة

إسلام حمزة

وكان بعض ايذائهم هذا سبباً لاسلام عمه حمزة بن عبد المطلب فقد أدركتهُ الحمية عند ما عيرتهُ بعض الجواري بايذاء أبي جهل لابن أخيه فتوجه الى ذلك الشقي وغاضبه وسبه وقال كيف تسب محمداً وأنا على دينه ثم أنار الله بصيرته بنور اليقين حتى صار من أحسن الناس اسلاماً وأشدهم غيرة على المسلمين وأقواهم شكيمة على أعداء الدين حتى سمي أسد الله

وكما أوذي الرسول عليه الصلاة والسلام أوذي أصحابه لاتباعهم له وخصوصاً من ليس له عشيرة تحميه وترد كيد عدوه عنه وكل هذا

الاذى كان حلواً فى أعينهم مادام فيه رضا الله فلم يفتنوا عن دينهم بل ثبتهم الله حتى أتم أمره على أيديهم وصاروا ملوك الارض بعد أن كانوا مستضعفين فيها كما قال جل ذكره في سورة القصص (ونريدُ أن نَمُنَّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) وقد حقق ما أراد (ومن) الذين أوذوا في الله بلال بن رباح كان مملوكاً لامية بن خلف الجمحي القرشي فكان يجعل في عنقه حبلاً ويدفعهُ الى الصبيان يلعبون به وهو يقول أحدٌ أحدٌ لم يشغله ما هو فيه عن توحيد الله وكان أمية يخرج به فى وقت الظهيرة في الرّمضاء وهي الرمل الشديد الحرارة لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول أحدٌ أحدٌ • مر به أبو بكر يوماً فقال يا أمية أما تتقي الله في هذا المسكين حتى متى تعذبهُ قال أنت أفسدته فانقذه مما ترى فاشتراه منه وأعتقه فأنزل الله فيه وفي أمية في سورة الليل (فأنذرتكم ناراً تلظى • لا يصلاها الا الاشقى) أمية ابن خلف (الذي كذب وتولى • وسيجنبها الاتقى) الصديق (الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى • الا ابتغاء وجه ربه الاعلى • ولسوف يرضى) بما يعطيه الله في الاخرى جزاء أعماله . وقد نبه الله جل ذكره على أن بذل الصديق ماله في شراء بلال وعتقه لم يكن الا ابتغاء وجه ربه وكفى بهذا شرفاً وفضلاً للصديق رضي الله

عنه وأرضاه وقد أعتق غير بلال جماعة من الارقاء أسلموا فعاقبهم مواليهم (منهم) حمامة أم بلال وعامر بن فهيرة كان يعذب حتى لايدري ما يقول وأبو فكيهة كان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف (ومنهم) امرأة تسمى زنيرة عذبت في الله حتى عميت فلم يزدهاذلك الا ايماناً وكان أبو جهل يقول ألا تعجبون لهؤلاء وأتباعهم لو كان ما أتى به محمد خيراً ما سبقونا اليه أفتسبقنا زنيرة الى رشد فأنزل الله في سورة الاحقاف (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ماسبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) (وممن) أعتق أبو بكر بعد شرائه أم عنيس كانت أمة لبني زهرة وكان يعذبها الاسود بن عبد يغوث (وممن) عذب في الله عمار بن ياسر وأخوه وأبوه وأمه كانوا يعذبون بالنار فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صبراً آل ياسر فموعدكم الجنة اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت أما أبو عمار وأمه فماتا تحت العذاب رحمهما الله وأما هو فثقل عليه العذاب فقال بلسانه كلمة الكفر فان أبا جهل كان يجعل له دروع الحديد في اليوم الصائف ويلبسه اياها فقال المسلمون كفر عمار فقال عليه السلام عمار ملئ ايماناً من فرقه الى قدمه وأنزل الله في شأنه استثناء في حكم المرتد فقال جل ذكره في سورة النحل (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) (وممن) أوذي في الله خباب بن

الارتّ سبي في الجاهلية فاشترتهُ أم انمار وكان حداداً وكان النبي يألفه قبل النبوّة فلما شرفه الله بها أسلم خباب فكانت مولاته تعذبهُ بالنار فتأتي بالحديدة المحماة فتجعلها على ظهره ليكفر فلا يزيده ذلك الا ايماناً وجاء خباب مرة الى رسول الله وهو متوسد برده في ظل الكعبة فقال يارسول الله ألا تدعو الله لنا فقعد عليه السلام محمراً وجهه فقال انهُ كان من قبلكم ليمشط احدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ويوضع المنشار على فرق رأس أحدهم فيشق ما يصرفهُ ذلك عن دينه وليظهرن الله تعالى هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه قال ذلك عليه السلام وهو في هذه الحال الشديدة التي لا يتصوّر فيها أعقل العقلاء وأنبل النبلاء قوّة منتظرة أو سعادة مستقبلة اللهم الا أن ذلك وحي يوحى اليه ثم أنزل الله تعالى تثبيتاً للمؤمنين أول سورة العنكبوت (آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون • ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين) (وممن) أوذي في الله أبو بكر الصديق ولما اشتدّ عليه الاذى أجمع أمره على الهجرة من مكة الى جهة الحبشة فخرج حتى أتى برك الغماد (١)

(١) موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر وقيل موضع في اقصى اراضي هجر اه من ياقوت

فلقيهُ ابن الدُّغنة وهو سيد قبيلة عظيمة اسمها القارة فقال الى أين ياأبا بكر فقال أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الارض وأعبد ربي فقال ابن الدغنة مثلك ياأبا بكر لا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار وارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل ابن الدغنة معه وطاف في أشراف قريش فقال لهم أبو بكر لا يخرج مثله أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا له مرْ أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها ما شاء وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منهُ وينظرون اليه وكان رجلاً بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش فأرسلوا الى ابن الدُّغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا قد أجرنا أبا بكر بجوارك على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه بفناء داره فعل وان ابى الا ان يعلن ذلك فسله ان يرد اليك ذمتك

فانا قد كرهنا ان نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان فأتى ابن الدغنة ابا بكر فقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع اليّ ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني اخفرت في رجل عقدت له فقال ابو بكر فاني ارد عليك جوارك وارضى بجوار الله (رواه البخاري) وكان ذلك سبباً لايصال اذى عظيم الى ابي بكر رضي الله عنه . و بالجملة فلم يخلُ احد من المسلمين من اذية لحقته ولكن كل ذلك ضاع سدىً تلقاء ثباتهم وعظيم ايمانهم فانهم لم يسلموا لغرض دنيويّ يرجون حصوله فيسهل ارجاعهم ولكن وفقهم الله لادراك حقيقة الايمان فراوا كل شيءٍ دونهُ سهلاً

ولما راى كفار قريش ان ذلك الاذى لم يجدِهم نفعاً بل كلما زادوا المسلمين اذى ازداد يقينهم اجتمعوا للشورى فيما بينهم فقال لهم عتبة بن ربيعة العبشمي من بني عبد شمس بن عبد مناف وكان سيداً مطاعاً في قومه يامعشر قريش الا اقوم لمحمد فأكلمهُ واعرض عليه اموراً عله يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا فقالوا ياابا الوليد فقم اليه فكلمه فذهب الى رسول الله وهو يصلي فى المسجد وقال يا ابن اخي انك منا حيث قد علمت من خيارنا حسباً ونسباً وانك قد اتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت احلامهم وعبت آلهتهم ودينهم وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع مني اعرض عليك اموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال عليه السلام قل ياابا الوليد اسمع

فقال ياابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالاً جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالاً وان كنت تريد شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع امراً دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئي من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيهِ اموالنا حتى نبرئك منهُ فانهُ ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى فقال عليهِ السلام لقد فرغت ياابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني فقرأ رسول الله صلى الله عليهِ وسلم اول سورة فصلت

(بسم الله الرحمن الرحيم حمٓ تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً فأعرض اكثرهم فهم لا يسمعون • وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل انما انا بشر مثلكم يوحى اليّ أنما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين • الذين لايؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين • وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين • ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرهاً قالتا أتينا طائعين • فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل

سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم.
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل
من بين ايديهم ومن خلفهم ألاَّ تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل
ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون) فأمسك عتبة بفيهِ وناشده الرحم ان
يكف عن ذلك فلما رجع عتبة سألوه فقال والله لقد سمعت قولاً ما
سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر يامعشر
قريش اطيعوني فاجعلوها لي خلوا بين الرجل وبين ما هو فيهِ فاعتزلوه
فوالله ليكونن لكلامهِ الذي سمعت نبأ فان تصبهُ العرب فقد كفيتموه
بغيركم وان يظهر على العرب فعزه عزكم فقالوا لقد سحرك محمد فقال
هذا رأيي (ثم) عرضوا عليه بعد ذلك ان يشاركهم في عبادتهم
ويشاركونهُ في عبادتهِ فأنزل الله في ذلك (قل ياايها الكافرون لااعبد
ماتعبدون . ولا انتم عابدون ما اعبد . ولا انا عابد ما عبدتم. ولا انتم
عابدون ما اعبد . لكم دينكم وليَ دين) فلا تتوهموا اني اجيبكم
لطلبكم من الاشراك بالله فأيسوا منه وطلبوا بعد ذلك ان ينزع من
القرآن ما يغيظهم من ذم الاوثان والوعيد الشديد فيأتي بقرآن غيره
او يبدّله فأنزل الله جواباً لهم في سورة يونس (قل ما يكون لي ان
ابدّلهُ من تلقاء نفسي ان اتبع الاّ ما يوحى اليّ) • وقد حصل له مع
كفار قريش نادرة تكون لمن استهان بالضعيف كمصباح يستضيء به
وهي انه بينما الرسول عليه السلام مع كبراء قريش واشرافهم يتألفهم

ويعرض عليهم القرآن وما جاء به من الدين اذ أقبل عليه عبد الله بن أم مكتوم الاعمى وهو ممن أسلموا قديماً والنبي مشتغل بالقوم وقد لقي منهم مؤانسة حتى طمع في اسلامهم فقال له عبد الله يارسول الله علمني مما علمك الله وا كثر عليه القول فشق ذلك على الرسول وكره قطعه لكلامه وخاف عليه السلام ان يكون التفاته لذلك المسكين ينفر عنه قلب اولئك الاشراف فأعرض عنه فعاتبه الله على ذلك بقوله اول سورة عبس (عبس وتولى أن جاءه الاعمى . وما يدريك لعله يزكي او يذكر فتنفعه الذكرى . اما من استغنى . فأنت له تصدّى . وماعليك ألاّ يزكي . واما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى) فما عبس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها في وجه فقير وكان اذا اقبل عليه عبد الله بن ام مكتوم يقول له مرحباً بمن عاتبني فيه ربي

ولما راى المشركون ان هذه المطالب التي يعرضونها لا تقبل منهم ارادوا ان يدخلوا من باب آخر وهو تعجيز الرسول بطلب الآيات فاجتمعوا وقالوا يامحمد ان كنت صادقاً فأرنا آية نطلبها منك وهي ان تشق لنا القمر فرقتين فأعطاه الله هذه المعجزة وانشق القمر فرقتين فقال رسول الله اشهدوا وهذه القصة رواها عبد الله بن مسعود وهو من السابقين الاولين رويت عنه من طرق كثيرة ورواها عبد الله بن عباس وغيره ورواها عنهم جمع غزير حتى صار الحديث كالمتواتر وقد ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى اوّل سورة القمر (اقتربت الساعة

وانشق القمر) فحينما راى المعاندون هذه الآية الكبرى قال بعضهم لقد سحركم ابن ابي كبشة فأنزل الله فيهم (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) ثم سألوا الرسول بعد ذلك آيات لا يقصدون بذلك الا التعنت والعناد فمنها انقالوا كما في سورة الاسراء (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً . او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيراً . او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً او تأتي بالله والملائكة قبيلا . او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه) ولم يجيبهم الله الا بقوله (قل سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولا) لان الله علم ما تكنهُ جوانحهم من التعصب والعناد فلا يؤمنون مهما جاءهم من البينات كما قال جل ذكره في سورة الانعام (وما يُشعركم انها اذاجاءت لا يؤمنون) وكيف يرجى الخير ممن قالوا كما في سورة الانفال (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم) ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه وهذه سنة من سنن الانبياء اذا رأوا من طلاّب الآيات عناداً وانهم يطلبونها تعجيزاً لا يسألون الله انفاذ هذه الآيات كيلا يحل بقومهم الهلاك كما حصل لعاد وثمود وغيرهم وهذا هو المراد من قوله تعالى في سورة الاسراء (وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون) وقد حصل للمسيح عليه السلام انهُ لما وقف امام هيرودس

طلب منه آية فلم يجبه الى طلبه فلما راى ذلك سخر منه ورده الى عدوه بيلاطس بعد ان كان يأسف عليه ويتمنى لقاءه وذلك مذكور في الاصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا (هذا) ولما راى المشركون ضعفهم عن مقاومة المسلمين بالبرهان تحوّلوا الى سياسة القوة التي اختارها قوم ابراهيم عند ما عجزوا عنه حيث (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم) كما في سورة الانبياء اما هؤلاء فازدادوا بالاذى على كل من اسلم رجاء صدهم عن اتباع الرسول عليه السلام ولم يتركوا باباً الا ولجوه فقال عليه السلام لاصحابهِ تفرقوا في الارض فان الله سيجمعكم فسألوه عن الوجه فأشار الى ارض الحبشة

هجرة الحبشة الاولى

فعند ذلك تجهز ناس للخروج من ديارهم واموالهم فراراً بدينهم كما اشار عليه السلام وهذه هي اول هجرة من مكة وعدة اصحابها عشرة رجال وخمس نسوة وهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله وابو سلمة وزوجه ام سلمة واخوه لامه ابو سبرة بن ابي رهم وزوجه ام كلثوم وعامر بن ربيعة وزوجه ليلى وابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وزوجه سهلة بنت سهل وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون ومصعب بن عمير وسهيل بن البيضاء والزبير بن العوّام وجلهم من قريش وكان عليهم فيما روى ابن هشام عثمان بن مظعون. فساروا على

بركة الله ولما انتهوا الى البحر استأجروا سفينة اوصلتهم الى مقصدهم فأقاموا آمنين من اذى يلحق بهم من المشركين ولم يبق مع النبي عليه السلام الا القليل



اسلام عمر

وفي ذلك الوقت أسلم الشهم الهمام عمر بن الخطاب العدوي القرشي بعد ما كان عليه من كراهية المسلمين وشدة أذاهم . قالت ليلى احدى المهاجرات لارض الحبشة مع زوجها كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في اسلامنا فلما ركبت بعيري أريد أن أتوجه الى ارض الحبشة اذا انا به فقال لي الى اين ياام عبد الله فقالت قد آذيتمونا في ديننا نذهب في ارض الله حيث لا نؤذى فقال صحبكم الله فلما جاء زوجي عامر اخبرته بما رايت من رقة عمر فقال ترجين ان يسلم والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب وذلك لما كان يراه من قسوته وشدته على المسلمين ولكن حصلت له بركة دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم فانهُ قال قبيل اسلامه اللهم اعزّ الاسلام بعمر وكان اسلامهُ في دار الارقم بن ابي الارقم التي كان المسلمون يجتمعون فيها وقد حقق الله باسلامه ما رجاه عليه السلام فقد قال عبد الله بن مسعود من رواية البخاري (ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر) فانهُ طلب من رسول الله ان يعلن صلاتهِ في المسجد ففعل وقد ادرك الكفار كابة شديدة

حينما رأوا عمر اسلم وكانوا قد ارادوا قتله حتى اجتمع جمع منهم حول داره ينتظرونه فجاء العاص بن وائل السهمي وهو من بني سهم حلفاء بني عديّ قوم عمر وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير فقال لعمر ما بالك فقال زعم قومك انهم سيقتلونني أن اسلمت قال لاسبيل اليك فأنا لك جار فأمن عمر وخرج العاص فوجد الناس قدسال بهم الوادي فقال اين تريدون قالوا نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ قال لاسبيل اليه فرجع الناس من حيث أتوا

رجوع مهاجري الحبشة

وبعد ثلاثة اشهر من خروج مهاجري الحبشة رجعوا الى مكة حيث لا تيسر لهم الاقامة فيها لانهم قليلو العدد وفي الكثرة بعض الانس واضف الى ذلك انهم اشراف قريش ومعهم نساؤهم وهؤلاء لا يطيب لهم عيش في دار غربة بهذه الحالة

وقد اولع بعض المؤرخين بحكاية يجعلونها سبباً في رجوع مهاجري الحبشة وهي انه بلغهم اسلام قومهم حينما قرا عليهم الرسول سورة النجم وتكلم فيها كلاماً حسناً عن آلهتهم حيث قال بعد (أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الاخرى) تلك الغرانيق (جمع غرنوق وهي الطيور ويراد بها الملائكة) العلى وان شفاعتهن لترتجى فسجدوا اعظاماً لذلك وفرحاً وهذا ممـا لا تجوز روايته الا على قليلي الادراك

الذين ينقلون كل ما وجدوه غير متثبتين من صحته وها نحن نسوق لك ادلة النقل والعقل على بطلان ما ذكر . أما الحديث فسنده ومتنه قلقان فالسند قال فيه االقاضي عياض في الشفاء لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم واما المتن فليس اصحاب رسول الله ولا المشركون مجانين حتى يسمعوا مدحاً اثناء ذم ويجوز ذلك عليهم فبعد ذكر الاصنام قال (ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباءكم ما انزل الله بها من سلطان)فالكلام غير منتظم ولو كان ذلك قد حصل لاتخذه الكفار عليه حجة يحاجونه بها وقت الخصام وهم من نعرفهم من العناد فيما ليس فيه ادنى حجة فكيف بهذه وليس ذلك القيل اقل من تحويل القبلة الى الكعبة وهذا قالوا فيه ما قالوا حتى سماهم الله سفهاء وانزل فيهم في سورة البقرة (سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها)ولكن لم يسمع عن اي واحد من رجالاتهم والمتصدرين للعناد منهم ان قال مالك ذممت آلهتنا بعد ان مدحتها وكان ذلك اولى لهم من تجريد السيوف وبذل مهج الرجال على ان المؤرخين الذين ينقلون هذه العبارة ويجعلونها سبباً لرجوع مهاجري الحبشة يقولون اثناء كلامهم ان الهجرة كانت في رجب والرجوع كان في شوال ونزول سورة والنجم كان في رمضان فالمدة بين نزول السورة ورجوع المهاجرين شهر واحد والمتأمل ادنى تأمل يرى ان الشهر كان لا يكفي في ذاك الزمن للذهاب من مكة الى الحبشة والاياب منها لانه لم يكن اذ ذاك

مراكب بخارية تسهل السير في البحر ولا تلغراف يوصل خبر اسلام قريش لمن بالحبشة فلا غرابة بعد ذلك ان قلنا ان هذه الخرافة من موضوعات اهل الاهواء الذين ابتلى الله بهم هذا الدين ولكن الحمد لله فقد من علينا بحفظ كتابنا المجيد الذي يحكم بيننا وبين كل مفتر كذاب ففي السورة نفسها (وما ينطق عن الهوى) والذي يلقيه الشيطان من اقبح ما يروى فكيف يقوله عليه السلام او يجري على لسانه مما يثبت الشكوك في الوحي الامر الذي يريده السفهاء رد الله كيدهم في نحرهم . والذي ورد في الصحيح في موضوع هذا السجود ما رواه عبد الله بن مسعود ان النبي عليه السلام قرأ والنجم فسجد وسجد من كان معه الا رجلا اخذ كفاً من حصى وضعه على جبهته وقال يكفيني هذا فرأيته قتل بعد كافراً وليس في هذا الحديث ادنى دلالة على ان الذين سجدوا معه هم مشركون بل الذي يفيده قوله فرأيته قتل بعد كافراً انه كان مسلماً ثم ارتد وهذا ما حصل من بعض ضعاف القلوب الذين لم يتحملوا الاذى فكفروا منهم على بن امية بن خلف . (هذا) ولما رجع مهاجرو الحبشة الى مكة لم يتمكن من الدخول اليها الا من وجـد له مجيراً فدخل ابو سلمة في جوار خاله ابي طالب ودخل عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة وقدرد عليه جواره حينما رأى ما صنعه بالمسلمين فلم يران يكون مرتاحاً واخوانه يعذبون

كتابة الصحيفة

ولما ضاقت الحيل بكفار قريش عرضوا على بني عبد مناف الذين منهم الرسول عليه السلام دية مضاعفة ويسلمونه فأبوا عليهم ذلك ثم عرضوا على ابي طالب ان يعطوه سيداً من شبانهم يتبناه ويسلم اليهم ابن اخيه فقال عجباً لكم تعطوني ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابني تقتلونه فلما رأوا ذلك اجمعوا امرهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب ولدي عبد مناف واخراجهم من مكة والتضييق عليهم فلا يبيعونهم شيئاً ولا يبتاعون منهم حتى يسلموا محمداً للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها في جوف الكعبة فانحاز بنو هاشم بسبب ذلك في شعب ابي طالب ودخل معهم بنو المطلب سواء في ذلك مسلمهم وكافرهم ما عدا ابا لهب فانه كان مع قريش وانخذل عنهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل ابني عبد مناف فجهد القوم حتى كانوا يأكلون ورق الشجر وكان اعداؤهم يمنعون التجار من مبايعتهم وفي مقدمة المانعين ابو لهب

هجرة الحبشة الثانية

وبعد دخول الرسول وقومه الشعب امر جميع المسلمين ان يهاجروا للحبشة حتى يساعدوا بعضهم على الاغتراب فهاجر معظمهم وكانوا نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثماني عشرة امرأة وكان من الرجال جعفر بن ابي.

طالب وزوجه اسماء بنت عميس والمقداد ابن الاسود وعبد الله بن مسعود وعبيد الله بن جحش وامرأته ام حبيبة بنت ابي سفيان وتوجه لهم الذين اسلموا من جهة اليمن وهم الاشعريون ابو موسى و بنو عمه ولما رأت قريش ذلك ارسلت في اثرهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدايا الى النجاشي ليسلم المسلمين فرجعا شر رجعة ولم ينالا من النجاشي الا اهانة لما خاطبوه به من اخفار ذمته في قوم لاذوا به اما بنو هاشم فمكثوا في الشعب قريباً من ثلاث سنوات في شدة الجهد والبلاء لا يصلهم شيء من الطعام الا خفية

نقض الصحيفة

وقد قام خمسة من اشراف قريش يطالبون بنقض هذه الصحيفة الظالمة وهم هشام بن عمرو بن الحارث العامري وهو اعظمهم في ذلك بلاء وزهير بن أبي أمية المخزومي ابن عمة الرسول عاتكة والمطعم بن عدي النوفلي وأبو البختري بن هشام الاسدي وزمعة بن الاسود الاسدي. واتفقوا على ذلك ليلاً فلما أصبحوا غدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يبيعون ولا يبتاعون والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال أبو جهل كذبت فقال زمعة لابي جهل أنت والله اكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت

فقال أبو البختري صدق زمعة وقال المطعم بن عـدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك وصدق على ما قيل هشام بن عمرو فقام اليها المطعم بن عدي فشقها وكانت الارضة قد اكلتها فلم يبق فيها الا ما فيه اسم الله وقد أخبر النبي عليه السلام عمهُ أبا طالب بذلك قبل أن يفعل ماذكر فخرج القوم الى مساكنهم بعد هذه الشدة

وفود نجران

وقد وفد على الرسول بعد الخروج من الشعب وفد من نصارى نجران بلغهم خبره من مهاجري الحبشة فسارعوا بالقدوم عليه حتى يروا صفاته مع ما ذكر منها في كتبهم وكانوا عشرين رجلاً أو قريباً من ذلك فقرأ عليهم القرآن فآمنوا كلهم فقـال لهم أبو جهل ما رأينا ركباً أحمق منكم أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فصبأتم فقالوا سلام عليكم لا نجاهلكم لكم ما أنتم عليه ولنا ما اخترناه فأنزل الله في ذلك في سورة القصص (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انهُ الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة وممـا رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمـالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) وقد كان أهل مكة حينما عجزوا عن أمر رسول الله ولم يتمكنوا من مقارعة الحجة بالحجة رموه بالسحر

مرة و بالكذب أخرى و بالجنون طوراً و بالكهانة مرة كل ذلك شأن العاجز المعاند الذي لا يستحيي لمزيد عناده أن يقول (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)

وفاة خديجة رضي الله عنها

و بعد خروجه عليه السلام من الشعب بقليل وقبل الهجرة بثلاث سنين توفيت خديجة بنت خويلد زوجه رضي الله عنها كان عليه السلام كثيراً ما يذكرها و يترحم عليها ولا غرابة فهي أول نفس زكية صدقت رسول الله فيما جاء به عن ربه وقد جاء منها بأولاده كلهم ما عدا ابراهيم فمنها زينب وهي اكبر بناته تزوّجها في الجاهلية أبو العاص بن الربيع وأعقب منها أمامة التي تزوّجها على بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة ومنها رقية وأم كلثوم تزوَّجهما عثمان الاولى بمكة قبل الهجرة وهاجر بها الى الحبشة والثانية بالمدينة بعد أن ماتت اختها ومنها فاطمة وهي أصغر بناته تزوّجها علي بن أبي طالب وقد جاءت خديجة بأولاد توُفوا صغاراً ولم يعش بعد رسول الله من أولاده الاّ فاطمة عاشت بعده قليلاً ولما توفيت خديجة حزن عليها رسول الله حزناً شديداً لما كانت عليه من الرقة لرسول الله ومحاجزة الكفار عنه لما لها من الجاه في عشيرتها بني زهرة ومنها القاسم وكان به يكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر

زواج سودة

وعقد عليه السلام في الشهر الذي ماتت فيه خديجة على سودة بنت زمعة العامرية القرشية بعد أن توفى عنها زوجها وابن عمها السكران ابن عمرو وقد كانت آمنت بالله وبرسوله وخالفت أقاربها و بني عمها وهاجرت مع زوجها الى الحبشة في المرة الثانية خوف الفتنة وعقب رجوعه من هجرتهِ توفي عنها فلم يكن ثم أجمل مما صنعه الرسول بزوج رجل آمن بهِ ولو تركت لقومها مع ما هم عليه من الغلظة وكراهة الاسلام لفتنوها وكرمُ نسبها في قومها يمنعها من التزوّج برجل أقل منها نسباً وشرفاً

زواج عائشة رضي الله عنها

و بعد ذلك بشهر عقد على عائشة بنت صدّيقه أبي بكر وهي لا تتجاوز السابعة من عمرها ولم يتزوّج عليه السلام بكراً غيرها ودخل عليها بالمدينة أما سودة فدخل عليها بمكة

و بعد وفاة خديجة بنحو شهر توفي عمه أبو طالب الذي كان يمنعه من أذى اعدائهِ ومع انهُ كان لا يكذب رسول الله فيما جاء به بل يعتقد صدقه لم ينطق بالشهادتين حتى آخر لحظة من حياتهِ وفيه نزل في سورة القصص (انك لا تهدي من أحببتَ ولكنّ اللهَ يهدي مَن يشاء وهو أعلمُ بالمهتدين) ولكن لاعماله العظيمة التي عملها مع رسول

الله نرجو أن يخفف عنهُ وعدم اسلامه بل هو وغالب أقارب الرسول فيه من الحكمة ما لا يخفى فانهم لو بادروا باتباعه لقيل قوم يطلبون سيادة وفخراً ليسا لهم فجاؤا بهذا الامر المفترى ولكن لما رأى المعاندون ان متبعيه هم الغرباء عنه الذين ليسوا من عشيرتهِ بل من أعدائها أحياناً كعثمان بن عفان من بني امية لم يكن عندهم أدنى حجة يقيمونها اللهم الا دعاويهم الكاذبة التي كانوا يتمسكون بها حينما تصدعهم الحجة وهو قولهم ساحر يفرق بين المرء وزوجه وكاهن يتكهن بالغيب وقد سمى رسول الله هذا العام الذي فقد فيه زوجه وعمه عام الحزن ولما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ما لم يمكنها نيله في حياة أبي طالب واشتد الامر عليه حتى كانوا ينثرون التراب على رأسه وهو سائر ويضعون أوساخ الشاة عليه في صلاتهِ وتعلقت بهِ كفار قريش مرة يتجاذبونهُ ويقولون له أنت الذي تريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً فما تقدم أحد من المسلمين حتى يخلصهُ منهم لما هم عليه من الضعف الا أبو بكر فانهُ تقدَّم وقال أتقتلون رجلاً أن يقول ربيَ الله

هجرة الطائف

فلما رأى عليه السلام استهانة قريش به أراد أن يتوجه الى ثقيف بالطائف (١) يرجو منهم نصرة على قومه ومساعدتهِ حتى يتم أمر ربه

(١) بلد في الجنوب الشرقي من مكة

لانهم اقرب النــاس الى مكة وله فيهم خوئلة فان ام هاشم بن عبد مناف عاتكة السلمية من بني سليم بن منصور وهم حلفاء ثقيف فلمـا توجه اليهم ومعهُ مولاه زيد بن حارثة قابل رؤساءهم وكانوا ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب اولاد عمرو بن عمير الثقفي فعرض عليهم نصرته حتى يؤدى دعوته فردوا عليه رداً قبيحاً ولم ير منهم خيراً وحينذاك طلب منهم ان لا يشيعوا ذلك عنه كيلا تعلم قريش فيشتدُّ اذاهم لانهُ استعان عليهم بأعدائهم فلم تفعل ثقيف ما رجاه منهم عليه السلام بل ارسلوا سفهاءهم وغلمانهم يقفون في وجهه في الطريق ويرمونهُ بالحجارة حتى ادموا عقبه وكان زيد بن حارثة يدرأ عنه الى أن انتهى الى شجرة كرم واستظل بها وكانت بجوار بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما من اعدائه وكانا في البستان فكره رسول الله مكانهما فدعا الله قائلاً (اللهم اني أشكو اليك ضعف قوتي وهَوَانِي على النــاس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني ان لم يكن بك غضبٌ عليّ فلا أبالي) فلما رآه ابنا ربيعة رقا له وارسلا اليه بقطف من العنب مع مولي لهما نصراني اسمهُ عدّاس فلما ابتدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل قال (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال عدّاس هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقـال له عليه السلام من اي البلاد أنت وما دينك فقال نصراني من نينوي (١) فقال عليه السلام قرية

(١) بلد على شاطئ دجلة وهي آخر ماينتهي اليه العراق وامامها مدينة الموصل

الرجل الصالح يونس بن متىّ قال وما علمك بيونس فقرأ له من القرآن ما فيه قصة يونس فلما سمع ذلك عدّاس اسلم . واتى جبريل برسالة من الله جل ذكره وقال ان الله امرني ان اطيعك في قومك لما صنعوه معك فقال عليه السلام اللهمَّ اهد قومي فانهم لا يعلمون فقال جبريل صدق من سماك الرؤف الرحيم ولما كان بنخلة وفد عليه نفر من الجن يستمعون القرآن فلما سمعوه أنصتوا له ورجعوا الى قومهم منذرين وابلغوهم خبر رسول الله وفيهم نزل في سورة الاحقاف (واذْ صرفنا اليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضيَ ولوا الى قومهم منذرين . قالوا ياقومنا انا سمعنا كتاباً انزلَ من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديهِ يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعيَ اللهِ وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذابٍ أليم . ومن لا يجب داعيَ الله فليس بمعجزٍ في الارض وليس له من دونهِ اولياء اولئك في ضلال مبين) وقد قص الله قصة الجنّ بعبارة اطول في سورة سميت باسمهم اوّلها (قل أوحيَ اليَّ أنهُ استمع نفرٌ من الجنّ فقالوا انا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرُّشدِ فآمنا بهِ ولنْ نشركَ بربنا احداً)

الاحتماء بالمطعم بن عدي

ولما رجع عليه السلام من الطائف هكذا لم يتمكن من دخوله مكة

لما علمهُ كفار قريش من انهُ توجه الى الطائف يستنصر بأهليها عليهم فأرسل عليه السلام الى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف يخبره انهُ سيدخل مكة في جواره فأجاب الى ذلك وتسلح هو و بنوه وتوجهوا مع رسول الله الى المطاف فقال له بعض المشركين امجير انت ام تابع فقال بل مجير قالوا اذاً لا تخفر ذمتك

وفد دوس

وقدم على رسول الله وهو بمكة الطفيل بن عمرو الدوسي من قبيلة دوس عشيرة ابي هريرة الصحابي الشهير وكان الطفيل شريفاً في قومه شاعراً نبيلاً فلما قرأ عليه القرآن أسلم فقال لهُ رسول الله اذهب الى قومك فادعهم الى الاسلام ودعا لهم رسول الله فقال اللهم اهد دوسا فتوجه اليهم الطفيل ودعاهم فآمن بدعوته كثير منهم وستأتي وفادته على الرسول مرة ثانية بقومه في المدينة

الاسراء والمعراج

وقبل الهجرة اكرمه الله بالاسراء والمعراج اما الاسراء فهو توجهه ليلاً الى بيت المقدس بايلياء ورجوعه من ليلته واما المعراج فهو صعوده الى العالم العلوي وقد قال جمهور اهل السنة ان ذلك كان بجسمه الشريف وكانت عائشة رضي الله عنها تمنع رؤية رسول الله

ربه وتقول من قال ان محمداً رأى ربه فقد اعظم الفرية على الله والاسراء مذكور في القرآن الكريم قال تعالى في اول سورة الاسراء (سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) واما المعراج فقد ورد في صحيح السنة واصح احاديثه ما رواه الشيخان ونقله القاضي عياض في شفائه عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فاتاني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة يحيي وعيسى ابن مريم فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا واذا انا بيوسف واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة

وذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي ودعالي بخير قال تعالى في سورة مريم (ورفعناه مكاناً علياً) ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسنداً ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا اوراقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من امر ربي ماغشيها تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحي الله اليّ ما اوحى ففرض عليّ وعلى امتي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل قبلك وخبرتهم قال فرجعت الى ربي قلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمساً فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمساً قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال سبحانه يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن همّ بحسنة فعملها كتبت له عشراً ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئاً ومن همّ

بسيئة فعملها كتبت له سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى.
فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه ثم رجع عليه السلام من ليلته فلما اصبح غدا الى نادي قريش فجاء اليه ابو جهل بن هشام فحدثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جرى له فقال ابو جهل يابني كعب بن لؤيّ هلموا فاقبل عليه كفار قريش فاخبرهم الرسول الخبر فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وانكاراً وارتدّ ناس ممن كان آمن به من ضعاف القلوب وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي من ذلك اليوم صديقاً ثم قام الكفار يمتحنون رسول الله فسألوه نعت بيت المقدس وفيهم رجال رأوه اما رسول الله فلم يكن رآهُ قبل ذلك فجلاه الله له فصار يصفه لهم باباً باباً وموضعاً موضعاً فقالوا اما النعت فقد اصاب فاخبرنا عن عيرنا وكانت لهم عيرٌ قادمة من الشام فأخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أوْرَق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت فقال آخر وهذه والله العير قد. اقبلت يقدمها جمل أوْرَق كما قال محمد ثم لم يزدهم ذلك الاّ كفراً وعناداً حتى قالوا هذا سحرٌ مبين وفي صبيحة ليلة الاسراء جاء جبريل. وعلم رسول الله كيفية الصلاة واوقاتها فيصلي ركعتين اذا ظهر الفجر

واربع ركعات اذا زالت الشمس ومثلها اذا ضوعف ظل الشيء وثلاثاً اذا غربت وأربعاً اذا غاب الشفق الاحمر وكان عليه السلام قبل مشروعية الصلاة يصلي ركعتين صباحاً ومثلهما مساء كما كان يفعل ابراهيم عليه السلام

العرض على القبائل

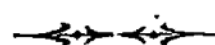
ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجد من قريش منعه من تأدية الرسالة وتسلط الكبر والعظمة على قلوبهم أراد الله ان يظهر امر هذا الدين على ايدي غيرهم من العرب فكان عليه السلام يخرج في المواسم العربية (وهي اسواق كانت العرب تعقدها للتجارة والمفاخرة) ويعرض نفسه على القبائل ليحموه حتى يؤدي رسالة ربه فكان بعضهم يرد رداً جميلاً وآخرون رداً قبيحاً وكان من اقبح القبائل رداً بنو حنيفة رهط مسيلمة الكذاب وطلب منه بنو عامر ان هم آمنوا به ان يجعل لهم امر الرياسة من بعده فقال لهم الامر لله يضعه حيث يشاء وكان من الذين يحجون البيت عرب يثرب وهي مدينة بين مكة والشام يقطنها قبيلتان احداهما من ولد الاوس والثانية من ولد الخزرَج وهما اخوان وكان بين اولادهما من العداوة ما يجعل الحرب لا تضع اوزارها بين الفريقين فكانوا دائماً في شقاق ونزاع وكان يجاورهم في المدينة اقوام من اليهود وهم بنو قينقاع وبنو قريظة

و بنو النضير وكان لهم الغلبة على يثرب اولاً فجار بهم العرب حتى صاروا ذوي النفوذ فيها والقوّة وكان اليهود اذا خذلوا يستفتحون على اعدائهم باسم نبي يبعث قد قرب زمانه ولما اختلفت كلمة العرب فيما بينهم وشقت عصا الالفة حالفوا اليهود على انفسهم فحالف الاوس بني قريظة وحالف الخزرج بني النضير و بني قينقاع وآخر الايام بينهم يوم بعاث قتل فيه غالب رؤسائهم ولم يبق الا عبد الله بن ابي ابن سلول من الخزرج وابو عامر الراهب من الاوس ولذلك كانت عائشة تقول كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد خطر ببال رؤساء الاوس ان يحالفوا قريشاً على الخزرج فأرسلوا اياس بن معاذ وابا الحيسر أنس بن رافع مع جماعة يلتمسون ذلك الحلف في قريش فلما جاؤا مكة جاءهم رسول الله وقال هل لكم في خير مما جئتم له ان تؤمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيئاً وقد ارسلني الله الى الكافة ثم تلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ يا قوم هذا والله خير مما جئتا له فحصبه ابو الحيسر وقال له دعنا منك لقد جئنا لغير هذا فسكت

بدء إسلام الانصار

ولما جاء الموسم تعرض رسول الله لنفر منهم يبلغون الستة وكلهم من الخزرج وهم اسعد بن زرارة وعوف بن الحارث من بني النجار

ورافع بن مالك من بني زريق وقطبة بن عامر من بني سَلمة وعقبة ابن عامر من بني حرام وجابر بن عبد الله من بني عبيد بن عدي ودعاهم الى الاسلام والى معاونته في تبليغ رسالة ربه فقال بعضهم لبعض انهُ للنبي الذي كانت تعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فآمنوا بهِ وصدقوه وقالوا انا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعزُّ منك ووعدوه المقابلة في الموسم المقبل وهذا هو بدء الاسلام لعرب يثرب



العقبة الاولى

فلما كان العام المقبل قدم اثنا عشر رجلاً منهم عشرة من الخزرج واثنان من الاوس وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا الحارث ورافع بن مالك وذكوان بن قيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة والعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر وهؤلاء من الخزرج وابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة وهما من الأوس فاجتمعوا به عند العقبة واسلموا وبايعوا رسول الله على بيعة النساء وذلك قبل ان يفترض الحرب على ألاّ يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا اولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونهُ بين ايديهم وارجلهم ولا يعصونهُ في معروف فان وفوا فلهم الجنة وان غشوا من ذلك شيئاً فأمرهم الى الله عز وجل ان شاء غفر وان شاء عذب وهذه هي

العقبة الاولى فأرسل لهم عليه السلام مصعب بن عمير العبدري وعبد الله بن ام مكتوم وهو ابن خالة خديجة يقرآنهم القرآن ويفقهانهم في الدين ونزل مصعب على احد المبايعين أبي امامة اسعد بن زرارة وصار يدعو بقية الاوس والخزرج للإسلام و بينما هو في بستان مع اسعد بن زرارة اذ قال سعد بن معاذ رئيس قبيلة الاوس لأسيد بن حضير ابن عم سعد الا تقوم الى هذين الرجلين اللذين آتيا يسفهان ضعفاءنا لتزجرهما فقام لهما أسيد بحربته فلما رآه أسعد قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه فلما وقف عليهما قال ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كان لكما بانفسكما حاجة فقال مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمراً قبلته وان كرهته كففنا عنك ما تكره فقرأ عليه مصعب القرآن فاستحسن دين الاسلام وهداه الله له فتشهد ورجع الى سعد فسأله عما فعل فقال والله ما رأيت بالرجلين بأساً فغضب سعد وقام لهما متغيظاً ففعل معه مصعب كسابقه فهداه الله للاسلام ورجع لرجال بني عبد الاشهل وهم بطن من الاوس فقال لهم ما تعدونني فيكم قالوا سيدنا وابن سيدنا قال كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تسلموا فلم يبق بيت من بيوت بني عبد الأشهل الا أجابه وقد انتشر الاسلام في دور يثرب حتى لم يكن بينهم حديث الا أمر الاسلام .

العقبة الثانية

ولما كان وقت الحج في العام الذي يلي البيعة الاولى قدم مكة كثيرون منهم يريدون الحج و بينهم كثير من مشركيهم ولما قابل وفدهم رسول الله واعدوه المقابلة ليلاً عند العقبة فامرهم ان لا ينبهوا في ذلك الوقت نائماً ولا ينتظروا غائباً لان كل هذه الاعمال كانت خفية من قريش كيلا يطلعوا على الامر فيسعوا في نقض ما أبرم شأنهم مع رسول الله في اول امره . ولما فرغ الانصار من حجهم توجهوا الى موعدهم كاتمين أمرهم عمن معهم من المشركين وكان ذلك بعد مضي ثلث الليل الاول فكانوا يتسللون الرجل والرجلين حتى تم عددهم ثلاثاً وسبعين رجلاً منهم اثنان وستون من الخزرج واحد عشر من الاوس ومعهم امرأتان وهما نسيبة بنت كعب من بني النجار واسماء بنت عمرو من بني سلمة ووافقهم رسول الله هناك وليس معه الا عمه العباس بن عبد المطلب وهو على دين قومه ولكن اراد ان يحضر امر ابن أخيه ليكون متوثقاً له فلما اجتمعوا عرفهم العباس بان ابن أخيه لم يزل في منعة من قومه حيث لم يمكنوا منه احداً ممن اظهر له العداوة والبغضاء وتحملوا من ذلك أعظم الشدة ثم قال لهم ان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك والا فدعوه بين عشيرته فانهم لبمكان عظيم فقال كبيرهم والمتكلم عنهم

البراء بن معرور والله لو كان لنا في انفسنا غير ما ننطق به اقمناه ولكنا نريد الوفاء والصدق و بذل مهجنا دون رسول الله وعند ذلك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ لنفسك ولربك ما احببت فقال أشترط لربي أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً ولنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم متى قدمت عليكم فقال له الهيثم بن التيهان يا رسول الله ان بيننا و بين الرجال عهوداً وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم عليه السلام وقال بل الدم الدم والهدم الهدم اي ان طالبتم بدم طالبت به وان اهدرتموه اهدرته

وحينذاك ابتدئت المبايعة وهي العقبة الثانية فبايعه الرجال على ما طلب واول من بايع اسعد بن زرارة وقيل البراء بن معرور ثم تخير منهم اثنى عشر نقيباً لكل عشيرة منهم واحد تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وهم ابو الهيثم بن التيهان واسعد بن زرارة . واسيد بن حضير . والبراء بن معرور . و رافع بن مالك . وسعد بن ابي خيثمة . وسعد بن الربيع . وسعد بن عبادة . وعبد الله بن رواحة . وعبد الله بن عمرو . وعبادة بن الصامت . والمنذر بن عمرو. ثم قال لهم انتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وانا كفيل على قومي . ولامر ما اراده الله بلغ خبر هذه البيعة مشركي قريش فجاؤا ودخلوا شعب الانصار وقالوا يا معشر الخزرج بلغنا انكم جئتم لصاحبنا

تخرجونهُ من ارضنا وتبـايعونهُ على حربنا فأنكروا ذلك وصار بعض المشركين الذين لم يحضروا المبايعة يحلفون لهم انهم لم يحصل منهم شيءٌ في ليلتهم وعبد الله بن ابيّ كبير الخزرج يقول ما كان قومي ليفتاتوا على بشيءٍ من ذلك



هجرة المسلمين الى المدينة

ولما رجع الانصار الى المدينة ظهر بينهم الاسلام اكثر من المرة الاولى اما رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فازداد عليهم اذى المشركين لمـا سمعوا انهُ حالف قوماً عليهم فأمر عليه السلام جميع المسلمين بالهجرة الى المدينة فصاروا يتسللون خيفة قريش ان تمنعهم واول من خرج ابو سلمة المخزومي زوج ام سلمة ومعـهُ زوجه وكان قومها منعوها منه ولكنهم اطلقوها بعد فلحقت به وتتابع المهاجرون فراراً بدينهم ليتمكنوا من عبادة الله الذي امتزج حبه بلحمهم ودمهم حتى صاروا لا يعبئون بمفارقة اوطانهم والابتعاد عن آبائهم وابنائهم ما دام في ذلك رضي الله ورسوله ولم يبق بمكة منهم الا ابو بكر وعلى وصهيب وزيد بن حارثة وقليـلون من المستضعفين الذين لم تمكنهم حالهم من الهجرة وقد اراد ابو بكر الهجرة فقال له عليه السلام على رسلك فاني ارجو ان يؤذن لي فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك بأبي انت قال نعم

فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر استعداداً لذلك

دار الندوة

اما قريش فكانوا كأنهم اصيبوا بمس الشيطان حينما طرق مسامعهم مبايعة الانصار له على الذود عنه حتى الموت فاجتمع رؤساؤهم وقادتهم في دار الندوة وهي دار قصيّ بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي امراً الا فيها يتشاورون فيها ما يصنعون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيه خافوه فقال قائل منهم نخرجه من ارضنا كي نستريح منه فرفض هذا الرأي لانهم قالوا اذا خرج اجتمعت حوله الجموع لما يرونه من حلاوة منطقه وعذوبة لفظه وقال آخر نوثقه ونحبسه حتى يدركه ما ادرك الشعراء قبله من الموت فرفض هذا الرأي كسابقه لانهم قالوا ان الخبر لا يلبث ان يبلغ انصاره ونحن ادرى الناس بمن دخل في دينه حيث يفضلونه على الآباء والابناء فاذا سمعوا ذلك جاؤا لتخليصه وربما جر هذا من الحرب علينا ما نحن في غنى عنه وقال لهم طاغيتهم بل نقتله ولنمنع بني ابيه من الاخذ بثاره نأخذ من كل قبيلة شاباً جلداً يجتمعون امام داره فاذا خرج ضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلهم بل يرضون بالدية فأقروا على هذا الرأي هذا مكرهم ولكن ارادة الله

فوق كل ارادة (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) فاعلم نبيه بما دبره الاعداء في سرهم وامره باللحاق بدار هجرتهِ بدار فيها ينشر الاسلام ويكون فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم العزة والمنعة وهذا من الحكمة بمكان عظيم فانه لو انتشر الاسلام بمكة لقال المبغضون ان قريشاً ارادوا ملك العرب فعمدوا الى شخص منهم واوعزوا اليه ان يدعى هذه الدعوى حتى تكون وسيلة لنيل مآربهم ولكنهم كانوا له اعداء ألدّاء آذوه شديد الأذى حتى اختار الله له مفارقة بلادهم والبعد عنهم



هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم

فتوجه من ساعتهِ الى صديقه ابي بكر واعلمه ان الله قد اذن له في الهجرة فسأله ابو بكر الصحبة فقال نعم ثم عرض عليهِ احدى راحلتيهِ اللتين كانتا معدتين لذلك فجهزاهما احث الجهاز وصنعت لهما سفرة في جراب فقطعت اسماء بنت ابي بكر نطاقها وربطت بهِ على فم الجراب. واستأجرا عبد الله بن ارقط من بني الديل بن بكر وكان هادياً ماهراً وهو على دين كفار قريش فأمناه ودفعاه اليهِ راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال ثم فارق الرسول عليهِ السلام ابا بكر وواعده المقابلة ليلاً خارج مكة وكانت هذه الليلة هي ليلة استعداد قريش لتنفيذ ماقروا عليهِ فاجتمعوا حول باب الدار ورسول الله داخله فلما جاء ميعاد

الخروج امر ابن عمهِ علياً بالمبيت مكانهُ كي لا يقع الشك في وجوده اثناء الليل فانهم كانوا يرددون النظر من شقوق الباب ليعلموا وجوده ثم سجى علياً ببردته وخرج على القوم وهو يقرأ (وجعلنا من بين ايديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) فألقى الله النوم عليهم حتى لم يره احد ولم يزل عليهِ السلام سائراً حتى تقابل مع الصديق وسارا حتى بلغا غار ثور فاختفيا فيه . أما المشركون فلما علموا بفساد مكرهم وانهم انما باتوا يحرسون عليّ بن ابي طالب لا محمد بن عبد الله هاجت عواطفهم فأرسلوا الطلب من كل جهة وجعلوا الجوائز لمن يأتي بمحمد أو يدل عليه وقد وصلوا في طلبهم الى ذلك الغار الذي فيه طلبتهم بحيث لو نظر أحدهم تحت قدميه لنظرهما حتى أبكى ذلك أبا بكر فقال له عليه السلام (لا تحزن انّ اللهَ معنا) فأعمى الله ابصار المشركين حتى لم يحن لاحد منهم التفاتة الى ذلك الغار بل صار أعدى الاعداء أمية بن خلف يبعد لهم اختفاء المطلوبين في مثل هذا الغار فأقاما فيه ثلاث ليال حتى ينقطع الطلب وكان يبيت عندهما عبد الله ابن ابي بكر وهو شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت بها فلا يسمع أمراً يكتادان بهِ الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام وكان عامر بن فهيرة يروح عليهما بقطعة من غنم يرعاها حين تذهب ساعة من العشاء ويغدو بها عليهما فاذا خرج من عندهما عبد الله تبع أثره عامر بالغنم كيلا يظهر لقدميه

أثر . ولما انقطع الطلب خرجا بعد أن جاءهما الدليل بالراحلتين صبح ثلاث وسارا متبعين طريق الساحل • وفي الطريق لحقهم طالباً سراقة ابن مالك بن جشعم وكان قد رأى رسل مشركي قريش يجعلون في رسول الله وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما هو في مجلس من مجالس قومهِ بني مدلج اذ أقبل رجل منهم حتى قام عليهم وهم جلوس فقال يا سراقة اني رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً واصحابهِ فعرف سراقة أنهم هم ولكنه أراد أن يثني عزم مخبره عن طلبهم فقال انك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم ثم لبث في المجلس ساعة وقام وركب فرسهُ ثم سار حتى دنا من الرسول ومن معهُ فعثرت به فرسه فخر عنها ثم ركبها ثانياً وسار حتى صار يسمع قراءة المصطفى وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات فساخت قوائم فرس سراقة في الارض حتى بلغتا الركبتين فخرّ عنها ثم زجرها حتى نهضت فلم تكد تخرج يديها حتى سطع لاثرهما غبار ساطع في السماء مثل الدخان فعلم سراقة أن عمله ضائع سدىً وداخله رعب عظيم فناداهما بالامان فوقف عليه السلام ومن معه حتي جاءهم ويقول سراقة وقع في نفسي حين لقيت ما لقيت أن سيظهر امر رسول الله فقلت ان قومك قد جعلوا فيك الدية واخبرهم بما يريد بهم الناس وعرض عليهم الزاد والمتاع فلم يأخذا منه شيئاً بل قالا له اخف عنا فسأله سراقة ان يكتب له كتاب امن فأمر ابا بكر فكتب وبذلك انقضت هذه المشكلة

التي اظهر الله فيها مزيد عنايته برسوله وكان اهل المدينة حينما سمعوا بخروج رسول الله وقدومه عليهم يخرجون الى الحرَّة (١) حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوماً بعد ان اطالوا انتظارهم فلما أووا الى بيوتهم أو في رجل من يهود على أطم (٢) من آطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله واصحابه يزول بهم السراب يظهرهم تارة ويخفيهم اخرى فقال اليهودي بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم أي حظكم الذي تنتظرون فثاروا الى السلاح فتلقوا رسول الله بظهر الحرة

النزول بقباء

فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف بقباء والذي حققه المرحوم محمود باشا الفلكي ان ذلك كان في اليوم الثامن من ربيع الاول الذي يوافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ وهذا أوَّل تاريخ جديد (٣) لظهور الاسلام بعد أن مضى عليه ثلاث عشرة سنة وهو

(١) هي الارض ذات الحجارة السود وكانت المدينة محاطة بجملة حرات (٢) تل

(٣) لما أراد المسلمون في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضع التاريخ جعلوا مبدأه من هذه الهجرة الشريفة ولعدم المخالفة بين بدء الهجرة وبدء السنة الهلالية قدموا ميعاد الهجرة شهرين وأياماً وجعلوا بدء الهجرة من محرم سنتها

مضيق عليه من مشركي قريش ورسول الله ممنوع من الجهر بعبادة ربه أما الآن فقد آواه الله هو وصحابته رضوان الله عليهم بعد أن كانوا قليلاً يتخطفهم الناس

هجرة الانبياء

وبهذه الهجرة تمت لرسولنا صلى الله عليه وسلم سنة اخوانه من الانبياء قبله فما من نبي منهم الا نبت به بلاد نشأته فهاجر عنها من ابراهيم أبي الانبياء وخليل الله الى عيسى كلمة الله وروحه كلهم على عظيم درجاتهم ورفعة مقامهم أهينوا من عشائرهم فصبروا ليكونوا مثالاً لمن يأتي بعدهم من متبعيهم في الثبات والصبر على المكاره مادام ذلك في طاعة الله فسل مصر وتاريخها تنبئك عن اسرائيل (يعقوب) وبنيه انهم هاجروا اليها حينما رأوا من بنيها ترحيباً بهم وتركهم وما يعبدون اكراماً ليوسف وحكمته • ولما مضت سنون نسي فيها المصريون تدبير يوسف وفضله عليهم فاضطهدوا بني اسرائيل وآذوهم خرج بهم موسى وهارون ليتمكنوا من اعطاء الله حقه في عبادته . وهرب المسيح عليه السلام من اليهود حينما كذبوه فأرادوا الفتك به حتى كان من ضمن تعاليمه لتلامذته (طوبى للمطرودين من أجل البر لان لهم ملكوت السموات) ثم قال بعد (افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات فانهم هكذا طردوا الانبياء الذين قبلكم) وسل القرى التي حلت بها

نقمة الله لكفر اهلها كديار لوط وعاد وثمود تنبئك عن مهاجرة الانبياء منها قبل حلول النقمة فلا غرابة أن هاجر عليه السلام من بلاد منعهُ أهلها من تتميم ما أراده الله (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)



أعمال مكة

هذا ولنبين لك مجمل ما دعا اليه الرسول عليه السلام بمكة من اصول الدين وذلك أمران (الاول) الاعتقاد بوحدانية الله وأن لا يشرك معه في العبادة غيره سواء كان ذلك الغير صنما كما يفعل مشركو مكة أوابناً أو زوجة أو بنتاً كما عليه بعض الطوائف الاخرى كالنصارى .ولولا الاعتقاد بوحدانية الاله ما كلف أحد نفسهُ تكاليف الحياة من آداب الاخلاق بل كان يسير فيما تأمره به نفسه من شهواتها وملذاتها ما دام ذلك خافياً عن الناس (الثاني) الاعتقاد بالبعث والنشور وأن هناك يوماً ثانياً للانسان يجازي فيه على ماصنعه في الدنيا ان خيراً فخير وان شراً فشر وعلى هذين الامرين جاء غالب الآي المكية فقلما ترى سورة من سور مكة الا مشحونة بالاستدلال عليهما وتوبيخ من تركها وكل ذلك بأساليب تأخذ بالعقل وبراهين لا تحتاج لفلسفة الذين يشغلون أنفسهم بما لا طائل تحتهُ مما يضيع الوقت سدىً ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من القرآن معظمهُ وهوما عدا

اثنتين وعشرين سورة منه وهي البقرة . آل عمران . النساء. المائدة . الانفال . التوبة . الحج . المؤمنون . الاحزاب . القتال . الفتح . الحجرات . الحديد . المجادلة . الحشر . الممتحنة . الصف . الجمعة . المنافقون . التغابن . الطلاق . التحريم . هذه كلها مدنية و باقي القرآن مكي

ولما نزل عليه السلام بقباء نزل على شيخ بني عمرو كلثوم بن الهدم وكان يجلس للناس و يتحدث لهم في بيت سعد بن خيثمة لانهُ كان عزباً ونزل أبو بكر بالسنح (محلة بالمدينة) على خارجة بن زيد من بني الحارث بن الخزرج

مسجد قباء

وأقام رسول الله بقباء ليالي أسس فيها مسجد قباء الذي وصفهُ الله بأنهُ مسجد أُسس على التقوى من أوّل يوم وصلى فيه عليه السلام بمن معهُ من الانصار والمهاجرين وهم آمنون مطمئنون وكانت المساجد على عهد رسول الله في غاية من البساطة ليس فيها شيء مما اعتاده بناة المساجد في القرون الاخيرة لان الرسول واصحابه لم يكن جل همهم الا منصرفاً لتزيين القلوب وتنظيفها من حظ الشيطان فكان سور المسجد لا يتجاوز القامة وفوقه مظلة يتقي بها حر الشمس

الوصول الى المدينة

(ثم) تحول عليه السلام الى المدينة والانصار محيطون بهِ متقلدي سيوفهم وهنا حدّث ولا حرج عن سرور أهل المدينة فكان يوم تحوله عليهم يوماً سعيداً لم يروا فرحين بشيء فرحهم برسول اللهوخرج النساء والصبيان والولائد يقلن

طلع البدر علينا من ثنيات الوَدَاع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

وكان الناس يسيرون وراء رسول الله ما بين ماش وراكب يتنازعون زمام ناقتهِ كل يريد أن يكون نزيله

اوّل جمعة

وأدركتهُ عليه السلام صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف فنزل وصلاها وهذه أول جمعة له عليه السلام وأول خطبة خطبها عليه السلام حمد الله واثنى عليه ثم قال أما بعد ايها الناس فقدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقنَّ احدكم ثم ليدعنَّ غنمه ليس لها راع ثم ليقولنَّ له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبهُ دونه ألم يأتك رسولي فبلغك وآتيتك مالاً وافضلت عليك فما قدمت لنفسك فلينظرن يميناً وشمالاً

فلا يرى شيئاً ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع ان يقي وجههُ من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزي الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتهُ



النزول على ابي ايوب

ثم ساروكلما مروا على دور من دور الانصار يتضرع اليه اهلها بأن ينزل عندهم ويأخذون بزمام الناقة فيقول دعوها فانها مأمورة ولم تزل سائرة حتى اتت بفناء بني عدي بن النجار وهم اخواله الذين تزوج منهم هاشم جده فبركت بمحلة من محلاتهم امام دار ابي ايوب الانصاري واسمهُ خالد بن زيد (١) وذلك محل مسجده الشريف فقال عليه السلام ههنا المنزل ان شاء الله (رب انزلني منزلاً مباركاً وانت خير المنزلين) فاحتمل ابو ايوب رحله ووضعهُ في منزله وجاء اسعد بن زرارة فأخذ بزمام ناقته فكانت عنده وخرجت ولائد بني النجار يقلن

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فقال عليه السلام لهنَّ اتحببنني فقلن نعم فقال الله يعلم ان قلبي

(١) توفي زمن معاوية في حصار القسطنطينية ودفن هناك خارج المدينة

يجبكنّ واختار عليه السلام النزول في الدور الاسفل من دار ابي ايوب ليكون اريح لزائريه ولكن لم يرض رضى الله عنه ذلك كرامة لرسول الله لما يمكن ان يصيبه من التراب الذي يحدثهُ وطيء الاقدام او الماء الذي يهراق فقد اتفق ان كسرت من زوجته جرَّة ماء بالليل فقام هو وهي بقطيفتهما التي ليس لهما غيرها يمسحان الماء خوفاً على رسول الله ولذلك لم يزل ابو ايوب يستعطفهُ حتى كان في العلوّ وكانت تأتيه الجفان كل ليلة من سَراة الانصار كسعد بن عبادة واسعد بن زرارة وام زيد بن ثابت فما من ليلة الا وعلى بابه الثلاث او الاربع من جفان الثريد

نزول المهاجرين

ولما تحوّل مع رسول الله اغلب المهاجرين تنافس فيهم الانصار فحكموا القرعة بينهم فما نزل مهاجري على انصاري الا بقرعة

أخوة الاسلام

ومن يتأمل الى هذه المحبة التي يستحيل ان تكون بتأثير بشر بل بفضل من الله ورحمته يفهم كيف انتصر هؤلاء الاقوام على معانديهم من المشركين وأهل الكتاب مع قلة العدد والعدد

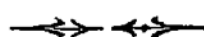
وكان الانصار يؤثرون اخوانهم المهاجرين على أنفسهم قال تعالى في سورة الحشر (والذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من

هاجر اليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)وهذا أعلى درجات الاخوة وكل ذلك كانوا يرونه قليلاً بالنسبة لما وجب عليهم لاخوانهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمكن بينهم الاخاء آخي بين المهاجرين والانصار فكان كل أنصاري ونزيله أخوين في الله ومن العبث ان نكلف القلم أن يوضح للقاريء أن هذه الاخوة كانت أرقي بكثير من الاخوة العصبية بل نكل ذلك للاحساس الاسلامي فانه أفصح منطقاً من القلم وعلى الاجمال فتلك قلوب الف الله بينها حتى صارت شيئاً واحداً في اجسام متفرقة وعسى الله ان يوفق مسلمي عصرنا الى هذا الاخاء حتى يسودوا كما ساد المتحدون. وكان هذا الاخاء على المواساة والحق وان يتوارثوا بعد الموت دون ذوي الارحام وكان عليه السلام يقول لكل اثنين (تآخيا في الله اخوين اخوين) ودام هذا الميراث الى ان نسخه الله بقوله في سورة الاحزاب (واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله)

هجرة أهل البيت

ولما استقر عليه السلام بالمدينة ارسل زيد بن حارثة وابا رافع الى مكة ليأتيا بمن تخلف من اهله وارسل معهما عبد الله بن اريقط يدلهما على الطريق فقدما بفاطمة وأم كلثوم بنتيه عليه السلام وسودة

زوجه وام ايمن زوج زيد وابنها اسامة . اما زينب فمنعها زوجها ابو العاص بن الربيع وخرج مع الجميع عبد الله بن ابي بكر بأم رومان زوج ابيه وعائشة اخته واسماء زوج الزبير بن العوّام وكانت حاملا بابنها عبد الله وهو اول مولود للهاجرين بالمدينة



حمى المدينة

ولم يكن هواء المدينة في البدء موافقاً للمهاجرين من اهل مكة فأصاب كثيراً منهم الحمى وكان رسول الله يعودهم فلما شكوا اليه الامر قال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة واشد و بارك لنا في مدها وفي صاعها وانقل وباءها الى الجحفة (١) فاستجاب الله جل وعلا دعوته وعاش المهاجرون في المدينة بسلام



منع المستضعفين من الهجرة

ومنع مشركو مكة بعضاً من المسلمين عن الهجرة وحبسوهم وعذبوهم منهم الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص فكان عليه السلام يدعو لهم في صلاته وهذا اصل القنوت وقد حصل في اوقات مختلفة ومحالّ في الصلات مختلفة فكان في وتر العشاء وصلاة الصبح

(١) قرية على اثنين وثمانين ميلا من مكة وهي ميقات اهل الشام

بعد الركوع وقبله فروى كل صحابي ما رآه وهذا سبب اختلاف الائمة في مكان القنوت



السنة الاولى . بناء المسجد

ثم شرع عليه السلام في بناء مسجده في مبرك ناقته امام محلة بنى النجار وكان محله مربداً للتمر يملكه غلامان يتيمان في حجر اسعد ابن زرارة فدعا الغلامين وساومهما المربد ليتخذه مسجداً فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى عليه السلام ان يقبله منهما هبة بل ابتاعه منهما. وكان فيه قبور للمشركين و بعض حفر ونخل فامر بالقبور فنبشت وبالحفر فسويت و بالنخل فقطع ثم امر باتخاذ اللبن فاتخذ وشرعوا في البناء به وجعلوا عضادتي الباب من الحجارة وسقفوه بالجريد وجعلت عمده من جذوع النخل ولا يزيد ارتفاعه عن القامة الا قليلا وقد عمل فيه رسول الله بنفسه ليرغب المسلمين في العمل وصاروا يرتجزون وهو يقول معهم * اللهم لا خير الا خير الآخرة * فارحم الانصار والمهاجرة * وجعلت قبلة المسجد في شماله الى بيت المقدس وجعل له ثلاثة ابواب ثم حصبت ارضه لان المطر كان قد اثر فيه فأمر عليه السلام بحصبه ولم يزين المسجد بفرش حتى ولا بالحصر و بني بجانبه حجرتان احداهما لسودة بنت زمعة والاخرى لعائشة ولم يكن عليه السلام متزوجاً غيرهما اذذاك

وكانت الحجرتان مجاورتين وملاصقتين للمسجـد على شكل بنائه وصارت الحجرات تبنى كلما جاءت زوج

بدء الاذان

اوجب الله الصلاة على المسلمين ليكونوا دائماً متذكرين عظمة العلي الاعلى فيتبعون اوامره ويجتنبون نواهيـه ولذلك قال في محكم كتابه في سورة العنكبوت (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وجعل أفضل الصلاة ما كان جماعة ليذاكر المسلمون بعضهم بعضاً في شؤونهم واحتياجاتهم ويقووا روابط الالفة والاتحاد بينهم ومتى حان وقت الصلاة لابدَّ من عمل ينبه الغـافل ويذكر الساهي حتى يكون الاجتماع عاماً فأتمر النبي عليـه الصلاة والسلام مع الصحابة فيما يفعل لذلك فقال بعضهم نرفع راية اذا حان وقت الصلاة ليراها الناس فلم يرتضوا ذلك لانها لا تفيد النائم ولا الغافل وقال آخرون نشعل ناراً على مرتفع من الهضاب فـلم يقبل أيضاً وأشار آخرون ببوق وهو ما كانت اليهود تستعمله لصلواتهم فكرهـهُ رسول الله لانهُ لم يكن يحب تقايد اليهود في عمل ما واشار بعضهم بالنـاقوس وهو ما يستعمله النصارى فكرههُ الرسول أيضاً واشار بعضهم بالنداء فيقوم بعض الناس اذاحانت الصلاة وينادي بها فقبل هذا الرأي وكان احد المنادين عبد الله بن زيد الانصاري فبينما هو بين النائم واليقظان اذعرض له شخص وقال

الا اعلمك كلمات تقولها عند النداء بالصلاة قال بلى فقال له قل الله اكبر الله اكبر مرتين وتشهد مرتين ثم قل حيّ على الصلاة مرتين ثم حيّ على الفلاح مرتين ثم كبر ربك مرتين ثم قل لا اله الا الله فلما استيقظ توجه الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره خبر رؤياه فقال انها لرؤيا حق ثم قال له لقن ذلك بلالاً فانهُ اندى صوتاً منك و بينما بلال يؤذن اذ جاء عمر يجر رداءه فقال والله لقد رايت مثله يا رسول الله ٭ وكان بلال احد موءذنيه بالمدينة والآخر عبد الله بن امّ مكتوم وكان بلال يقول في اذان الصبح بعد حيّ على الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين واقره الرسول على ذلك وكان عليه السلام يأمر في فجر رمضان بأذانين اولها يوقظ به الغافلون حتى ينتبهوا للسحور والثاني للصلاة ٭ اما الاذان للجمعة فكان اوّله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد نداء آخر على الزوراء رواه البخاري ولما تولّى هشام بن عبد الملك اخذ الاذان الذي زاده عثمان بالزوراء وجعله على المنار ثم نقل الاذان الذي كان على المنار حين صعود الامام على المنبر في العهد الاوّل بين يديه

فعلم بذلك أن الاذان في المسجد بين يدي الخطيب بدعة أحدثها هشام بن عبد الملك ولا معنى لهذا الاذان لانهُ انما هو نداء الى الصلاة ومن هو في المسجد لا معنى لندائه ومن هو خارج المسجد

لا يسمع النداء اذا كان النداء في المسجد ذكر ذلك الشيخ محمد بن الحاج في المدخل

قال الحافظ في فتح الباري . وأما ما أحدث الناس قبل الجمعة من الدعاء اليها بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهو في بعض البلاد دون بعض واتباع السلف الصالح أولى اه

فعلم من ذلك كلهُ ان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أذان الجمعة انهُ كان اذا جلس على المنبر أذن مؤذنه على المنار فاذا انتهت الخطبة أقيمت الصلاة وما عدا ذلك فكلهُ ابتداع

أما الاقامة وهي الدعوة للصلاة في المسجد فقد اختلفت الروايات في نصها فرواها محمد بن ادريس الشافعي مفردة الا لفظ قد قامت الصلاة فمثنى ورواها مالك بن أنس مفردة كلها ورواها ابو حنيفة النعمان مثنى كلها

يهود المدينة

(هذا) وكما ابتلى الله المسلمين في مكة بمشركي قريش ابتلاهم في المدينة بيهودها وهم بنو قينقاع وقريظة والنضير فانهم أظهروا العداوة والبغضاء حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنهُ الحق وكانوا قبل مجيء الرسول يستفتحون على المشركين من العرب اذا شبت الحرب بين الفريقين بنبي يبعث قد قرب زمانه فلما جاءهم ما عرفوا

استعظم رؤساؤهم أن تكون النبوّة في ولد اسماعيل فكفروا بما أنزل الله بغياً مع انهم يرون أن رسول الله محمداً لم يأت الا مصدّقاً لما بين يديهِ من كتب الله التي أنزلها على من سبقه من المرسلين مبيناً ماافسده التأويل منها ولكنهم نبذوه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . ومما عابوه على الاسلام نسخ الاحكام وما دروا ان القادر العليم يعلم ما يحتاجهُ الانسان اكثر منهم فانهُ ميال بطبعهِ للترقي والرسول عليه السلام وجد بادئ بدء بين جماعة من العرب اُمّيّين ليسوا على شيء من الاعتقادات الالهية فكانت الحكمة داعية لان يكون التشريع لهم على التدريج لانهُ لو حرم الله عليهم شرب الخمر وا كل الربا وأمرهم بالصلاة والزكاة وهكذا الى آخر الاوامر والمناهي التي جاء بها الشرع الاسلامي لمااجابهُ أحد من هؤلاء النافرة قلوبهم المختلفة أهواؤهم الذين كانوا منغمسين في كثير من الاضاليل فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر شيئاً فشيئاً حتى رُوّضت عقولهم وهذبت نفوسهم وكانت الاحكام لاينزلها الله عليه الا عقب الحوادث التي تقتضيها ليكون التأثير في النفوس أشد ولكنّ اليهود أرادوا غلّ يد القدرة عن أن تفعل الا ما يشتهون وقد حجهم القرآن الشريف بما يدل على انهم يعلمون من نفوسهم البعد عن الحق فقال في سورة البقرة (قل ان كانت لكم الدارُ الآخرة عندالله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) ثم حتم جلّ ذكره عدم اجابتهم بقوله (ولن يتمنوه ابداً بما قدّمت ايديهم والله عليم

بالظالمين) فلو كانوا يعلمون من انفسهم انهم على الحق لما تأخروا عما طلب منهم مع سهولته وحرصهم على تكذيب الصادق الامين ولم ينقل لنا عن احد منهم انهُ تمنى ذلك ولو نطقا باللسان وقد تبين الهدى لاحد رؤساء بني قينقاع وهو عبد الله بن سلام فترك هواه واسلم بعد أن سمع القرآن و بعد أن كان اليهود يعدونهُ من رؤسائهم عدُّوه من سفهائهم حينما بلغهم اسلامه فيابئس ما اشتروا لانفسهم ولما استحكمت في قلوبهم عداوة الاسلام صاروا يجهدون انفسهم في اطفاء نوره (و يأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون)

المنافقون

(وكان) يساعدهم على مقاصدهم جماعة من عرب المدينة اعمى الله بصائرهم فأخفوا كفرهم خوفاً على حياتهم وكان برأس هذه الجماعة عبد الله بن أبيّ ابن سلول الخزرجي الذي كان مرشحاً لرياسة أهل المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شك ان ضرر المنافقين أشد على المسلمين من ضرر الكفار لان اولئك يدخلون بين المسلمين فيعلمون أسرارهم و يشيعونها بين الاعداء من اليهود وغيرهم كما حصل ذلك مراراً والاساس الذي كان عليه رسول الله أن يقبل ما ظهر و يترك لله ما بطن ولكنهُ عليه السلام مع ذلك كان لا يأمنهم في عمل مّا فكثيراً ما كان يتغيب عن المدينة ويولي عليها بعض

الانصار ولكن لم يعهد أنهُ ولى رجلاً ممن عهد عليه النفاق لانهُ عليه السلام يعلم ما يكون منهم لو ولوا عملاً فانهم بلا شك يتخذون ذلك فرصة لاضرار المسلمين وهذا درس مهم لرؤساء الاسلام يعلمهم انهم لا يثقون في الاعمال المهمة الا بمن لم تظهر عليهم شبهة النفاق أو اظهار ما يخالف ما في الفؤاد

معاهدة اليهود

هذا وقد علمت انهُ كان يضاد المسلمين في المدينة فئتان اليهود والمنافقون ولكن الرسول قبل من هؤلاء ظواهرهم وعقد مع أولئك عهداً مقتضاه ترك الحرب والاذى فلا يحاربهم ولا يؤذيهم ولا يعينون عليه احداً وان دهمهُ بالمدينة عدوٌّ ينصرونهُ وأقرهم على دينهم

مشروعية القتال

قد علم مما تقدم أن رسول الله عليه السلام لم يقاتل أحداً على الدخول في الدين بل كان الامر قاصراً على التبشير والانذار. وكان الله سبحانهُ ينزل عليه من الآي مايقويه على الصبر امام ما كان يلاقيه من اذى قريش ومن ذلك قوله في سورة الاحقاف (فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) وكان كثيراً ما يقص الله عليه

انباء اخوانه من المرسلين قبله ليثبت به فؤاده ولما ازداد طغيان اهل مكة الجؤوه الى الخروج من داره بعد ان ائتمروا على قتله فكانوا هم البادئين بالعداء على المسلمين حيث اخرجوهم من ديارهم بغير حق فبعد الهجرة اذن الله للمهاجرين بقتال مشركي قريش بقوله في سورة الحج (٢) (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وان اللهَ على نصرهم لقدير الذين اُخرجوا من ديارهم بغير حقٍ الاّ أن يقولوا ربنا الله) ثم امرهم بذلك في قوله في سورة البقرة (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان اللهَ لا يحبُّ المعتدين واقْتُلوُهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنةُ أَشدُّ من القتلِ ولا تقاتلوُهم عندَ المسجدِ الحرامِ حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوُهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوُهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكونَ الدينُ للهِ فان انتهوْا فلا عُدوْانَ الاّ على الظالمين) وبذلك لم يكن الرسول يتعرَّض الا لقريش دون سائر العرب فلما تمالأ على المسلمين غير اهل مكة من مشركي العرب واتحدوا عليهم مع الاعداء امر الله بقتال المشركين كافة بقوله في سورة التوبة (وقاتلوا المشركين كافّةً كما يقاتلونكم كافة) وبذلك صار الجهاد عاماً لكل من ليس له كتاب من الوثنيين وهذا مصداق قوله عليه السلام (امرت

---

(٢) آية مدنية في ضمن سورة معظمها مكي

ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله) ولما وجد المسلمون من اليهود خيانة للعهود حيث انهم ساعدوا المشركين في حروبهم امر الله بقتالهم بقوله في سورة الانفال (وإِمّا تخافنَّ من قومٍ خيانةً فانبذْ اليهم على سواء إِنَّ اللهَ لا يحبُّ الخائنين) وقتالهم واجبٌ حتى يدينوا او يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ليأمن المسلمون جانبهم وصار قتال رسول الله للاعداء على هذه المبادئ الآتية

(١) اعتبار مشركى قريش محار بين لانهم بدؤا بالعدوان فصار للسلمين قتالهم ومصادرة تجارتهم حتى يأذن الله بفتح مكة او تعقد هدنة وقتية بين الطرفين

(٢) متى روءيَ من اليهود خيانة وتحيز للمشركين قوتلوا حتي يؤمن جانبهم بالنفي أو القتل

(٣) متى تعدَّت قبيلة من العرب على المسلمين أو ساعدت قريشاً قوتلت حتى تدين بالاسلام

(٤) كل من بادأ بعداوة من أهل الكتاب كالنصارى قوتل حتى يذعن بالاسلام او يعطى الجزية عن يد وهو صاغر

(٥) كل من اسلم فقد عصم دمهُ وماله الا بحقه والاسلام يقطع ما قبله

وقد انزل الله فى القرآن الكريم كثيراً من الآي تحريضاً على

الاقدام في قتال الاعداء وتبعيداً عن الفرار من الزحف. فقال في الموضوع الاول في سورة النساء (فليُقاتِلْ في سبيلِ الله الذين يشرُون الحياةَ الدنيا بالآخرةِ ومن يُقاتِلْ في سبيل اللهِ فيُقتَلْ او يَغلبْ فسوْف نؤتيهِ اجراً عظيماً) وقال في الموضوع الثاني في سورة الانفال (يا ايها الذين آمنوا اذا لَقيتمْ الذين كفروا زحفاً فلا تولُّوهم الادبار ومن يوَلهم يومئذٍ دُبُرَهُ إلاَّ مُتحرّفاً لِقتالٍ او مُتحيزاً الى فئةٍ فقد باء بغضبٍ من اللهِ ومأواهُ جهنمُ وبئسَ المصير)

بدء القتال

كانت عادة قريش ان تذهب بتجارتها الى الشام لتبيع وتبتاع ويسمى الركب السائر بهذه التجارة عِيراً وكان يسير معها لحراستها كثير من اشراف القوم وسراتهم ولا بدّ لوصولهم الى الشام من المرور على دار الهجرة فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصادر تجارتهم ذاهبة وآيبة ليكون في ذلك عقاب لمشركي مكة حتى تضعف قوتهم المالية فيكون ذلك ادعي لخذلانهم في ميدان القتال الذي لا بدّ ان يكون لان قريشاً لم تكن لتسكت عمن سفه احلامهم وعاب عبادتهم خصوصاً وهم قدوة العرب في الدين .

سرية [1]

ففي شهر رمضان ارسل عمه حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين رجلاً من المهاجرين وعقد له لواء ابيض حمله ابو مرثد حليف حمزة ليعترض عيراً لقريش آيبة من الشام فيها ابو جهل وثلاثمائة من اصحابه المشركين فسار حمزة حتى وصل ساحل البحر من ناحية العيص (٢) فصادف العير هناك فلما تصافوا للقتال حجز بين الفريقين مجدى بن عمرو الجهني فأطاعوه وانصرفوا وشكر عليه السلام مجدياً على عمله لما كان من قلة عدد المسلمين وكثرة عدوّهم

وفي شوّال ارسل عبيدة بن الحارث ابن عم حمزة في ثمانين راكباً من المهاجرين وعقد له لواء ابيض حمله مسطح بن اثاثة ليعترض عيراً لقريش فيها مائتا رجل فوافوا العير ببطن رابغ (٣) فكان بينهم الرمي بالنبل ثم خاف المشركون ان يكون للمسلمين كمين فانهزموا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن الاسود وعتبة بن غزوان وكانا قد اسلما وخرجا ليلحقا بالمسلمين

---

(١) السرية قطعة من الجيش ونريد بها كل غزاة لم يكن فيها رسول الله والتي كان فيها تسمى غزوة

(٢) عرض من اعراض المدينة اي ناحية منها

(٣) واد بين الحرمين قرب البحر

وفيات

وفي هذه السنة توفى من المهاجرين عثمان بن مظعون اخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع اسلم قديماً وهاجر الهجرتين ولما دفن أمر عليه السلام بأن يرش قبره بالماء ووضع على قبره حجراً وقال أتعلم به قبر أخي وأدفن اليه من مات من أهلي وهذا كان القصد من وضع الاحجار على المقابر لاما يقصده أهل العصور الاخيرة من تشييد الهيا كل على القبور وتصويرها بصور ترى في عين الناظر كالاصنام ليأتي أقارب الميت ويصنعوا عندها احتفالات كثيراً ما تشبه ما كان يفعله مشركو مكة عند معابدهم ومن العبث فعل شيء لم يفعله رسول الله مما يتعلق بأمور الآخرة

ومات من الانصار أسعد بن زرارة أحد النقباء الاثنى عشر كان رضي الله عنهُ نقيب بني النجار ولما مات اختار رسول الله نفسهُ للنقابة عليهم لان ابن اخت القوم منهم ومات أيضاً البراء بن معرور أحد النقباء وهو الذي كان يتكلم عن القوم في العقبة الثانية ومات من مشركي مكة في هذه السنة الوليد بن المغيرة ولما احتضر جزع فقال له أبو جهل ما جزعك ياعم فقال والله ما بيَ من جزع من الموت ولكن أخاف أن يظهر دين ابن أبي كبشة بمكة فقال أبو سفيان لا تخف اني

ضامن أن لا يظهر وفيها ايضاً مات العاصي بن وائل السهمي وقد كفى الله المسلمين شر هذين الشقيين

السنة الثانية غزوة ودان

ولاثنتي عشرة ليلة خلت من السنة الثانية خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد أن استخلف عليها سعد بن عبادة ليعترض عيراً لقريش فسار حتى بلغ ودّان (١) وكان يحمل لواءه عمه حمزة ولم يلق هناك حرباً لان العير كانت قد سبقتهُ وفي هذه الغزوة صالح بني ضمرة على انهم آمنون على انفسهم ولهم النصر على من رامهم وان عليهم نصرة المسلمين اذا دعوا ثم رجع الى المدينة بعد مضي خمس عشرة ليلة

غزوة بواط

ولم يمض على رجوعه غير قليل حتى بلغه ان عيراً لقريش آتية من الشام فيها أمية بن خلف ومائة من قريش وألفان وخمسمائة بعير فسار اليها في مائتين من المهاجرين وذلك في ربيع الاول وكان يحمل لواءه سعد بن ابي وقاص فسار حتى بلغ بواط (٢) فوجد العير قد فاتتهُ

(١) قرية بين مكة والمدينة بينها وبين الابواء ستة أميال

(٢) جبال جهينة على ابراد من المدينة جهة ينبع

فرجع ولم يلق كيداً وذلك كلهُ لما كان يأخذه المشركون من الحذر على أنفسهم والاجتهاد في تعمية أخبارهم عن أهل المدينة

غزوة العشيرة

وأعقب رجوعه عليه السلام خروج قريش بأعظم عير لها فقد جمعوا فيها اموالهم حتى لم يبق بمكة قرشي أو قرشية لها مثقال فصاعدا الا بعث به في تلك العير وكان يرأسها أبو سفيان بن حرب ومعهُ بضعة وعشرون رجلاً فخرج لها الرسول في جمادي الاولى ومعهُ مائة وخمسون من المهاجرين واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد وحمل لواءه عمهُ حمزة ولم يزل سائراً حتى بلغ العشيرة فوجد العير قد مضت • وحالف عليه السلام في هذه الغزوة بني مدلج وحلفاءهم ثم رجع عليه السلام الى المدينة ينتظر هذه العير حينما ترجع

غزوة بدر الاولى

و بعد رجوعه عليه السلام بقليل جاء كرز بن جابر الفهري واغار على سرح المدينة وهرب فخرج الرسول في طلبه واستخلف على المدينة زيد بن حارثة الانصاري وحمل لواءه علي بن أبي طالب فسار حتى بلغ سفوان (١) وفاتهُ كرز فلم يلق حرباً وتسمى هذه الغزوة بدر الاولى

(١) واد من ناحية بدر

سرية

وفي رجب من هذه السنة أرسل سرية عدتها ثمانية رجال يراسها عبد الله بن جحش واعطاه كتاباً مختوماً لا يفضهُ الا بعد أن يسير يومين ثم ينظر فيه فسار عبد الله يومين ثم فتح الكتاب فاذا فيه (اذا نظرت كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم) وانما لم يخبرهم عليه السلام بقصدهم وهم بالمدينة حذراً من شيوع الخبر فيدل عليهم أحد الاعداء من المنافقين أو اليهود فترصد لهم قريش ولا يخفى أن عدد السرية قليل لا تمكنهُ المقاومة ثم سار عبد الله رضي الله عنهُ وفي اثناء السير تخلف سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان لانهما اضلا بعيرهما الذي كانا يعتقبانه وسار الباقون حتى وصلوا نخلة فمرت بهم عير قرشية تريد مكة فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبد الله بن المغيرة واخوه نوفل والحكم بن كيسان فأجمع المسلمون امرهم على ان يحملوا عليهم ويأخذوا ما معهم فحملوا عليهم في آخر يوم من رجب فقتلوا عمرو بن الحضرمي واسروا عثمان والحكم وهرب نوفل واستاقوا العير وهي اول غنيمة غنمها المسلمون من اعدائهم قريش ثم رجعوا ولم يتمكن المشركون من اللحاق بهم فلما قدموا المدينة وشاع انهم قاتلوا في الاشهر الحرم وعابتهم قريش واليهود بذلك عنفهم المسلمون وقال لهم عليه السلام ما امرتكم بقتال

في الاشهر الحرم فندموا فأنزل الله في سورة البقرة (يسئلونكَ عنِ الشهرِ الحرامِ قتالٍ فيهِ قلْ قتالٌ فيهِ كبيرٌ وصدٌّ عن سبيلِ اللهِ وكفرٌ بهِ والمسجدِ الحرامِ واخراجُ أهلهِ منهُ اكبرُ عندَ اللهِ والفتنةُ اكبرُ منَ القتل) فسري عنهم وقد طلب المشركون فداء اسيريهما فقال عليه السلام حتى يرجع سعد وعتبة فلما رجعا قبل عليه السلام الفدية في الاسيرين فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن اسلامه وبقي مع المسلمين وأما عثمان فلحق بمكة كافراً

تحويل القبلة

مكث عليه السلام بالمدينة ستة عشر شهراً يستقبل بيت المقدس في صلاتهِ وكان يحب أن تكون قبلته الكعبة ويقلب وجههُ في السماء داعياً الله بذلك فبينما هو في صلاتهِ اذ اوحى الله اليه بتحويل القبلة الى الكعبة فتحوّل وتحوّل من وراءه وكانت هذه الحادثة سبباً لافتتان بعض المسلمين الذين ضعفت قلوبهم فارتدوا على اعقابهم وقد اكثر اليهود من التشديد على الاسلام بهذا التحويل وما دروا أن لله المشرق والمغربَ يهدي من يشاء الى صراطٍ مستقيم

صوم رمضان

وفي شعبان من هذه السنة أوجب الله صوم شهر رمضان على

الامة الاسلامية وكان عليه السلام قبل ذلك يصوم ثلاثه ايام من كل شهر والصيام من دعائم هذا الدين والفرائض التي بها يتم النظام فان الانسان مجبول على حب نفسه والسعي فيما يعود عليها بالنفع الخاص تاركاً ما وراء ذلك من حاجات الضعفاء والمساكين فلا بد من وازع يزعهُ لحاجات قوم اقعدتهم قواهم عن ادراك حاجاتهم ولا اقوى من ذوق قوارص الجوع والعطش اذ بهما تلين نفسه ويتهذب خلقه فيسهل عليه بذل الصدقات

صدقة الفطر

ولذلك أوجب الشارع الحكيم عقب الصوم زكاة الفطر فترى الانسان يبذلها بسخاء نفس ومحبة خالصة

زكاة المال

وفي هذا العام فرضت زكاة الاموال وهذه هي النظام الوحيد الذي به يأ كل الفقراء والمساكين من اخوانهم الاغنياء بلا ضرر على هؤلاء فاذا بلغت الدنانير عشرين أو الدراهم مائتين وحال عليها الحول وجب عليك أن تؤدي ربع عشرها اي اثنين ونصفاً في كل مائة وما زاد فبحسابهِ واذا بلغت الشياه اربعين والبقر ثلاثين والابل خمساً وحال عليها الحول وجب عليك كذلك ان تؤدي منها جزءاً

مخصوصاً حدده الشارع ومثلها عروض التجارة ومحصولات الزراعة كل هذا يقبضه الامام ويوزعه على مستحقيه من الفقراء والمساكين وبقية المذكورين في آية الصدقة (انّما الصدقاتُ للفقراءِ والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) واللبيب العاقل البعيد عن التعصب يحكم لاول نظرة ان هذا النظام مع عدم اضراره بالاغنياء مقلل لمصايب الفقر التي الجأت كثيراً من فقراء الامم ان يخالفوا نظام دولهم ويؤسسوا مبادئ تقويض العمران وتداعي الا من كما يفعله الاشتراكيون وغيرهم

غزوة بدر الكبرى

لم يطل العهد بتلك العير العظيمة التي خرج لها عليه السلام وهي متوجهة الى الشام فلم يدركها ولم يزل مترقباً رجوعها فلما سمع برجوعها ندب اليها اصحابه وقال هذه عير قريش فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فاجاب قوم وثقل آخرون لظنهم ان الرسول عليه السلام لم يرد حرباً فانه لم يحتفل بها بل قال من كان ظهره حاضراً فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائباً فخرج لثلاث ليال خلون من رمضان بعد ان ولى على المدينة عبد الله ابن ام مكتوم وكان معه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا مائتان ونيف وار بعون من الانصار والباقون من المهاجرين

ومعهم فرسان وسبعون بعيراً يعتقبونها والحامل للواء مصعب بن عمير العبدري ٭ ولما علم ابو سفيان بخروج الرسول صلى الله عليه وسلم استأجر راكباً ليأتي قريشاً ويخبرهم الخبر فلما علموا بذلك ادركتهم حميتهم وخافوا على تجارتهم فنفروا سراعاً ولم يتخلف من أشرافهم الا أبو لهب ابن عبد المطلب فانه أرسل بدله العاص بن هشام بن المغيرة واراد أمية ابن خلف ان يتخلف لحديث حدثه اياه سعد بن معاذ حينما كان معتمراً بعد الهجرة بقليل حيث قال كما رواه البخاري سمعت من رسول الله يقول انهم قاتلوك قال بمكة قال لا أدري ففزع لذلك وحلف ان لا يخرج فعابه ابو جهل ولم يزل به حتى خرج قاصداً الرجوع بعد قليل ولكن ارادة الله فوق كل ارادة فان منيته ساقته الى حتفه رغم انفه وكذلك عزم جماعة من الاشراف على القعود فعيب عليهم ذلك وبهذا اجمعت رجال قريش على الخروج فخرجوا على الصعب والذلول امامهم القينات يغنين بهجاء المسلمين و (زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم) وقد ضرب الله عمل الشيطان هذا مثلا يعتبر به ذوو الرأي من بعدهم فقال في سورة الحشر (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين) وهكذا كان عمله في هذه الواقعة (فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم انى ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب) وكان عدة من خرج من المشركين

تسعمائة وخمسين رجلا معهم مائة فرس وسبعمائة بعير (اما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يعرف شيئاً مما فعله المشركون ولم يكن خروجه الا للعير فعسكر ببيوت السقيا خارج المدينة واستعرض الجيش فرد من ليس له قدرة على الحرب ثم ارسل اثنين يتجسسان الاخبار عن العير ولما بلغ الروحاء (١) جاءه الخبر بمسير قريش لمنع عيرهم وجاءه مخبراه بأن العير ستصل بدرا غدا او بعد غد فجمع عليه السلام كبراء الجيش وقال لهم (ايها الناس ان الله قد وعدني احدى الطائفتين انها لكم العير او النفير) فتبين له عليه السلام ان بعضهم يريدون غير ذات الشوكة وهي العير ليستعينوا بما فيها من الاموال فقد قالوا هلاّ ذكرت لنا القتال فنستعد وجاء مصداق ذلك قوله تعالى في سورة الانفال (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) ثم قام المقداد ابن الاسود رضي الله عنه فقال يا رسول الله امض لما امرك الله فوالله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون والله لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فدعا له بخير ثم قال عليه السلام اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لان بيعة العقبة ربما يفهم منها انه لا

(١) موضع على ثلاثين او اربعين ميلا جنوب المدينة الغربي

تجب عليهم نصرته الا ما دام بين اظهرهم فان فيها يا رسول الله انا براء من ذمتك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت اليها فانت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فقال سعد بن معاذ سيد الاوس كانك تريدنا يارسول الله فقال اجل فقال سعدقد آمنا بك وصدقناك واعطيناك عهودنا فامض لما امرك الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنه معك وما نكره ان تكون تلقى العدو بنا غداً انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله فأشرق وجهه عليه السلام وسر بذلك وقال كما في رواية البخاري (أبشروا والله لكأني أنظر الى مصارع القوم) فعلم القوم من هذه الجملة ان الحرب لا بد حاصلة وحقيقة حصلت فان ابا سفيان لما علم بخروج المسلمين له ترك الطريق المسلوكة وسار متبعاً ساحل البحر فنجا وارسل الى قريش يعلمهم بذلك ويشير عليهم بالرجوع فقال أبو جهل لا نرجع حتى نحضر بدراً (١) فنقيم فيه ثلاثاً ننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً فقال الاخنس بن شريق الثقفي لبني زهرة وكان حليفاً لهم ارجعوا يا قوم فقد نجى الله أموالكم فرجعوا ولم يشهد بدراً زهري ولا عدوي ثم سار الجيش.

---

(١) محل بين مكة والمدينة وهو الى المدينة اقرب في الجنوب الغربي منها على الطريق السلطاني وكان به سوق يعقد كل سنة ثمانية ايام

حتى وصلوا وادي بدر فنزلوا عدوته القصوى(١) عن المدينة في ارض سهلة لينة اما جيش المسلمين فانهُ لما قارب بدراً أرسل عليه السلام علي ابن ابي طالب والزبير بن العوّام ليعرفا الاخبار فصادفا سقاة لقريش فيهم غلام لبني الحجاج وغلام لبني العاص السّهميين فأتيا بهما والرسول عليهِ السلام قائم يصلي ثم سألاهما عن انفسهما فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم الماء فضرباهما لانهما ظنا ان الغلامين لابي سفيان فقال الغلامان نحن لابي سفيان فتركاهما ولما اتم الرسول عليه السلام صلاتهُ قال اذا صدقا كم ضربتموهما واذا كذبا كم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش ثم قال لهما اخبراني عن قريش قالاهم وراء هذا الكثيب فقال لهما كم هم فقالا لا ندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يوماً تسعاً ويوماً عشراً قال القوم ما بين التسعمائة والالف ثم سألهما عمن في النفير من أشراف قريش فذكرا له عددا عظيما فقال عليه السلام لاصحابه هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها(٢) ثم ساروا حتى نزلوا بعدوة الوادي الدنيا من المدينة بعيدا عن الماء في ارض سبخة فاصبح المسلمون عطاشاً بعضهم جنب وبعضهم محدث فحدثهم الشيطان بوسوسته ولولا فضل الله عليهم ورحمته لثنيت عزائمهم فانه قال لهم ما ينتظر المشركون منكم الا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤا

(١) عدوة الوادي شاطئه (٢) قطع كبدها

فأرسل الله لهم الغيث حتى سال الوادي فشربوا واتخذوا الحياض على عدوة الوادي واغتسلوا وتوضؤا وملؤا الاسقية ولبدت الارض حتى ثبتت عليها الاقدام على حين ان كان هذا المطر مصيبة على المشركين فانه وحل الارض حتى لم يعودوا يقدرون على الارتحال ومصداق هذا قوله تعالى في سورة الانفال (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام) وقد أرى الله رسوله في منامه الاعداء كما أراهموه وقت اللقاء قليلي العدة كيلا يفشل المسلمون وليقضي الله امراً كان مفعولا . قال تعالى في سورة الانفال (اذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم ان الله عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور) ثم سار جيش المسلمين حتى نزل ادنى ماء من بدر فقال له الحباب بن المنذر الانصاري وكان مشهوراً بجودة الرأي يا رسول الله أهذا منزل أنزلكهُ الله ليس لنا ان نتقدم عنه او نتأخر ام هو الرأي والحرب والمكيدة فقال بل هو الرأي والحرب والمكيدة فقال يا رسول الله ليس لك هذا بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فاني اعرف غزارة مائه وكثرته فننزله ونغوّر ما عداه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون فقال الرسول عليه السلام لقد أشرت بالراي ونهض حتى

أتى أدنى ماء من القوم ثم أمر بالآبار التي خلفهم فغوّرت لينقطع أمل المشركين في الشرب من وراء المسلمين وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه ثم قال له سعد بن معاذ سيد الاوس يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله تعالى وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يانبي الله ما نحن باشد لك حباً منهم ولا أطوع لك منهم لهم رغبة في الجهاد ونية ولو ظنوا انك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك انما ظنوا انها العير يمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك فقال عليه السلام أو يقضي الله خيراً من ذلك ثم بنى للرسول عريش فوق تل مشرف على ميدان الحرب ولما اجتمعوا عدّل عليه السلام صفوفهم مناكبهم متلاصقة فصاروا كأنهم بنيان مرصوص ثم نظر لقريش فقال (اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به) وفي هذا الوقت وقع خلف بين رؤساء عسكر المشركين فان عتبة بن ربيعة أراد أن يمنع الناس من الحرب ويحمل دم حليفه عمرو ابن الحضرمي الذي قتل في سرية عبد الله بن جحش ويحمل ما أصيب من عيره ودعا الناس الى ذلك فلما بلغ أبا جهل الخبر وسمه بالجبن وقال والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا و بين محمد وقبل ان تقوم الحرب على ساقها خرج من صفوف المشركين الاسود بن عبد الاسد

المخزومي وقال أعاهد الله لاشربن من حوضهم أولا هدمنه أولاموتن دونه فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب وضربه ضربة قطع بها قدمه بنصف ساقه فوقع على ظهره فزحف على الحوض حتى اقتحم فيه ليبر قسمه فاتبعه حمزة فقتله ثم وقف عليه السلام يحرض الناس على الثبات والصبر وكان فيما قال (وان الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجى به من الغم) ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج من صفوف المشركين ثلاثة نفر عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد فطلبوا أكفاءهم فخرج اليهم ثلاثة من الانصار فقالوا لا حاجة لنا بكم انما نريد أكفاءنا من بني عمنا فاخرج لهم عليه السلام عبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب للاول وحمزة بن عبد المطلب للثاني وعلي بن أبي طالب للثالث فاما حمزة وعلى فقتلا صاحبيهما وأما عبيدة وعتبة فاختلفا بضربتين كلاهما جرح صاحبه فحمل رفيقا عبيدة على عتبة فأجهزا عليه وحمل عبيدة من بين الصفوف جريحاً يسيل مخ ساقه واضجعوه الى جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فأفرشه رسول الله قدمه الشريفة فوضع خده عليها و بشره عليه السلام بالشهادة فقال وددت والله ان أبا طالب كان حياً ليعلم انا أحق منه بقوله

ونسلمهُ حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وبعد انقضاء هذه المبارزة وقف عليه السلام بين الصفوف يعدلها بقضيب في يده فمر بسواد بن غزية حليف بني النجار وهو خارج من

الصف فضربهُ بالقضيب في بطنهِ وقال استقم يا سواد فقال أوجعتني يارسول الله وقد بعثت بالحق والعدل فاقـدني من نفسك فكشف الرسول عليه السلام عن بطنه وقال استقد يا سواد فاعتنقهُ سواد وقبل بطنهُ فقال عليهِ السلام ما حملك على ذلك فقال يا رسول الله قدحضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد أن يمس جلدي جـلدك فدعا له بخير ثم ابتدأ عليه السلام يوصى الجيش فقال (لا تحملوا حتى آمركم وان اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم) ثم حضهم على الصبر والثبات ثم رجع الى عريشه ومعهُ رفيقه أبو بكر وحارسهُ سعد بن معـاذ واقف على باب العريش متوشح سيفه وكان من دعاء الرسول عليه السلام ذاك الوقت كما جاء في صحيح البخاري (اللهم انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد) فقال أبو بكر حسبك فان الله سينجز لك وعدك فخرج عليـه السلام من العريش وهو يقول (سَيُهزَمُ الجمعُ وَيوَلوُنَ الدُّبُر) ثم قال عليهِ السلام يحرض الجيش (والذي نفس محمدٍ بيده لا يقاتلهم اليوم رجلٌ فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر الا ادخله الله الجنة ومن قتل قتيلاً فله سلبهُ) فقال عمير بن الحمـام وبيده تمرات يأكلها بخٍ بخٍ ما بيني وبين أن ادخل الجنة الا ان يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده واخذ سيفه وقاتل حتى قتل واشتدَّ القتـال وحمي الوطيس وايد الله المسلمين بالملائكة بشرى لهم ولتطمئن به قلوبهم فلم تكن الاساعة حتى هزمَ

الجمعُ وولوا الدُّبُر وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتل من المشركين نحو السبعين منهم من قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد ابن عتبة قتلوا مبارزة أوّل القتال وأبو البختري بن هشام والجرّاح والد ابي عبيدة قتله ابنهُ بعد ان ابتعد عنه فلم يزدجر وقتل امية بن خلف وابنه على اشترك في قتلهما جماعة من الانصار مع بلال بن رباح وعمار بن ياسر وقد سعيا في ذلك لما كان يفعله بهما أمية في مكة ومن القتلى حنظلة بن ابي سفيان وابو جهل بن هشام أثخنهُ فتيان صغيران من الانصار لما كانا يسمعانهِ من انهُ كان شديد الايذاء لرسول الله واجهز عليه عبد الله بن مسعود وقتل نوفل بن خويلد قتله عليّ بن ابي طالب وقتل عبيدة والعاصي ولدا ابي احيحة سعيد بن العاص بن امية وقتل كثيرون غيرهم اما الاسرى فكانوا سبعين ايضاً قتل منهم عليه السلام وهو راجع عقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث اللذين كانا بمكة من اشد المستهزئين

وقد امر عليه السلام بالقتلى فنقلوا من مصارعهم التي كان الرسول عليه السلام اخبر بها قبل حصول الموقعة الى قليب بدر لانهُ عليه السلام كان من سننهِ في مغازيه اذا مرَّ بجيفة انسان امر بها فدفنت لا يسأل عنهُ مؤمناً اوكافراً ولما القي عتبة والدابي حذيفة احد السابقين الى الاسلام تغير وجه ابنهِ ففطن الرسول عليه السلام لذلك فقال لعلك دخلك من شأن ابيك شيءٌ فقال لا والله ولكني كنت اعرف

من ابي رأياً وحلماً وفضلاً فكنت ارجو ان يهديه الله للاسلام فلما رأيت ما مات عليه حزنني ذلك فدعا له الرسول عليه السلام بخير ثم امر عليه السلام براحلته فشد عليها حتى قام على شفة القليب الذي رمي فيه المشركون فجعل يناديهم بأسمائهم واسماء آبائهم يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان ايسركم انكم كنتم اطعتم الله ورسوله فانا قدوجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من اجساد لا ارواح فيها فقال والذي نفس محمد بيده ما انتم بأسمع لما اقول منهم وتقول عائشة رضي الله عنها انما قال انهم الآن ليعلمون ان ما كنت اقول لهم حق ثم قرأت إنكَ لا تُسمعُ الموتى وما انتَ بمسمعٍ مَن في القبور تقول يعلمون ذلك حينما تبوأوا مقاعدهم من النار (رواه البخاري) ثم ارسل عليه السلام المبشرين فأرسلَ عبدالله بن رواحة لاهل العالية(١) وارسل زيد بن حارثة لاهل السافلة راكباً على ناقة رسول الله وكان المنافقون والكفار من اليهود قدارجفوا بالرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين عادة الاعداء في اذاعة الضراء يقصدون بذلك فتنة المسلمين فجاء أولئك المبشرون بما سرّ أهل المدينة وكان ذلك وقت انصرافهم من دفن رقية بنت رسول الله وزوج عثمان ثم قفل رسول الله راجعاً وهنا وقع خلف بين بعض المسلمين

---

(١) قرى بظاهر المدينة وهي العوالي

في قسمة الغنائم فالشبان يقولون باشرنا القتال فهي لنا خالصة والشيوخ يقولون كنا ردءًا لكم فنشاركم ولما كان هذا الاختلاف مما يدعو الى الضعف ويزرع في القلوب العداوة والبغضاء المؤديين الى تشتت الشمل انزل الله حسماً لهذا الخلاف أول سورة الانفال (يسئلونكَ عن الأَنفالِ قلِ الأَنفالُ للهِ والرّسولِ فاتقوا اللهَ وأصلحوا ذاتَ بينكم وأطيعوا اللهَ ورسولهُ إن كنتم مؤمنين) فسطع على افئدتهم نور القرآن فتألفت بعد ان كادت تفترق وتركوا أمر الغنائم لرسول الله يضعها كيف شاء كما حكم القرآن فقسمها عليه السلام على السواء الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس وادخل في الاسهام بعض من لم يحضر لامر كانت بهِ وهم أبو لبابة الانصاري لانهُ كان مخلفاً على أهل المدينة والحارث بن حاطب لان الرسول عليه السلام خلفهُ على بني عمرو بن عوف ليحقق أمراً بلغهُ والحارث بن الصمة وخوّات بن جبير لانهما كسرا بالروحاء فلم يتمكنا من السير وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد لانهما ارسلا يتجسسان الاخبار فلم يرجعا الا بعد انتهاء الحرب وعثمان بن عفان لان الرسول عليه السلام خلفه على ابنتهِ رقية بمرضها وعاصم بن عدي لانهُ خلفهُ على اهل قباء والعالية وكذلك أسهم لمن قتل ببدر وهم أربعة عشر منهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ابن هاشم الذي جرح في المبارزة الاولى فانهُ رضي الله عنهُ مات عند رجوع المسلمين من بدر ودفن بالصفراء ولما قارب عليه السلام المدينة

تلقتهُ الولائد بالدفوف يقلن

طلع البــدر علينــا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

أسرى بدر

ولما دخلوا المدينة استشار عليه السلام اصحابه فيما يفعل بالاسرى. فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله قــد كذبوك وقاتلوك وأخرجوك فأرى ان تمكنني من فلان لقريب له فأضرب عنقه وتمكن حمزة من اخيه العباس وعلياً من اخيه عقيل وهكذا حتى يعلم انه ليس في قلوبنا مودة للمشركين ما ارى ان تكون لك اسرى فاضرب اعناقهم هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم. ووافقه على ذلك سعد بن معاذ وعبد الله بن رواحة وقال ابو بكر يارسول الله هؤلاء اهلك وقومك قد اعطاك الله الظفر والنصر عليهم ارى أن تستبقيهم وتأخــذ الفداء منهم فيكون ما اخذنا منهم قوّة لنا على الكفار وعسى ان الله يهديهم بك فيكونوا لك عضداً فقال عليه السلام ان الله ليُلين قلوب اقوام حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشددُ قلوب اقوام حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك ياابا بكر مثــل ابراهيم قال (فمن تبعني فانهُ مني ومن عصاني فانك غفورٌ رحيم) وان مثلك ياعمر مثل نوح قال (ربّ لاتذر على

الارض من الكافرينَ ديّاراً) ورأى عليه السلام رأى أبي بكر بعد ان مدح كلاً من الصاحبين لان الوجهة واحدة وهي اعزاز الدين وخذلان المشركين ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتنَّ احد من اسراكم الا بفداء وقد بلغ قريشاً ما عزم عليه الرسول في امرالاسرى فناحت على القتلى شهراً ثم اشير عليهم من كبارهم ان لا يفعلوا كيلا يبلغ محمداً واصحابه جزعهم فيشمتوا بهم فسكتوا وصمموا ان لا يبكوا قتلاهم حتى يأخذوا بثارهم وتواصوا فيما بينهم ان لا يعجلوا في طلب الفداء لئلا يتغالى المسلمون فيه

الفداء

فلم يلتفت الى ذلك المطلب بن أبي وداعة السهمي وكان أبوه من الاسري فخرج خفية حتى أتى المدينة وفدى أباه بأربعة آلاف درهم وعند ذلك بعثت قريش في فداء أسراها وكان أربعة آلاف الى الف درهم ومن لم يكن معه فداء وهو يحسن القراءةوالكتابةأعطوه عشرة من غلمان المدينة يعلمهم وكان ذلك فداءه (ومن) الاسرى عمرو بن أبي سفيان ولما طلب من أبيه فداؤه أبى وقال والله لا يجمع محمد بين ابني ومالي دعوه يمسكوه في أيديهم ما بدا لهم فبينما أبوسفيان بمكة اذ وجد سعد بن النعمان الانصاري معتمراً فعدا عليه فحبسه بابنه عمرو فمضى قوم سعد الى رسول الله وأخبروه الخبر فأعطاهم عمراً ففكوا

به سعداً (ومن) الاسرى أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول وكان عليه السلام قد أثنى عليه خيراً في مصاهرته فانه لما استحكمت العداوة بين قريش ورسول الله بمكة طلبوا من أبي العاص أن يطلق زينب كما فعل ابنا أبي لهب بابنتي الرسول فامتنع وقال والله لا أفارق صاحبتي وما أحب ان لي بها امرأة من قريش ولما أسر أرسلت زينب في فدائه قلادة لها كانت حلتها بها أمها خديجة ليلة عرسها فلما رأى عليه السلام تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال لاصحابه ان رأيتم ان تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فأفعلوا فرضى الاصحاب بذلك فاطلقه عليه السلام بشرط ان يترك زينب تهاجر الى المدينة فلما وصل الى مكة امرها باللحاق بأبيها وكان الرسول ارسل لها من يأتي بها فاحتملوها (هذا) ولما أسلم ابو العاص بن الربيع قبيل الفتح رد عليه امراته بالنكاح الاول (ومن) الاسرى سهيل بن عمرو وكان من خطباء قريش وفصحائها وطالما آذى المسلمين بلسانه فقال عمر بن الخطاب دعني يارسول الله انزع ثنيتي سهيل يدلع (١) لسانهُ فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً فقال عليه السلام لا أمثل فيمثل الله بي وان كنت نبياً وعسى أن يقوم مقاماً لا تذمه وقدم بفدائه مكرز ابن حفص ولما ارتضى معهم على مقدار خبس نفسه بدله حتى جاءَ

(١) يخرج

بالفداء . هذا وقد حقق الله خبر الرسول في سهيل فانهُ لما مات عليه السلام أراد اهل مكة الارتداء كما فعل غيرهم من الاعراب فقام سهيل هذا خطيباً وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حيٌّ لا يموت ألم تعلموا أن الله قال (انك ميتٌ وانهم ميتون) وقال (وما محمدٌ إلاَّ رَسولٌ قدْ خلتْ منْ قبلهِ الرُّسلُ أفائن مات أوْ قُتلَ انقلبتمْ على أعقابكم) ثم قال والله اني اعلم ان هذا الدين سيمتدُّ امتداد الشمس في طلوعها فلا يغرنكم هذا (يريد أبا سفيان) من انفسكم فانهُ ليعلم من هذا الامر ما اعلم لكنهُ قد ختم على صدره حسد بني هاشم وتوكلوا على ربكم فان دين الله قائمٌ وكلمتهُ تامة وان الله ناصر من نصره ومقوّ دينه وقد جمعكم الله على خيركم (يريد أبا بكر) وان ذلك لم يزد الاسلام الا قوّة فمن رأيناه ارتدَّ ضربنا عنقه فتراجع الناس عما كانوا عزموا عليه وكان هذا الخبر من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم (ومن) الاسرى الوليد بن الوليد افتكه اخواه خالد وهشام فلما افتدى ورجع الى مكة اسلم فقيل له هلا اسلمت قبل الفداء فقال خفت ان يعدوا اسلامي خوفاً ولما اراد الهجرة منعهُ اخواه ففرَّ الى النبي في عمرة القضاء (ومن) الاسرى السائب بن يزيد وكان صاحب الراية في تلك الحرب فدى نفسه وهو الجد الخامس للامام محمد بن ادريس الشافعي (ومنهم) وهب بن عمير الجمحي كان ابوه

عمير شيطاناً من شياطين قريش كثير الايذاء لرسول الله جاس يوماً بعد انتهاء هذه الحرب مع صفوان بن امية يتذاكران مصاب بدر فقال عمير والله لولا دين عليّ ليس عندي قضاؤه وعيال اخشى عليهم الفقر بعدي كنت آتي محمداً فأقتله فان ابني اسير في ايديهم فقال له صفوان دينك عليّ وعيالك مع عيالي فأخذ عمير سيفه وشحذه وسمه وانطلق حتى قدم المدينة فبينا عمر مع نفر من المسلمين اذ نظر الى عمير متوشحاً سيفه فقال هـذا الكلب عدو الله ما جاء الا بشر ثم قال للنبي عليه السلام هذا عدو الله عمير قد جاء متوشحاً سيفه فقال أدخله عليّ فأخذ عمر بحمائل سيفه وادخله فلما رآه عليه السلام قال أطلقه يا عمر ادنُ يا عمير فدنا وقال انعموا صباحاً فقال عليه السلام قد ابدلنا الله تحية خيراً من تحيتك وهي السلام ثم قال ما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الاسير الذي في ايديكم فاحسنوا فيه قال فما بال السيف قال قبحها الله من سيوف وهل اغنت عنا شيئاً فقال عليه السلام اصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك قال عليه السلام كلا بل قعدت انت وصفوان في الحجر وقلتما كيت وكيت فأسلم عمير وقال كنا نكذبك بما تأتي به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا امر لم يحضره الا انا وصفوان فقال عليه السلام فقهوا اخاكم في دينه واقرؤه القرآن واطلقوا اسيره فعاد عمير الى مكة واظهر اسلامه (ومن) الاسرى ابو عزيز بن عمير اخو مصعب بن عمير مر به اخوه فقال للذي اسره شديدك

به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك فقال له يا اخي هذه وصايتك بي . بعثت امه بفدائه اربعة آلاف درهم (ومن) الاسرى العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد خرج لهذه الحرب مكرهاً ولما وقع في الاسر طلب منه فداء نفسه وابن اخيه عقيل ابن ابي طالب فقال علام ندفع وقد استكرهنا على الخروج فقال عليه السلام لقد كنت في الظاهر علينا فاخذت منه فدية نفسه وابن اخيه ثم قال للرسول لقد تركتني فقير قريش ما بقيت قال كيف وقد تركت لام الفضل اموالاً وقلت لها ان مت فقد تركتك غنية فقال العباس والله ما اطلع على ذلك احد . وهـذا العمل غاية ما يفعل من العدل والمساواة فانه عليه السلام لم يعاف عمه مع علمه بأنه انما خرج مكرها وقد عافى غيره جماعة تحقق له فقرهم فهكذا العـدل ولا غرابة فذلك أدب قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين) (ومن) الاسرى ابو عزة الجمحي الشاعر كان شديد الايذاء لرسول الله بمكة فلما اسر قال يا محمد اني فقير وذو عيال وذو حاجة قد عرفتها فامنن عليّ فمنّ عليه فضلاً منه

العتاب في الفداء

ولما تم الفداء أنزل الله في شأنه (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله

عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)
نهى سبحانه عن اتخاذ الاسرى قبل الاثخان في قتل الذين يصدون
عن سبيل الله ويمنعون دين الله من الانتشار وعاب بعض المسلمين
على ارادة عرض الدنيا وهو الفدية ولولا حكم سابق من الله أن لا يعاقب
مجتهداً على اجتهاده ما دام المقصد خيراً لكان العذاب ثم أباح لهم
الا كل من تلك الفدية المبني أخذها على النظر الصحيح وهذا من
أقوى الادلة على صدق نبينا عليه السلام فيما جاء به لانه لو كان من
عنده ما كان يعاتب نفسه على عمل عمله بناء على رأي كثير من الصحابة
وقد وعد الله الاسرى الذين يعلم في قلوبهم خيراً بأن يؤتيهم خيراً
مما أخذ منهم ويغفر لهم فقال (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى
ان يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله
غفور رحيم) وهذه الغزوة هي التي أعز الله بها الاسلام وقوّى أهله
ودمغ فيه الشرك وخرب محله مع قلة المسلمين وكثرة عدوهم فهي آية
ظاهرة على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله مع ما كان عليه العدو من
القوة بسوابغ الحديد.والعدة الكاملة والخيل المسوّمة والخيلاء الزائدة
ولذلك قال الله ممتنا على عباده بهذا النصر (ولقد نصركم الله ببدر
وأنتم أذلة) اي قليل عددكم لتعلموا ان النصر انما هو من عند الله
فهي اعظم غزوات الاسلام اذ بها كان ظهوره وبعد وقوعها اشرق
على الآفاق نوره فقد قتل فيها من صناديد قريش من كانوا الاعداء

الأ لداء للاسلام ودخل الرعب في قلوب العرب الآخرين فكانت للمسلمين هيبة بها يكسرون الجيوش و يهزمون الرجال فلا جرم ان شكرنا العلي الاعلى على هذه العناية واتخذنا يوم النصر في بدر وهو السابع عشر من رمضان عيداً نتذكر فيه نعمة الله على رسوله وعلى المسلمين.

غزوة قينقاع

هذا واذا كان للشخص عدوان فانتصر على احدهما حرك ذلك شجو الآخر وهاج فؤاده فتبدو بغضاؤه غير مكترث بعاقبة عدائه وهذا ما حصل من يهود بني قينقاع عند تمام الظفر في بدر فانهم نبذوا ما عاهدوا المسلمين عليه واظهروا مكنون ضمائرهم فبدت البغضاء من افواههم وانتهكوا حرمة سيدة من نساء الانصار وهذا مما يدعو المسلمين للتحرز منهم وعدم ائتمانهم في المستقبل اذا شبت الحرب في المدينة بين المسلمين وغيرهم فانزل الله في سورة الانفال (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ (١) اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) فدعا عليه السلام رؤساءهم وحذرهم عاقبة البغي ونكث العهد فقالوا يا محمد لا يغرنك ما لقيت من قومك فانهم لاعلم لهم بالحرب ولو لقيتنا لتعلمن انا نحن

(١) أي فاطرح اليهم العهد على طريق مستو قصد بأن تظهر لهم نبذ العهود ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد لان ذلك خيانة ولذا قال (ان الله لا يحب الخائنين)

الناس وكانوا اشجع يهود فانزل الله في سورة آل عمران (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قدكان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار) وعند ذلك تبرأ من حلفهم عبادة بن الصامت أحد رؤساء الخزرج وتشبث بالحلف عبد الله بن ابيّ وقال اني رجل اخشى الدوائر فانزل الله تعليما للمسلمين في سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في انفسهم نادمين) وعندما تظاهر يهود قينقاع بالعداوة وتحصنوا بحصونهم سار اليهم عليه السلام في نصف شوال من هذه السنة يحمل لواءه عمه حمزة وخلف على المدينة أبا لبابة الانصاري فحاصرهم خمس عشرة ليلة

جلاء قينقاع

ولما رأوا من أنفسهم العجز عن مقاومة المسلمين وأدركهم الرعب سألوا رسول الله أن يخلي سبيلهم فيخرجوا من المدينة ولهم النساء والذرية وللمسلمين الاموال فقبل ذلك عليه السلام ووكل بجلائهم

عبادة بن الصامت وأمهلهم ثلاث ليال فذهبوا الى اذرعات (١) ولم يحل عليهم الحول حتى هلكوا كلهم وخمس عليه السلام أموالهم وأعطى سهم ذوي القربى لبني هاشم ولبني المطلب دون بني أخويهما عبد شمس ونوفل ولما سئل عن ذلك قال انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد في الجاهلية والاسلام هكذا وشبك بين أصابعه



غزوة السويق

كان أبو سفيان متهيجاً لانه لم يشاهد بدرا التي قتل فيها ابنه وذوو قرباه فحلف ان لا يمس رأسه الماء حتى يغزو محمداً وليبر بقسمه خرج بمائتين من أصحابه يريد المدينة ولما قاربها أراد أن يقابل اليهود من بني النضير ليهيجهم ويستعين بهم على حرب المسلمين فأتى سيدهم حيي بن أخطب فلم يرض مقابلته فأتى سلام بن مشكم فأذن له واجتمع به ثم خرج من عنده وأرسل رجالا من قريش الى المدينة فحرقوا بعض نخلها ووجدوا انصاريا فقتلوه ولما علم بذلك رسول الله خرج اثرهم في مائتين من أصحابه لخمس خلون من ذي الحجة بعد ان ولى على المدينة بشير بن عبد المنذر ولكن لم يلحقهم لانهم هربوا وجعلوا يخففون ما يحملونه ليكونوا أقدر على الاسراع فألقوا مامعهم من جرب السويق فأخذه المسلمون ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة السويق

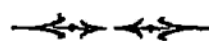
(١) بلد بالشام

صلاة العيد

وفي هذا العام سن الله للعالم الاسلامي سنة عظيمة بها يتمكن أبناء البلد الواحد من المسلمين ان يجددوا عهود الاخاء ويقووا عروة الدين الوثقى وهي الاجتماع في يومي عيد الفطر وعيد الاضحى وكان عليه السلام يجمع المسلمين في صعيد واحد ويصلي بهم ركعتين تضرعاً الى الله ان لا يفصم عروتهم وان ينصرهم على عدوهم ثم يخطبهم حاضاً لهم على الائتلاف ومذكراً لهم ما يجب عليهم لانفسهم ثم يصافح المسلمون بعضهم بعضاً وبعد ذلك يخرجون لاداء الصدقات للفقراء والمساكين حتى يكون السرور عاماً لجميع المسلمين فبعد الفطر زكاته وبعد الاضحى تضحيته نسأله تعالى ان يؤلف قلوبنا ويوفقنا لاعمال سلفنا

زواج علي بفاطمة عليهما السلام

وفي هذه السنة تزوج علي بن أبي طالب وعمره احدى وعشرون سنة بفاطمة بنت رسول الله وسنها خمس عشرة سنة وكان منها عقب رسول الله بنو الحسن والحسين وزينب (وفيها) دخل عليه السلام بعائشة بنت أبي بكر وسنها اذ ذاك تسع سنوات



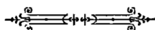
السنة الثالثة

يالله يقضي على الشقي بالشقاوة حتى لا يسمع ولا يبصر فيتخذ الغدر رداء والخيانة شعاراً فلا ينجح معه الا اراحة العالم من شره هذا كعب بن الاشرف اليهودي عظيم بني النضير أعمته عداوة المسلمين حتى خلع برقع الحياء وصار يحرض قريشاً على حرب رسول الله ويهجوه بالشعر ويجتهد في اثارة الشحناء بين المسلمين فكلما جبر عليه السلام كسراً هاضه هذا الشقي بما ينفثه من سموم لسانه

قتل كعب بن الاشرف

ولما انتصر المسلمون ببدر ورأى الاسرى مقرنين في الحبال خرج الى قريش يبكي قتلاهم ويحرضهم على حرب المسلمين فقال عليه السلام من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة الانصاري الاوسي أتحب ان أقتله قال نعم قال أنالك به وأذن لي أن اقول شيئاً أتمكن به فاذن له ثم خرج ومعه أربعة من قومه حتى أتى كعباً فقال له ان هذا الرجل (يريد رسول الله) قد سألنا صدقة وانه قد عنانا واني قد أتيتك استسلفك قال وأيضاً والله لتملنه قال انا قد اتبعناه فلا نحب ان ندعه حتى ننظر الي أي شيء يصير شأنه وقد أردنا ان تسلفنا وسقا أو وسقين قال نعم ولكن ارهنوني قالوا أي شيء

تريد قال ارهنوني نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب قال فارهنوني ابناءكم قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللأمة يعني السلاح فرضى فواعده ليلاً ان يأتيه فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة أخو كعب من الرضاع وعباد بن بشر والحارث بن أوس وابو عبس بن جبر وكلهم اوسيون فناداه محمد بن مسلمة فاراد ان ينزل فقالت له امرأته اين تخرج الساعة وانك امرؤ محارب فقال انما هو ابن اخي محمد بن مسلمة ورضيعي ابو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة بليل لاجاب ثم قال محمد لمن معه اذا جاءني فاني آخذ بشعره فاشمه فاذا رايتموني استمكنت من راسه فاضربوه فنزل اليهم كعب متوشحاً سيفه وهو ينفح منه ريح المسك فقال محمد ما رايت كاليوم ريحاً اطيب اتأذن لي ان اشم راسك قال نعم فشمه فلما استمكن منه قال دونكم فاقتلوه ففعلوا واراح الله المسلمين من شر اعماله التي كان يقصدها بهم ثم اتوا النبي فأخبروه وكان قتل هذا الشقي في ربيع الاول من هذا العام وكان عليه السلام اذا راى من رئيس غدراً ومقاصد سوء ومحبة لاثارة الحرب ارسل له من يريحه من شره وقد فعل كذلك مع ابي عفك اليهودي وكان مثل كعب في الشر



غزوة غطفان

بلغ رسول الله ان بني ثعلبة ومحارب من غطفان تجمعوا برياسة رئيس منهم اسمه دعثور يريدون الغارة على المدينة فاراد عليه السلام ان يغل ايديهم كيلا يتمكنوا من هذا الاعتداء فخرج اليهم من المدينة في اربعمائة وخمسين رجلا لثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول وخلف على المدينة عثمان بن عفان ولما سمعوا بسير رسول الله هربوا الى رؤس الجبال ولم يزل المسلمون سائرين حتى وصلوا ماء يسمى ذا أمر فعسكروا به وحدث انه عليه السلام نزع ثوبه يجففه من مطر بلله وارتاح تحت شجرة والمسلمون متفرقون فابصره دعثور فاقبل اليه بسيفه حتى وقف على رأسه وقال من يمنعك مني يا محمد فقال الله فادركت الرجل هيبة ورعب أسقطا السيف من يده فتناوله عليه السلام وقال لدعثور من يمنعك مني قال لا أحد فعفا عنه فاسلم الرجل ودعا قومه للاسلام وحول الله قلبه من عداوة رسول الله وجمع الناس لحربه الى محبته وجمع الناس له ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا ما ينتجه حسن المعاملة والبعد عن الفظاظة وغلظ القلب (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر)

غزوة بحران

بلغه عليه السلام أن جمعاً من بني سليم يريدون الغارة على المدينة فسار اليهم في ثلاثمائة من أصحابه لست خلون من جمادي الاولى وخلف على المدينة ابن أم مكتوم ولما وصل الى بحران (١) تفرقوا ولم يلق كيدا فرجع

سرية

لما تيقنت قريش أن طريق الشام من جهة المدينة أغلق في وجه تجارتهم ولا يمكنهم الصبر عنها لان بها حياتهم أرسلوا عيرا الى الشام من طريق العراق وكان فيها جمع من قريش منهم أبو سفيان ابن حرب وصفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى فجاءت أخبارهم لرسول الله فارسل لهم زيد بن حارثة في مائة راكب يترقبونهم وكان ذلك في جمادى الآخرة فسارت السرية حتى لقيت العير على ماء اسمه (القردة) بناحية نجد فاخذت العير وما فيها وهرب الرجال وقد خمس الرسول عليه السلام هذه العير حينما وصلت له

(١) موضع بناحية الفرع وهذا موضع من اضخم اعراض المدينة

غزوة أحد

لما أصاب قريشاً ما أصابها ببدر وأغلقت في وجوههم طرق التجارة اجتمع من بقي من أشرافهم الى أبي سفيان رئيس تلك العير التي جلبت عليهم المصائب وكانت موقوفة بدار الندوة ولم تكن سلمت لاصحابها بعد فقالوا ان محمداً قد وترنا وقتل خيارنا وانا رضينا ان نترك ربح أموالنا فيها استعداداً لحرب محمد وأصحابه وقد رضي بذلك كل من له فيها نصيب وكان ربحها نحواً من خمسين الف دينار فجمعوا لذلك الرجال فاجتمع من قريش ثلاثة آلاف رجل ومعهم الاحابيش وهم حلفاؤهم من بني المصطلق و بني الهون بن خزيمة ومعهم أبو عامر الراهب الاوسي وكان قد فارق المدينة كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عدد ممن هم على شاكلته وخرج معهم جماعات من أعراب كنانة وتهامة وقال صفوان بن أمية لابي عزة الشاعر الذي لا ينسى القارئ ان الرسول منّ عليه ببدر واطلقه من غير فداء انك رجل شاعر فأعنا بلسانك فقال اني عاهدت محمداً أن لا أعين عليه وأخاف ان وقعت في يده مرة ثانية أن لا أنجو فلم يزل به صفوان حتى أطاعه وذهب يستنفر الناس لحرب المسلمين ودعا جبير بن مطعم غلاماً حبشياً له اسمه وحشي وكان رامياً قلما يخطئ فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة بعمي طعيمة فانت حر ثم خرج الجيش ومعهم القيان

والدفوف والمعازف والخمور واصطحب الاشراف منهم نساءهم كيلا ينهزموا ولم يزالوا سائرين حتى نزلوا مقابل المدينة بذي الحليفة . أما رسول الله عليه الصلاة والسلام فكان قد بلغه الخبر من كتاب بعث به اليه عمه العباس بن عبد المطلب الذي لم يخرج مع المشركين في هذه الحرب محتجاً بما أصابه يوم بدر ولما وصلت الاخبار باقتراب المشركين جمع عليه السلام أصحابه وأخبرهم الخبر وقال ان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان هم أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فكان من رأيه شيوخ المهاجرين والانصار ورأى ذلك أيضاً عبد الله بن أبي أما الاحداث وخصوصاً من لم يشهد بدراً منهم فأشاروا عليه بالخروج وكان من رأيهم حمزة بن عبد المطلب وما زال هؤلاء بالرسول حتى تبع رأيهم لانهم الاكثرون عدداً والاقوون جلداً فصلى الجمعة بالناس في يومها لعشر خلون من شوال وحضهم في خطبتها على الثبات والصبر وقال لهم (لكم النصر ما صبرتم) ثم دخل حجرته ولبس عدته فظاهر بين درعين (١) وتقلد السيف وألقى الترس وراء ظهره ولما رأى ذوو الرأى من الانصار أن الاحداث استكرهوا الرسول على الخروج لاموهم وقالوا ردوا الامر لرسول الله فما أمر ائتمرنا فلما

(١) أي لبس درعاً فوق درع وهما ذات الفضول وفضة التي أصابها من بني قينقاع

خرج عليه السلام قالوا يارسول الله نتبع رأيك فقال ما كان لنبي لبس سلاحه أن يضعه حتى يحكم الله بينه و بين أعـدائه ثم عقد الالوية فاعطى لواء المهاجرين لمصعب بن عمير ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ولواء الاوس لاسيد بن الحضير وخرج من المدينة بألف رجل فلما وصلوا رأس الثنية نظر عليه السلام كتيبة كبيرة فسأل عنها فقيل هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي من اليهود فقال انا لا نستعين بكافر على مشرك وأمر بردهم لانه لا يأمن جانبهم من حيث لهم اليد الطولى في الخيانة ثم استعرض الجيش فرد من استصغر وكان فيمن رد رافع بن خديج وسمرة بن جندب ثم أجاز رافعاً لما قيل له انه رام فبكى سمرة وقال لزوج أمه أجاز رسول الله رافعاً وردني مع اني أصرعه فبلغ رسول الله الخبر فامرهما بالمصارعة فكان الغالب سمرة فاجازه ثم بات عليه السلام محاله ليلة السبت واستعمل على حرس الجيش محمد بن مسلمة وعلى حرسه الخـاص ذكوان بن قيس وفي السحر سار الجيش حتى اذا كان بالشوط وهو بستان بين أحد والمدينة رجع عبد الله بن أبي بثلاثمائة من أصحابه وقال عصاني وأطاع الولدان فعلام نقتل أنفسنا فتبعهم عبد الله بن عمرو والد جابر وقال ياقوم اذكركم الله ان تخذلوا قومكم ونبيكم قالوا (لو نعلم قتالاً لاتبعناكم) فقال لهم أبعدكم الله فسيغني الله عنكم نبيه . ولما فعل ذلك عبد الله بن أبي همت طائفتان من المؤمنين ان تفشلا بنو حارثة من الخزرج و بنو

سَلِمة من الاوس فعصمهما الله وقد افترق المسلمون فرقتين فيما يفعلون بالمتخذلين فقوم يقولون نقاتلهم وقوم يقولون نتركهم فأنزل الله في سورة النساء (فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً) ثم سار الجيش حتى نزل الشعب من أحد (١) وجعل ظهره للجبل ووجهه للمدينة أما المشركون فنزلوا ببطن الوادي من قبل أحد وكان على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة ابن أبي جهل وعلى المشاة صفوان بن أمية فجعل عليه السلام الزبير ابن العوام بازاء خالد وجعل آخرين أمام الباقين واستحضر الرماة وكانوا خمسين رجلاً يرأسهم عبد الله بن جبير الانصاري فوقفهم خلف الجيش على ظهر الجبل وقال لا تبرحوا ان رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان رأيتموهم ظهروا علينا فلا تبرحوا ثم عدّل عليه السلام الصفوف وخطب المسلمين وكان فيما قال (ألقى في قلبي الرّوح الامين أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وان أبطأ عنها فاتقوا ربكم وأجملوا في طلب الرزق لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد اذا اشتكى تداعي له سائر جسده) ثم ابتدأ القتال بالمبارزة

(١) جبل شمال المدينة الشرقي

فخرج رجل من صفوف المشركين فبرز له الزبير فقتله ثم حمل اللواء طلحة بن ابي طلحة فقتله علي فحمل اللواء اخوه عثمان فقتله حمزة فحمله أخ لهما اسمه ابو سعيد فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم قضى عليه فتناوب اللواء بعده اربعة من اولاد طلحة بن ابي طلحة وكلهم يقتلون وخرج من صفوف المشركين عبد الرحمن بن ابي بكر يطلب البراز فاراد ابوه ان يبرز له فقال له عليه السلام متعنا بنفسك يا ابا بكر ثم حملت خيالة المشركين على المسلمين ثلاث مرات وفي كلها ينضحهم المسلمون بالنبــل فيتقهقرون ولما التقت الصفوف وحميت الحرب ابتدأ نساء المشركين يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار تهييجاً لعواطف الرجال وكان عليه السلام كلما سمع نشيد النساء يقول (اللهم بك احول وبك اصول وفيك اقاتل حسبي الله ونعم الوكيل) وفي هذه المعمعة قتل حمزة بن عبــد المطلب عم رسول الله سيد الشهداء. غافله وحشي وهو يجول في الصفوف وضربه بحربة لم تخطئ ثنايا بطنه

(هذا) ولما قتل حملة اللواء من المشركين ولم يقدر أحد على الدنو منه ولوا الادبار ونساؤهم يبكين ويولولن وتبعهم المسلمون يجمعون الغنائم والاسلاب فلما رأى ذلك الرماة الذين يحمون ظهور المسلمين فوق الجبل قالوا مالنا في الوقوف من حاجة ونسوا امر السيد الحكيم صلى الله عليه وسلم فذكرهم رئيسهم به فلم يلتفتوا وانطلقوا ينتهبون اما رئيسهم فثبت ومعه قليل منهم فلما راى خالد بن الوليد

أحد رؤساء المشركين خلو الجبل من الرماة انطلق ببعض الجيش فقتل من ثبت من الرماة وأتى المسلمين من ورائهم وهم مشتغلون بدنياهم فلما رأوا ذلك البلاء دهشوا وتركوا ما بأيديهم وانتقضت صفوفهم واختلطوا من غير شعور حتى صار يضرب بعضهم بعضاً ورفعت احدى نساء المشركين اللواء فاجتمعوا حوله وكان من المشركين رجل يقال له ابن قمئة قتل مصعب بن عمير صاحب اللواء وأشاع ان محمداً قد قتل فدخل الفشل في المسلمين حتى قال بعضهم علام نقاتل اذا كان محمد قد قتل فارجعوا الى قومكم يؤمنوكم وقال جماعة اذا كان محمد قد قتل فقاتلوا عن دينكم وكان من نتيجة هذا الفشل ان انهزم جماعة من المسلمين من بينهم الوليد بن عقبة وخارجة بن زيد ورفاعة بن المعلى وعثمان بن عفان وتوجهوا الى المدينة ولكنهم استحيوا أن يدخلوها فرجعوا بعد ثلاث وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة منهم أبو طلحة الانصاري استمر بين يديه يمنع عنه بجحفته وكان رامياً شديد الرمي فنثر كنانته بين يدي رسول الله وصار يقول وجهي لوجهك فداء وكل من كان يمر ومعه كنانة يقول له عليه السلام انثرها لابي طلحة وكان ينظر الى القوم ليرى ماذا يفعلون فيقول له أبو طلحة يانبي الله بأبي انت وامي لا تنظر يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك (وممن) ثبت سعد بن ابي وقاص فكان عليه السلام يقول له ارم سعد فداك ابي وامي (ومنهم) سهل بن حنيف وكان من مشاهير

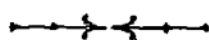
الرماة نضح عن رسول الله بالنبل حتى انفرج عنه الناس (ومنهم) ابو دجانة سماك بن خرشة الانصاري تترس على رسول الله فصار النبل يقع في ظهره وهو منحن حتى كثر فيه (وكان) يقاتل عن الرسول زيادة بن الحارث حتى اصابت الجراح مقاتله فأمر به فأدنى منه ووسده قدمه حتى مات (وقد) اصابه عليه السلام شدائد عظيمة تحملها بما اعطاه الله من الثبات فقد اقبل ابيّ بن خلف يريد قتله فأخذ عليه السلام الحربة ممن كانوا معه وقال خلوا طريقه فلما قرب منه ضربه ضربة كانت سبب هلاكه وهو راجع ولم يقتل رسول الله غيره لا في هذه الغزوة ولا في غيرها (وكان) ابو عامر الراهب قد حفر حفراً وغطاها ليقع فيها المسلمون فوقع الرسول في حفرة منها فأغمى عليه وخدشت ركبتاه فأخذ عليّ بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله وهما ممن ثبت حتى استوى قائماً فرماه عتبة بن ابي وقاص بحجر كسر رَباعِيَته فتبعه حاطب بن ابي بلتعة فقتله وشجّ وجهه عليه السلام عبد الله بن شهاب الزهري وجرحت وجنتاه بسبب دخول حلقتي المغفر فيهما من ضربة ضربه بها ابن قمئة غضب الله عليه فجاء ابو عبيدة وعالج الحلقتين حتى نزعهما فكسرت في ذلك ثنيتّاه وقال حينئذٍ عليه السلام كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فأنزل الله في سورة آل عمران (ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون) وكان اول من عرف رسول الله بعد هذه الدهشة كعب بن مالك الانصاري

فنادى يامعشر المسلمين ابشروا فأشار اليه الرسول ان اصمت ثم سار بين سعد بن ابي وقاص وسعد بن عبادة يريد الشعب ومعه جمع منهم ابو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحارث بن الصمت واقبل عليه اذ ذاك عثمان بن عبد الله بن المغيرة يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فعثر به فرسه ووقع في حفرة فمشى اليه الحارث بن الصمة وقتله ولما وصل الشعب جاءت فاطمة فغسلت عنه الدم وكان علي يسكب الماء ثم اخذت قطعة من حصير فاحرقتها ووضعتها على الجرح فاستمسك الدم ثم اراد عليه السلام ان يعلو الصخرة التي في الشعب فلم يمكنه القيام لكثرة ما نزل من دمه فحمله طلحة بن عبيد الله حتى اصعده فنظر الى جماعة من المشركين على ظهر الجبل فقال لا ينبغي لهم ان يعلونا اللهم لا قوة لنا الا بك ثم ارسل اليهم عمر بن الخطاب في جماعة فانزلوهم (وقد) اصاب المسلمين الذين كانوا يحوطون رسول الله كثير من الجراحات لان الشخص منهم كان يتلقى السهم خوفاً ان يصل للرسول فوجد بطلحة نيف وسبعون جراحة وشلت يده واصاب كعب ابن مالك سبع عشرة جراحة اما القتلى فكانوا نيفاً وسبعين منهم ستة من المهاجرين والباقون من الانصار (ومن) المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير ومن الانصار حنظلة بن ابي عامر وعمرو ابن الجموح وابنه خلاد بن عمرو واخو زوجته والد جابر بن عبد الله فاتت زوجة عمرو هند بنت حرام وحملتهم زوجها وابنها واخاها على

بعير لتدفنهم بالمدينة فنهى عليه السلام عن الدفن خارج احد فرجعوا
(وقتل) سعد بن الربيع وارسل عليه السلام من يأتيه بخبره فوجده
بين القتلى وبه رمق فقيل له ان رسول الله يسأل عنك فقال لمبلغه قل
لقومي يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما عاهدتم عليه رسوله ليلة
العقبة فوالله مالكم عندي عذر (وقتل) انس بن النضر عم انس بن
مالك فانه لما سمع بقتل رسول الله قال يا قوم ما تصنعون بالبقاء بعده
موتوا على ما مات عليه اخوانكم فلم يزل يقاتل حتى قتل رضي الله عنه
ومثلت قريش بقتلى احد حتى ان هنداً زوج ابي سفيان بقرت بطن
حمزة واخذت كبده لتأكلها فلاكتها ثم ارسلتها وفعلوا قريباً من ذلك
باخوانه الشهداء (ثم) ان ابا سفيان صعد الجبل ونادى باعلى صوته
نعمت فعال ان الحرب سجال يوم بيوم بدر وموعدكم بدر العام المقبل
ثم قال انكم ستجدون في قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسوئني . ثم ان
المشركين رجعوا الى مكة ولم يعرجوا على المدينة وهذا مما يدل على
ان المسلمين لم ينهزموا في ذلك اليوم والا لم يكن بد من تعقب
المشركين لهم حتى يغيروا على مدينتهم . ثم تفقد عليه السلام القتلى
وحزن على عمه حمزة حزناً شديداً ودفن الشهداء كلهم بأحد كل شهيد
بثوبه الذي قتل فيه وكان يدفن الرجلين والثلاثة في لحد واحد
لما كان عليه المسلمون من التعب فكان يشق عليهم ان يحفروا لكل
شهيد حفرة (ولما) رجع المسلمون الى المدينة سخر بهم اليهود والمنافقون

وأظهروا ما في قلوبهم من البغضاء وقالوا لاخوانهم (لو كانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا)

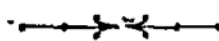
وهـذا الذي ابتلى به المسلمون درس مهم لهم يذكرهم بأمرين عظيمين تركهما المسلمون فأصيبوا (أولهما) طاعة الرسول في امره فقد قال للرماة لا تبرحوا من مكانكم ان نحن نصرنا او قهرنا فعصوا امره ونزلوا (الثاني) ان تكون الاعمال كلها لله غير منظور فيها لهذه الدنيا التي كثيراً ما تكون سبباً في مصائب عظيمة وهؤلاء ارادوا عرض الدنيا والتهوا بالغنائم حتى عوقبوا وفي ذلك انزل الله في سورة آل عمران التي فصلت غزوة احد (ولقد صدقكم الله وعده اذ تَحُسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) فسبب هـذا الابتلاء التنازع فينبغي الاتفاق . والفشل فينبغي الثبات . والعصيان فينبغي طاعة الرئيس . نسأل الله التوفيق



غزوة حمراء الاسد

لما رجع عليه السلام الى المدينة اصبح حذراً من رجوع المشركين الى المدينة ليتمموا انتصارهم فنادى في أصحابه بالخروج خلف العدو

وان لايخرج الا من كان معه بالامس فاستجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح فضمدوا جراحاتهم وخرجوا واللواء معقود لم يحل فأعطاه علي بن أبي طالب وولى على المدينة ابن أم مكتوم ثم سار الجيش حتى وصلوا حمراء الاسد(١) وقد كان ماظنه الرسول حقاً فان المشركين تلاوموا على ترك المسلمين من غير شن الغارة على المدينة حتى يتم لهم النصر فاصروا على الرجوع ولكن لما بلغهم خروج الرسول في اثرهم ظنوا انه قد حضر معه من لم يحضر بالامس والقى الله الرعب في قلوبهم فتمادوا في سيرهم الى مكة وظفر عليه السلام وهم في حمراء الاسد بأبي عزة الشاعر الذي منّ عليه ببدر بعد ان تعهد ان لايكون على المسلمين فأمر بقتله فقال يا محمد اقلني وامنن علي ودعني لبناتي واعطيك عهداً ان لا أعود لمثل ما فعلت فقال عليه السلام لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين («لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» اضرب عنقه يازيد فضرب عنقه وفي هذا تأديب عظيم من صاحب الشرع الشريف فان الرجل الذي لا يحترز مما اصيب منه ليس بعاقل فلا بد من الحزم لاقامة دعائم الملك



(١) موضع على ثمانية اميال من المدينة في طريق مكة .

حوادث

في هـذه السنة زوج عليه السلام بنته أم كلثوم لعثمان بن عفان بعد ان ماتت رقية عنده ولذلك كان يسمى ذا النورين (وفيها) تزوج عليه السلام حفصة بنت عمر بن الخطاب وامها اخت عثمان ابن مظعون وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي رضي الله عنه فتوفى عنها بجراحة اضابته ببدر (وفيها) تزوج عليه السلام زينب بنت خزيمة الهلالية من بني هلال بن عامر كانت تدعى في الجاهلية ام المساكين لرأفتها واحسانها اليهم وكانت قبله تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها باحد وهي اخت ميمونة بنت الحارث لامها (وفيها) ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما (وفيها) حرمت الخمر وكان تحريمها بالتدريج لما كان عليه العرب من المحبة الشديدة لهـا فيصعب اذاً تحريمها دفعة واحـدة وكان ذلك التحريم تابعاً لحوادث تنفر عنها لان المنكر اذا اسند تحريمه لحادثة اقر الجميع على تقبيحها كان ذلك اشد تأثيراً في النفس فاول ما بين فيها قوله تعالى في سورة البقرة (يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس) فمنفعة الميسر التصدق بربحه على الفقراء كما كانت عادة العرب ومنفعة الخمر تقوية الجسم ولما شربها بعض المسلمين وخلط في القراءة حرمت الصلاة على السكران فقال تعالى في سورة النساء (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم

سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ولما حدث من شربها اعتداء بعض المسلمين على اخوانهم حرمت قطعياً بقوله تعالى في سورة المائدة (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب (١) والازلام (٢) رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون) وقد اجاب المسلمون على ذلك بقولهم انتهينا فليجب المسلمون الآن

السنة الرابعة

في بدء السنة الرابعة بلغ رسول الله ان طليحة وسلمة ابني خويلد الاسديين يدعوان قومهما بني اسدٍ لحربه عليه السلام فدعا ابا سلمة ابن عبد الاسد المخزومي وعقد له لواء وقال له سر حتى تنزل ارض بني اسد بن خزيمة فأغر عليهم وارسل معه رجالاً فسار في هلال المحرم حتى بلغ قطناً (٣) فاغار عليهم فهربوا عن منازلهم ووجد ابو سلمة ابلا

(١) هي حجارة تصب عليها دماء الذبح وتعبد
(٢) هي القداح التي كانوا يستقسمون بها وفي قرن الخمر والميسر بالانصاب والازلام نهاية التنفير ولذلك قال عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن اه (٣) جبل لبني اسد بناحية فيد شرقي المدينة

وشاء فاخذها ولم يلق حرباً ورجع بعد عشرة ايام من خروجه (وفي) بدئها ايضاً بلغه عليه السلام ان سفيان ابن خالد بن نبيح الهذلي المقيم بعُرَنة (١) يجمع الجموع لحربهِ فأرسل له عبد الله بن أنيس الجهني وحده ليقتله فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتقول حتى يتمكن فأذن له وقال انتسب لخزاعة فخرج لخمس خلون من المحرم ولما وصل اليه قال له سفيان ممن الرجل قال من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لأكون معك فقال له اجل اني لفي الجمع له فمشى عبد الله معهُ وحدثهُ وسفيان يستحلي حديثهُ فلما انتهى الى خبائهِ تفرق الناس عنهُ فجلس معهُ عبد الله حتى نام فقام وقتله ثم ارتحل حتى أتى المدينة ولم يلحقهُ الطلب وكفى الله المؤمنين القتال



سرية

وفي صفر أرسل عليه الصلاة والسلام عشرة رجال عيوناً على قريش مع رهط عضل والقارة الذين جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون من يفقههم في الدين وأمر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري فخرجوا يسيرون الليل ويكمنون النهار حتى اذا كانوا بالرجيع (٢) غدر

(١) موضع قريب من عرفات
(٢) ماء لبني هذيل بين مكة وعسفان

بهم أولئك الرهط ودلوا عليهم هذيلاً قوم سفيان بن خالد الهذلي الذي قتله عبد الله بن أنيس فنفروا اليهم فيما يقرب من مائتي رام واقتفوا آثارهم حتى قربوا منهم فلما أحس بهم رجال السرية لجؤا الى جبل هناك فقال لهم الاعداء انزلوا ولكم العهد ان لا نقتلكم فنزل اليهم ثلاثة اغتروا بعهدهم وقاتلهم الباقون ومعهم عاصم غير راضين بالنزول في ذمة مشرك ولما رأى الثلاثة الذين سلموا عين الغدر امتنع احدهم فقتلوه واما الاثنان فباعوهما بمكة ممن كان له ثار عند المسلمين وهناك قتلا وقد قال أحدهما وهو خبيب بن عدي حين أرادوا قتله

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ يبارك على أوصال شلو ممزّع

سرية

في صفر وفد على رسول الله أبو عامر بن مالك ملاعب الاسنة وهو من رؤس بني عامر فدعاه عليه السلام الى الاسلام فلم يسلم ولم يبعد بل قال اني ارى امرك هذا حسناً شريفاً ولو بعثت معي رجالاً من اصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال عليه السلام اني أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو عامر أنا لهم جار فأرسل معهُ المنذر بن عمرو في سبعين من اصحابهِ كانوا يسمون القرآء لكثرة ما كانوا يحفظون من القرآن فساروا حتى نزلوا

بئر معونة (١) فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب الى عامر بن الطفيل سيد بني عامر فلما وصل اليه لم يلتفت الى الكتاب بل عدا على حرام فقتله ثم استصرخ على بقية البعثة أصحابه من بني عامر فلم يرضوا ان يخفروا جوار ملاعب الاسنة فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم وهم رعل وذكوان وعصية فأجابوه وذهبوا معه حتى اذا التقوا بالقراء أحاطوا بهم وقاتلوهم حتى قتلوهم عن آخرهم بعد دفاع شديد لم يجدهم نفعاً لقلة عددهم وكثرة عدوهم ولم ينج الا كعب بن زيد وقع بين القتلى حتى ظنَّ انهُ منهم وعمرو بن أمية كان في سرح القوم وأبلغ عليه السلام خبر القراء فخطب في أصحابهِ وكان فيما قال (ان اخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم وانهم قالوا ربنا بلغ قومنا انا قد لقينا ربنا فرضينا عنهُ ورضي عنا) وكان وصول خبر هذه السرية وسرية الرجيع في يوم واحدٍ فحزن عليهم صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً وأقام يدعو على الغادرين بهم شهراً في الصلاة

غزوة بني النضير

يا لله ما أسوأ عاقبة الطيش فقد تكون الامة مرتاحة البال هادئة الخواطر حتى تقوم جماعة من رؤسائها بعمل غدر يظنون من ورائه النجاح فيجلب عليهم الشرور ويشتتهم من ديارهم وهذا ما حصل

(١) شرقي المدينة بين ارض بني عامر وحرة بني سليم

ليهود بني النضير حلفاء الخزرج الذين كانوا يجاورون المدينة فقد كان بينهم وبين المسلمين عهود يأمن بها كل منهم الآخر ولكن بنو النضير لم يوفوا بهذه العهود حسداً منهم وبغياً فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض من اصحابه في ديار بني النضير اذ ائتمر جماعة منهم على قتله بأن يأخذ أحد منهم صخرة ويلقيها عليه من علو فاطلع عليه السلام على قصدهم فرجع وتبعه أصحابه ثم أرسل لهم محمد بن مسلمة يقول لهم اخرجوا من بلادي فقد هممتم بما هممتم من الغدر (اذ الحزم كل الحزم أن لا يتهاون الانسان مع من عرف منه الغدر) فتهيأ القوم للرحيل فأرسل لهم اخوانهم المنافقون يقولون لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم (لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون) ولكن اليهود طمعوا بهذا الوعد وتأخروا عن الجلاء فأمر عليه السلام بالتهيؤ لقتالهم فلما اجتمع الناس خرج بهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وأعطى رايته عليا أما بنو النضير فتحصنوا في حصونهم وظنوا أنها ما نعتهم من الله فحاصرهم عليه السلام ست ليال ثم امر بقطع نخيلهم ليكون ادعى الى تسليمهم فقذف الله في قلوبهم الرعب ولم يروا من عبد الله بن ابيّ مساعدة بل خذلهم كما خذل بني قينقاع من قبلهم فسألوا رسول الله ان يجليهم ويكف عن دمائهم وأن لهم ما حملت

الابل من أموالهم الا آلة الحرب ففعل وصار اليهود يخربون بيوتهم بأيديهم كيلا يسكنها المسلمون . ولما سار اليهود نزل بعضهم بخيبر ومنهم اكابرهم حييّ بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق ومنهم من سار الى اذرعات بالشام وأسلم منهم اثنان يامين بن عمرو وابو سعد بن وهب ولم يخمس رسول الله ما أخذ من بني النضير فانه فيء لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ومثل هذا يكون لمعدات الحرب وللرسول يطعم منه أهله ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كما قال تعالى في سورة الحشر (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) فاعطى عليه السلام من هذا الفيء فقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم وردوا لاخوانهم من الانصار ما كانوا قد أخذوه منهم أيام هجرتهم وأخذ عليه السلام أرضا يزرعها و يدخر منها قوت أهله عاماً

غزوة ذات الرقاع

وفي ربيع الآخر بلغهُ عليه السلام أن قبائل من نجد يتهيئون لحربهِ وهم بنو محارب و بنو ثعلبة فتجهز لهم وخرج في سبعمائة مقاتل وولى على المدينة عثمان بن عفان ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا ديار القوم فلم يجدوا بها أحداً غير نسوة فأخذهن فبلغ الخبر رجالهم فخافوا

وتفرقوا في رؤس الجبال ثم اجتمع جمع منهم وجاؤا للحرب فتقارب الناس وأخاف بعضهم بعضاً ولما حانت صلاة العصر وخاف عليه السلام أن يغدر بهم الاعداء وهم يصلون صلى بالمسلمين صلاة الخوف فألقى الله الرعب في قلوب الاعداء وتفرقت جموعهم خائفين منهُ صلى الله عليه وسلم

ومال الامام البخاري الى أن هذه الغزوة كانت في السنة السابعة وأجمع أهل السير على خلافه

غزوة بدر الآخرة

لما أهلَّ شعبان هذا العام كان موعد أبي سفيان فانهُ بعد انقضاء غزوة أُحد قال للمسلمين موعدنا بدر العام المقبل فأجابهُ الرسول الى ذلك وكان بدر محل سوق يعقد كل عام للتجارة في شعبان يقيم التجار فيه ثمانياً فلما حل الاجل وقريش مجدبون لم يتمكن أبو سفيان من الايفاء بوعده فأراد أن يخذل المسلمين عن الخروج كيلا يوسم بخلف الوعد فاستأجر نعيم بن مسعود الاشجعي ليأتي المدينة ويرجف بما جمعهُ أبو سفيان من الجموع العظيمة فقدم نعيم المدينة وقال للمسلمين (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) ولم يلتفت عليه السلام لهذا الارجاف اتكالاً على ربهِ بل خرج بألف وخمسمائة من أصحابهِ واستخلف على المدينة عبد الله

ابن عبد الله بن أبيّ ولم يزالوا سائرين حتى أتوا بدراً فلم يجدوا بها أحداً لان ابا سفيان أشار على قريش بالخروج على نية الرجوع بعد مسير ليلة أو ليلتين ظاناً أن ارجاف نعيم يفيد فيكون المخلف هم المسلمون فسار حتى أتى مجنة وهي سوق معروف من ناحية مرّ الظهران فقال لقومه ان هذا عام جدب ولا يصلحنا الاعام عشب فارجعوا أما المسلمون فأقاموا ببدر لا يشاركهم في تجارتهِ أحد (فانقلبوا بنعمةٍ من اللهِ وفضلٍ لم يمسسهمْ سوءٌ واتبعوا رِضوانَ اللهِ واللهُ ذو فضلٍ عظيم) ولما سمع بذلك صفوان بن أمية قال لابي سفيان قد والله نهيتك ان تعد القوم وقد اجترؤا علينا ورأوا انا اخلفناهم

حوادث

وفي هذا العام ولد الحسين بن علي (وفيه) توفيت زينب بنت خزيمة إم المؤمنين (وفيه) توفي ابو سلمة رضي الله عنهُ ابن عمة رسول الله واخوه من الرضاعة واول من هاجر الى الحبشة (وفيه) تزوَّج عليه السلام ام سلمة هنداً زوج ابو سلمة بعد وفاته

السنة الخامسة غزوة دومة الجندل

في ربيع الاول من هذا العام بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان

جمعاً من الاعراب بدومة الجنــدل (١) يظلمون من مر بهم وانهم يريدون الدنو من المدينة فتجهز لغزوهم وخرج في ألف من أصحابه بعد ان ولى على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري ولم يزل يسير الليل ويكمن النهار حتى قرب منهم فلما بلغهم الخبر تفرقوا فهجم المسلمون على ماشيتهم ورعائهم فاصيب من أصيب وهرب من هرب ثم نزل بساحتهم فلم يلق أحداً وبث السرايا فلم تجد منهم أحداً فرجع عليه السلام غانماً وصالح وهو عائد عيينة بن حصن الفزاري وهو الذي كان يسميه عليه السلام الاحمق المطاع لانه كان يتبعه الف قناة وأقطعه عليه السلام أرضاً يرعى فيها بهمه على بعد ستة وثلاثين ميلا من المدينة لان أرضه كانت قد أجدبت

غزوة بني المصطلق

في شعبان بلغه عليه السلام أن الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق الذين ساعدوا قريشاً على حرب المسلمين في أحد يجمع الجموع لحربه فخرج له عليه السلام في جمع كثير وولى على المدينة زيد ابن حارثة وخرج معه من نسائه عائشة وأم سلمة وخرج معه ناس من المنافقين لم يخرجوا قط في غزوة قبلها يرجون أن يصيبوا من عرض

(١) مدينة بينها و بين دمشق خمس ليال و بينها و بين طيبة خمس عشرة ليلة

الدنيا وفي أثناء مسيره عليه السلام التقى بعين بني المصطلق فسأله عن أحوال العدو فلم يجب فأمر بقتله . ولما بلغ الحارث رئيس الجيش مجيء المسلمين لحربه وأنهم قتلوا جاسوسه خاف هو وجيشه خوفاً شديداً حتى تفرق عنه بعضهم ولما وصل المسلمون الى المريسيع (١) تصاف الفريقان للقتال بعد أن عرض عليهم الاسلام فلم يقبلوا فتراموا بالنبل ساعة ثم حمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد فلم يتركوا لرجل من عدوهم مجالاً للهرب بل قتلوا عشرة منهم وأسروا باقيهم مع النساء والذرية واستاقوا الابل والشياه وكانت الابل الفي بعير والشياه خمسة آلاف استعمل الرسول على ضبطها مولاه شقران وعلى الاسرى بريدة وكان في نساء المشركين برة بنت الحارث سيد القوم وقد أخذ من قومها مائتا بيت اسرى وزعت على المسلمين وهنا يظهر حسن السياسة ومنتهى الكرم فان بني المصطلق من أعزّ العرب داراً فاسر نسائهم بهذه الحال صعب جدًّا فأراد عليه السلام أن يجعل المسلمين يمنون على النساء بالحرّية من تلقاء أنفسهم فتزوّج برّة بنت الحارث التي سماها جويرية فقال المسلمون أصهار رسول الله لا ينبغي أسرهم في أيدينا فمنوا عليهم بالعتق فكانت جويرية أيمن امرأة على قومها كما قالت عائشة رضي الله عنها وتسبب عن هذا الكرم العظيم وهذه المعاملة

(١) ماء لخزاعة على يوم من الفرع

الجليلة أن أسلم بنو المصطلق على بكرة أبيهم وكانوا للمسلمين بعد أن كانوا عليهم (وقد) حصل في هذه الغزوة نادرتان لولا أن صاحبتهما حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعادتا بالتفريق على المسلمين (فأولاهما) أن أجيراً لعمر بن الخطاب اختصم مع حليف للخزرج فضرب الاجير الحليف حتى سال دمه فاستصرخ بقومه الخزرج واستصرخ الاجير بالمهاجرين فأقبل الذعر من الفريقين وكادوا يقتتلون لولا أن خرج عليهم رسول الله فقال ما بال دعوى الجاهلية (وهي ما يقال في الاستغاثة يا لفلان) فأخبر بالخبر فقال دعوا هذه الكلمة فانها منتنة ثم كلم المضروب حتى أسقط حقه و بذلك سكنت الفتنة فلما بلغ عبد الله بن أبيّ هذا الخصام غضب وكان عنده رهط من الخزرج فقال ما رأيت كاليوم مذلة او قد فعلوها نافرونا في ديارنا والله ما نحن والمهاجرون الا كما قال الاوّل سمن كلبك يأكلك أما والله (لئن رجعنا الى المدينةِ ليُخرِجنَّ الاعزُّ منها الاذلّ) ثم التفت الى من معهُ وقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم بأيديكم لتحولوا الى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم انفسكم غرضاً للمنايا دون محمد فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عنده وكان في مجلسه شاب حديث السنّ قويّ الإِسلام اسمهُ زيد بن أرقم فأخبر رسول الله الخبر فتغير وجههُ وقال ياغلام لعلك غضبت عليه فقلت ما قلت فقال

والله يارسول الله لقد سمعتهُ قال لعله أخطأ سمعك فاستأذن عمر الرسول في قتل ابن أبيّ أو أن يأمر احداً غيره بقتله فنهاه عن ذلك وقال كيف ياعمر اذا تحدث الناس أن محمداً يقتل اصحابه ثم اذن بالرحيل في وقت لم يكن يرتحل فيهِ حين اشتدَّ الحرّ يقصد بذلك عليهِ السلام شغل الناس عن التكلم في هذا الموضوع فجاءه أسيد بن حضير وسأله عن سبب الارتحال في هذا الوقت فقال او ما بلغك ما قال صاحبكم زعم انهُ ان رجع الى المدينة ليُخرِجنَّ الاعزُّ منها الاذل قال أنت والله يارسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم سار عليه السلام بالناس سيراً حثيثاً حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الارض حتى وقعوا نياماً وكلم رجال من الانصار عبد الله بن ابيّ في ان يطلب من الرسول الاستغفار فلوّى رأسه واستكبر وهنا نزل على الرسول سورة المنافقين التي فضحت عبد الله بن ابيّ واخوانه وصدقت زيد بن ارقم ولما بلغ ذلك عبد الله بن عبد الله بن ابيّ استأذن رسول الله في قتل ابيه حذراً من أن يكلف بذلك غيره فيكون عنده من ذلك أضغان واحقاد فأمره عليه السلام بالاحسان الى ابيه



حديث الافك

(النادرة الثانية) وهي أفظع من الاولى وأجلب منها للمصائب

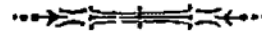
وهي رمي عائشة الصديقية زوج رسول الله بالافك فاتهموها بصفوان
ابن المعطل السلمي وذلك انهم لما دنوا من المدينة آذن عليه السلام
ليلة بالرحيل وكانت السيدة قد مضت لقضاء حاجتها حتى جاوزت
الجيش فلما قضت شأنها أقبلت الى رحلها فلمست صدرها فاذا عقد لها
من جزع ظفار قد انقطع فرجعت تلتمس عقدها فحبسها ابتغاؤه فاقبل
الرهط الذين كانوا يرحلونها فاحتملوا هودجها ظانين أنها فيه لأن النساء
كن اذ ذاك خفافاً لم يغشهن اللحم فلم يستنكر القوم خفة الهودج
وكانت عائشة جارية حديثة السن فجاءت منزل الجيش بعد ان وجدت
عقدها وليس بالمنزل داع ولا مجيب فغلبتها عيناها فنامت وكان الذي
يسير وراء الجيش يفتقد ضائعه صفوان بن المعطل فاصبح عند منزلها
فعرفها لانه كان رآها قبل الحجاب فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه
وسترت وجهها بجلبابها فأناخ راحلته وأركبها من غير أن يتكلما بكلمة
ثم انطلق يقود بها الراحلة حتى وصل الجيش وهو نازل للراحة فقامت
قيامة أهل الافك وقالوا ما قالوا في عائشة وصفوان والذي تولى كبر
الافك عبد الله بن أبي ولما قدموا المدينة مرضت عائشة شهراً والناس
يفيضون في قول أهل الافك وهي لا تشعر بشيء وكانت تعرف في
رسول الله رقة اذا مرضت فلم يعطها نصيباً منها في هذا المرض بل كان
يمر على باب الحجرة لا يزيد على قوله كيف حالكم مما جعلها في ريب
عظيم فلما نقهت خرجت هي وأم مسطح بن أثاثة أحد أهل الافك

للتبرز خارج البيوت فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقالت عائشة بئس ما قلت أتسبين رجلاً شهد بدرا فقالت ياهنتاه أولم تسمعي ما قالوا فسألتها عائشة عن ذلك فاخبرتها الخبر فازدادت مرضاً على مرضها ولما جاءها عليه السلام كعادته استأذنته أن تمرض في بيت أبيها فاذن لها فسألت امها عما يقول الناس فقالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر الا اكثرن عليها فقالت عائشة سبحان الله أو لقد تحدث الناس بهذا وبكت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم وفي خلال ذلك كان عليه السلام يستشير كبار أهل بيته فيما يفعل فقال له أسامة بن زيد لما يعلمه من براءة عائشة أهلك ولا نعلم عليهم الا خيراً وقال عليّ بن أبي طالب لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعا عليه السلام بريرة جارية عائشة وقال لها هل رأيت من شيء يريبك فقالت والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها امراً قط اغمصه غير انها جارية حديثة السن تنام عن عجينها فتأتي الداجن فتأكلهُ فقام عليه السلام من يومه وصعد المنبر والمسلمون مجتمعون وقال من يعذرني من رجل قد بلغني اذاه في اهلي والله ما علمت على اهلي الا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه الا خيراً وما يدخل على اهلي الا معي فقال سعد بن معاذ انا يارسول الله اعذرك منهُ فان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج

امرتنا ففعلنا امرك فقام سعد بن عبادة الخزرجي وقال كذبت لعمرالله لاتقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما احببت انهُ يقتل فقام اسيد بن حضير وقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنهُ فانك منافق تجادل عن المنافقين وكادت تكون فتنة بين الاوس والخزرج لولا ان رسول الله نزل من فوق المنبر وخفضهم حتى سكتوا اما عائشة فبقيت ليلتين لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم . و بينما هي مع ابويها اذ دخل النبي عليه السلام فسلم ثم جلس فقال اما بعد يا عائشة انهُ بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف وتاب تاب الله عليه فتقلص دمع عائشة وقالت لابويها اجيبا رسول الله فقال والله ما ندري ما نقول فقالت اني والله لقد علمت انكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم اني منهُ بريئة لتصدقني فوالله لا اجد لي ولكم مثلاً الا ابا يوسف قال (فصبرٌ جميلٌ واللهُ المستعانُ على ماتصفون) ثم تحوّلت واضطجعت على فراشها ولم يزاول رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى نزلت عليه الآيات من سورة النور ببراءة السيدة المطهرة عائشة الصديقية (انَّ الذين جاؤا بالافكِ عصبةٌ منكم لا تحسبوهُ شرًّا لكم بلْ هوَ خيرٌ لكم لكلِّ امرىءٍ منهمْ ما اكتسبَ من الاثمِ والذي تولّى كِبرَهُ منهم

لهُ عذابٌ عظيمٌ • لولا إذ سمعتموهُ ظنَّ المؤمنونَ والمؤمناتُ بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفكٌ مبينٌ . لولا جاؤا عليه بأربعةِ شهداءَ فاذْ لم يأتوا بالشهداءِ فأولئك عندَ اللهِ همُ الكاذبونَ . ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم . اذ تَلَقَّونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم . ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم . يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابداً ان كنتم مؤمنين. و يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم . يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم) فسرى عن رسول الله وهو يضحك و بشر عائشة بالبراءة فقالت لها أمها قومي فاشكري رسول الله فقالت لا والله لا اشكر الا الله الذي برأني و بعد ذلك امر عليه السلام بان يجلد من صرح بالافك ثمانين جلدة وهي حد القاذف وكانوا ثلاثة حمنة بنت جحش ومسطح ابن اثاثة وحسان بن ثابت وكان ابو بكر ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه فلما تكلم بالافك قطع عنه النفقة فأنزل الله (ولا يأتل أولو

الفضل منكم والسعة ان يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فقال ابو بكر بل نحب ذلك يا رسول الله واعاد النفقة على مسطح . فهذه مضار المنافقين الذين يدخلون بين الامم مظهرين لهم المحبة وقلوبهم مملوءة حقداً يتربصون الفتن فمتى رأوا باباً لها ولجوه فنعوذ بالله منهم



غزوة الخندق

لم يقر لعظماء بني النضير قرار بعد جلائهم عن ديارهم وارث المسلمين لها بل كان في نفوسهم دائماً ان يأخذوا ثارهم و يستردوا بلادهم فذهب جمع منهم الى مكة وقابلوا رؤساء قريش وحرضوهم على حرب رسول الله ومنوهم المساعدة فوجدوا منهم قبولاً لما طلبوه ثم جاؤا الى قبيلة غطفان وحرضوا رجالها كذلك واخبروهم بمبايعة قريش لهم على الحرب فوجدوا منهم ارتياحاً فتجهزت قريش واتباعها يرأسهم ابو سفيان ويحمل لواءهم عثمان بن طلحة بن ابي طلحة العبدري وعددهم اربعة آلاف معهم ثلاثمائة فرس والف بعير وتجهز غطفان يرأسهم عيينة بن حصن الذي جازى احسان رسول الله كفرا فانه كما قدمنا اقطعه ارضاً يرعى فيها سوائمه حتى اذا سمن خفه وحافره قام يقود الجيوش لحرب من انعم عليه وكان معه الف فارس وتجهزت بنو مرة يرأسهم الحارث

ابن عوف المرّي وهم أربعمائة وتجهزت بنو أشجع يرأسهم ابو مسعود ابن رخيلة وتجهزت بنو سليم يرأسهم سفيان بن عبد شمس وهم سبعمائة وتجهزت بنو اسد يرأسهم طليحة بن خويلد الاسدي وعدة الجميع عشرة آلاف محارب قائدهم العام أبو سفيان ولما بلغهُ عليه السلام أخبار هاتهِ التجهيزات استشار أصحابه فيما يصنع أيمكث بالمدينة أم يخرج للقاء هذا الجيش الجرار فأشار عليه سلمان الفارسي بعمل الخندق وهو عمل لم تكن العرب تعرفه فأمر عليه السلام المسلمين بعمله وشرعوا في حفره شمالي المدينة من الحرة الشرقية الى الحرة الغربية وهذه هي الجهة التي كانت عورة تؤتي المدينة من قبلها أما بقية حدودها فمشتبكة بالبيوت والنخيل لا يتمكن العدوّ من الحرب جهتها وقد قاسى المسلمون صعوبات جسيمة في حفر الخندق لانهم لم يكونوا في سعة من العيش حتى يتيسر لهم العمل وعمل معهم عليهِ الصلاة والسلام فكان ينقل التراب متمثلاً بشعر ابن رواحة

اللهم لولا أنت ما اهتدينا   ولا تصدّقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينـا   وثبت الاقدام ان لاقينا
والمشركون قد بغوا علينـا   وان أرادوا فتنة أبينـا

واقام الجيش في الجهة الشرقية مسنداً ظهره الى سلع وهو جبل مطل على المدينة وعدتهم ثلاثة آلاف وكان لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة ولواء الانصار مع سعد بن عبادة أما قريش فنزلت بمجمع الاسيال

واما غطفان فنزلت جهة أحد وكان المشركون معجبين بمكيدة الخندق التي لم تكن العرب تعرفها فصاروا يترامون مع المسلمين بالنبل ولما طال المطال عليهم أكره جماعة منهم أفراسهم على اقتحام الخندق منهم عكرمة ابن ابي جهل وعمرو بن ودّ وآخرون وقد برز علي بن ابي طالب لعمرو ابن ودّ فقتله وهرب اخوانه وهوى في الخنـدق نوفل بن عبد الله فاندقت عنقه (و رُمي) سعد بن معاذ رضي الله عنهُ بسهم قطع اكحله وهو شريان الذراع واشتمرت المنـاوشة والمراماة بالنبل يوماً كاملاً حتى فاتت المسلمين صلاة ذاك اليوم وقضوها بعد وجعل عليه السلام على الخندق حراساً حتى لا يقتحمه المشركون بالليـل وكان يحرس بنفسه ثلمة فيه مع شدة البرد وكان عليه السلام يبشر اصحابه بالنصر والظفر و يعدهم الخير أما المنافقون فقد اظهروا في هذه الشدة ما تكنهُ ضمائرهم حتى قالوا (ما وعـدَنا اللهُ ورسولهُ الاّ غروراً) وانسحبوا قائلين ان بيوتَنا عورةٌ نخاف ان يغير عليها العدوّ (وما هيَ بعوْرةٍ إِن يُريدونَ الاَّ فِراراً) واشتدّ الحال بالمسلمين فإِن هذا الحصار صاحبه ضيق على فقراء المدينة والذي زاد الشدة عليهم ما بلغهم من ان يهود بني قريظة الذين يساكنونهم في المدينة قد انتهزوا هذه الفرصة لنقض العهود وسبب ذلك ان حيي بن اخطب سيد بني النضير المجلين توجه الى كعب بن اسد القرظي سيد بني قريظة وكان له كالشيطان اذ قال للانسان اكْفُرْ فحسن له نقض العهد ولم يزل به حتى اجابهُ لقتـال

المسلمين . ولما بلغت هذه الاخبار رسول الله أرسل مسلمة بن أسلم في مائتين وزيد بن حارثة في ثلاثمائة لحراسة المدينة خوفاً على النساء والذراري وأرسل الزبير بن العوّام يستجلي له الخبر فلما وصلهم وجدهم حانقين يظهر على وجوههم الشر ونالوا من رسول الله والمسلمين امامهُ فرجع واخبر الرسول بذلك وهنالك اشتدَّ وجل المسلمين وزلزلوا زلزالاً شديداً لان العدوّ جاءهم من فوقهم ومن أسفل منهم وزاغت الابصارُ وبلغتِ القلوبُ الحناجرَ وظنوا بالله الظنون وتكلم المنافقون بما بدا لهم فأراد عليه السلام ان يرسل لعيينة بن حصن ويصالحه على ثلث ثمار المدينة لينسحب بغطفان فأبى الانصار ذلك قائلين انهم لم يكونوا ينالون منا قليلاً من ثمرنا ونحن كفار افبعد الإسلام يشاركوننا فيها . واذ اراد الله العناية بقومهيأ لهم اسباب الظفر من حيث لا يعلمون فانظر الى هذه العناية من الله بالمتمسكين بدينه القويم . جاء نعيم بن مسعود الاشجعي وهو صديق قريش واليهود ومن غطفان فقال يارسول الله اني قد اسلمت وقومي لايعلمون باسلامي فمرني بأمرك حتى اساعدك فقال انت رجل واحد وماذا عسى ان تفعل ولكن خذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة



الخدعة في الحرب

فخرج من عنده وتوجه الى بني قريظة الذين نقضوا عهود المسلمين

فلما رأوه اكرموه لصداقته معهم فقال يا بني قريظة تعرفون ودّي لكم وخوفي عليكم واني محدثكم حديثاً فاكتموه عني قالوا نعم فقال لقد رأيتم ما وقع لبني قينقاع والنضير من اجلائهم واخذ اموالهم وديارهم وان قريشاً وغطفان ليسوا مثلكم فهم اذا رأوا فرصة انتهزوها والا انصرفوا لبلادهم واما انتم فتساكنون الرجل (يريد الرسول) ولا طاقة لكم بحربه وحدكم فأرى ان لا تدخلوا في هذه الحرب حتى تستيقنوا من قريش وغطفان انهم لن يتركوكم ويذهبوا الى بلادهم بأن تأخذوا منهم رهائن سبعين شريفاً منهم فاستحسنوا رأيه واجابوه الى ذلك ثم قام من عندهم وتوجه الى قريش فاجتمع برؤسائهم وقال انتم تعرفون ودّي لكم ومحبتي اياكم واني محدثكم حديثاً فاكتموه عني قالوا نفعل فقال لهم ان بني قريظة قد ندموا على ما فعلوه مع محمد وخافوا منكم ان ترجعوا وتتركوهم معه فقالوا له أيرضيك ان نأخذ جمعاً من اشرافهم ونعطيهم لك وترد جناحنا الذي كسرت (يريد بني النضير) فرضي بذلك منهم وهاهم مرسلون اليكم فاحذروهم ولا تذكروا مما قلت لكم حرفاً ثم اتى غطفان فأخبرهم بمثل ما اخبر به قريشاً فأرسل ابو سفيان وفداً لقريظة يدعوهم للقتال غداً فاجابوا انا لا يمكننا ان نقاتل في السبت (وكان ارساله لهم ليلة سبت) ولم يصبنا ما اصابنا الا من التعدي فيه ومع ذلك فلا نقاتل حتى تعطونا رهائن منكم حتى لا تتركونا وتذهبوا الى بلادكم فتحققت قريش وغطفان كلام نعيم بن مسعود وتفرقت القلوب فخاف بعضهم

بعضاً وكان عليه السلام قد ابتهل الى الله الذي لا ملجأ الا اليه ودعاه بقوله (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم) وقد اجاب الله دعاءه عليه السلام فأرسل على الاعداء ريحاً باردة في ليلة مظلمة فخاف العرب ان تتفق اليهود مع المسلمين و يهجموا عليهم في الليلة المدلهمة فاجمعوا امرهم على الرحيل قبل ان يصبح الصباح . ولما سمع عليه السلام الغوغاء في جيش العدو قال لاصحابه لا بد من حادث فمن منكم ينظر لنا خبر القوم فسكتوا حتى كرر ذلك ثلاثاً وكان فيهم حذيفة بن اليمان فقال له عليه السلام تسمع صوتي منذ الليلة ولا تجيب فقال يا رسول الله البرد شديد فقال اذهب في حاجة رسول الله واكشف لنا خبر القوم فخاطر رضي الله عنه بنفسه في خدمة نبيه حتى اطلع على جلية الخبر وان الاعداء عازمون على الرحلة

هزيمة الاحزاب

وقد بلغ من خوفهم أن كان رئيسهم أبوسفيان يقول لهم ليتعرف كل منكم أخاه وليمسك بيده حذراً من ان يدخل بينكم عدو وقد حل عقال بعيره يريد ان يبدأ الرحيل فقال له صفوان بن أمية انك رئيس القوم فلا تتركهم وتمضي فنزل أبو سفيان وأذن بالرحيل وترك خالد بن الوليد في جماعة ليحموا ظهور المرتحلين حتى لا يدهموا من ورائهم وأزاح

الله عن المسلمين هذه الغمة التي تحزب فيها الاحزاب من عرب ويهود على المسلمين ولولا لطف الله وعنايته بهذا الدين منة منه وفضلا لساءت الحال . وكان جلاء الاحزاب في ذي القعدة وكان حقاً على الله ان يسميه نعمة بقوله في سورة الاحزاب (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنودٌ فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تَرَوْها وكان اللهُ بما تعملون بصيراً . اذ جاؤُكم من فوْقِكم ومِنْ اسفلَ منكم واذْ زاغتِ الابصارُ وبلغتِ القلوبُ الحناجرَ وتظنونَ باللهِ الظنونا . هُنالكَ ابتُلِيَ المؤْمنونَ وزُلزِلوا زِلزالاً شديداً . واذ يقولُ المنافقونَ والذين في قلوبهمْ مرضٌ ما وعدَنا اللهُ ورسولهُ الاَّ غرُوراً واذ قالتْ طائفةٌ منهم يا أهلَ يَثرِبَ لا مُقامَ لكم فارْجعوا ويستأذنُ فريقٌ منهمْ النبيَّ يقولونَ إنَّ بيوتَنا عوْرَةٌ وما هيَ بعوْرَةٍ إنْ يُريدونَ إلاَّ فِرارا)

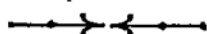
غزوة بني قريظة

ولما رجع عليه السلام بأصحابه واراد أن يخلع لباس الحرب أمره الله باللحوق ببني قريظة حتى يطهر ارضه من قوم لم تعد تنفع معهم العهود ولا تربطهم المواثيق ولا يأمن المسلمون جانبهم في شدة فقال لاصحابه لا يصلين أحد منكم العصر الا في بني قريظة فساروا مسرعين وتبعهم عليه السلام راكباً على حماره ولواؤه بيد علي بن أبي طالب وخليفته

على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف وقد ادرك جماعة من الاصحاب صلاة العصر في الطريق فصلاها بعضهم حاملين أمر الرسول بعدم صلاتها على قصد السرعة ولم يصلها الآخرون الا في بني قريظة بعد مضي وقتها حاملين الامر على حقيقته فلم يعنف فريقاً منهم (ولما) رأى بنو قريظة جيش المسلمين القى الله الرعب في قلوبهم وأرادوا التنصل من فعلتهم القبيحة وهي الغدر بمن عاهدوهم وقت الشغل بعدو آخر ولكن انى لهم ذلك وقد ثبت للمسلمين غدرهم فلما رأوا ذلك تحصنوا بحصونهم وحاصرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة فلما رأوا ان لا مناص من الحرب وانهم ان استمروا على ذلك ماتوا جوعاً طلبوا من المسلمين ان ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير من الجلاء بالاموال وترك السلاح فلم يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم فطلبوا ان يجلو بأنفسهم من غير سلاح فلم يرض ايضاً بل قال لا بد من النزول والرضا بما يحكم عليهم خيراً كان أو شراً فقالوا له أرسل لنا أبا لبابة نستشيره وكان اوسياً من حلفاء قريظة له بينهم اولاد واموال فلما توجه اليهم استشاروه في النزول على حكم الرسول فقال لهم انزلوا واومأ بيده الى حلقه يريد ان الحكم الذبح . ويقول ابو لبابة لم ابارح موقفي حتى علمت اني خنت الله و رسوله فنزل من عندهم قاصداً المدينة خجلاً من مقابلة رسول الله وربط نفسه في سارية من سواري المسجد حتى يقضي الله فيه امره . ولما سأل عنهُ عليه السلام اخبر بما فعل

فقال اما انهُ لو جاءني لاستغفرت له اما وقد فعل ما فعل فنتركه حتى يقضي الله فيه . ثم ان بني قريظة لما لم يروا بدًّا من النزول على حكم رسول الله فعلوا فأمر برجالهم فكتفوا فجاءه رجال من الاوس وسألوه ان يعاملهم كما عامل بني قينقاع حلفاء اخوانهم الخزرج فقال لهم ألا يرضيكم ان يحكم عليهم رجل منكم فقالوا نعم واختاروا سيدهم سعد بن معاذ الذي كان جريحاً من السهم الذي اصيب به في الخندق وكان مقيماً بخيمة في المسجدة معدة لمعالجة الجرحى فأرسل عليه السلام من يأتي به فحملوه على حماره والتف عليه جماعة من الاوس يقولون له احسن في مواليك ألا ترى ما فعل ابن ابيّ في مواليه فقال رضي الله عنهُ لقد آن لسعد ان لا تأخذه في الله لومة لائم . ولما اقبل على الرسول واصحابه وهم جلوس قال عليه السلام قوموا الى سيدكم فانزلوه ففعلوا وقالوا له ان رسول الله قد ولاك امر مواليك لتحكم فيهم وقال له الرسول احكم فيهم يا سعد فالتفت سعد للناحية التي ليس فيها رسول الله وقال عليكم عهد الله وميثاقه ان الحكم كما حكمت فقالوا نعم فالتفت الى الجهة التي فيها الرسول وقال وعلى من هنا كذلك وهو غاضّ طرفه اجلالاً فقالوا نعم قال فاني احكم ان تقتل الرجال وتسبي النساء والذرية فقال عليه السلام (لقد حكمت فيهم بحكم الله ياسعد) لان هذا جزاء الخائن الغادر ثم امر بتنفيذ الحكم فنفذ عليهم وجمعت غنائمهم فكانت الفاً وخمسمائة سيف وثلثمائة درع والفي رمح وخمسمائة ترس وجحفة ووجد

اثاثاً كثيراً وآنية واجمالاً نواضح وشياهاً فخمس ذلك كله مع النخل والسبي للراجل ثلث الفارس واعطى النساء اللاتي كنَّ يمرضن الجرحى ووجد في الغنيمة جرار خمر فأريقت . و بعد تمام هـذا الامر انفجر جرح سعد بن معاذ فمات منه رضي الله عنه وأرضاه كان في الانصار كأبي بكر في المهاجرين وقد كان له العزم الثابت في جميع المشاهد التي تقدمت الخندق وكان عليه السلام يحبه كثيراً و بشره بالجنة على عظيم أعماله (وعقب) رجوع المسلمين الى المـدينة تاب الله على أبى لبابة بقوله (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) وقد عاهد الله أن يهجر ديار قريظة التي حصلت له فيها هذه الزلة و بتمام هـذه الغزوة أراح الله المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين تعودوا الغـدر والخيانة ولم تبق الا بقية من كبارهم بخيبر مع أهلها وهم الذين كانوا السبب في اثارة الاحزاب وسيأتي للقارئ قريباً اليوم الذي يعاقبون فيه



زواج زينب بنت جحش

وفي هذا العام تزوج عليه السلام زينب بنت جحش وأمها أميمة عمته بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة وكان من أمر زواجها لزيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم خطبها له فتأفف أهلها من ذلك لمكانها في الشرف العظيم فان العرب كانوا يكرهون تزويج بناتهم من الموالي

ويعتقدون أن لا كفء من سواهم لبناتهم وزيد وان كان الرسول تبناه ولكن هذا لا يلحقه بالاشراف فلما نزل قوله تعالى في سورة الاحزاب (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً) لم يروا بدًّا من القبول فلما دخل عليها زيد أرته من كبريائها وعظمتها مالم يتحمله فاشتكاها لرسول الله فأمره باحتمالها والصبر عليها الى أن ضاقت نفسه فاخبره بالعزم على طلاقها وكرر ذلك . ولما كانت العشرة بين مثل هذين الزوجين ضرباً من العبث أمر الله نبيه أن يتزوج زينب بعد طلاقها حسماً لهذا الشقاق من جهة وحفظاً لشرفها أن يضيع بعد زواجها بمولى من جهة أخرى ولكن رسول الله خشي من لوم اليهود والعرب عليه في زواجه بزوج ابنه فقال لزيد أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى في نفسه ما أبداه الله فبت الله حكمه بابطال هذه القاعدة وهي تحريم زوج المتبني بقوله في سورة الاحزاب (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا) ثم ان الله حرم التبني على المسلمين لما فيه من الاضرار وانزل فيه في سورة الاحزاب (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما) ومن هذا الحين صار اسم زيد (زيد بن حارثة) بدل (زيد بن محمد) وأبدل بذلك أن ذكر اسمه في قرآن يتلى على مر الدهور والاعوام .

ويقول جهال المؤرخين وذوو المقاصد السافلة منهم في هـذه القصة أقوالاً لا تجوز الا على من ضاع رشده ولم يفقه حقيقة ما يقول فانهم يذكرون أن الرسول توجه يوماً لزيارة زيد فرأى زوجه بالصدفة لان الريح رفعت الستر عنها فوقعت في قلبه فقال سبحان الله فلما جاء زوجها ذكرت له ذلك فرأى من الواجب عليه فراقها فتوجه وأخبر الرسول بعزمه فنهاه عن ذلك الخ وهذا مما يكذبه أن نساء العرب لم تكن قبل ذلك تعرف ستر الوجوه وزينب بنت عمته وأسلمت قديماً ورسول الله بمكة فكيف لم يرها وقـد مضى على اسلامها نحو عشر سنوات وهي بنت عمته الا حينما رفعت الريح الستر بالصدفة ورسول الله هو الذي زوجها زيداً فلو كان له فيها رغبة حب أو عشق لتزوجها هو ولا مانع يمنعه من ذلك . ومن منا يتصور ان السيد الاكرم يقول لقومه انه مرسل من ربه ويتلو عليهم صباح مساء أمر الله له بقوله في سورة الحجر المكية (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم) وفي سورة طه المكية أيضاً (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا) ثم هو بعد ذلك يدخل بيت رجل من متبعيه وينظر الى زوجه مصادفة ثم يشتهي زواجها ان هـذا لامر عظيم تشعر بذلك صدورنا ولو حدث أمر مثله من أقل الناس لعيب عليه فكيف بمن أجمعت كلمة المؤرخين على أنه احسن الناس خلقاً وابعدهم عن الدنايا واشدهم ذكاء وفراسة حتى مدحه الله بقوله في سورة ن (وانك لعلى خلق عظيم)

لا شك ان هذه الخرافة مما يلتحق بخرافة الغرانيق وضعها اعداء الدين ليصلوا بها الى اغراضهم والحمد لله قد ناقضت النقل والعقل فلم تبق شبهة في ان الحقيقة ما نقلناه لك اولاً وهو الذي يستفاد من القرآن الشريف قال تعالى في سورة الاحزاب (واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان امر الله مفعولاً) والذي ابداه الله هو زواجه بها ولم يبد غير ذلك وهذا القرآن اعظم شاهد



الحجاب

(وفيه) نزلت آية الحجاب وهو خاص بنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر بن الخطاب قبل نزول آيته يحبه ويذكره كثيرا ويود ان ينزل فيه قرآن وكان يقول لو اطاع فيكن ما راتكن عين فنزل في سورة الاحزاب (واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن) فقال بعضهم انهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن عائشة فنزل بعد الاية المتقدمة (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيما) أما غير أزواجه

عليه السلام من المؤمنات فأمرن بغض الابصار وحفظ الفروج كما أمر بذلك الرجال وأمرن ان لا يبدين زينتهن للاجانب الا ما ظهر منها كالخاتم في الاصبع والخضاب في اليد والكحل في العين . أما ما خفي منها فلا يحل ابداؤه كالسوار للذراع والدملج للعضد والخلخال للرجل والقلادة للعنق والاكليل للرأس والوشاح للصدر والقرط للاذن والمراد بالزينة الظاهرة والخفية مواضعها • وأمرن أيضاً بأن يضربن بخمرهن على الجيوب كيلا تبقى صدورهن مكشوفة فان النسآء اذ ذاك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وماحواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن ونهين عن أن يضربن بأرجلهن ليعلم أنهن ذوات خلخال واذا كان النهي عن اظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك أن النهي عن اظهار مواضع الحلى ابلغ وأبلغ قال تعالى في سورة النور (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن او ابنائهن أو ابناء بعولتهن او اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون). (وكان) النساء في اول الاسلام كما كن في الجاهلية

متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فرق بين الحرة والامة وكان الفتيان واهل الشطارة يتعرضون للاماء اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها أمة فامرن أن يخالفن بزيهن عن زي الاماء بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليغطي الوجه والاعطاف ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع قال تعالى في سورة الاحزاب (يا ايها النبي قل لازواجك و بناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما) (أما) حجب المرأة عمن يريد خطبتها فهو امر لم يكن يفعل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد السلف الصالح فان الشارع الحكيم سن ذلك ليكون الرجل على علم مما يقدم عليه حتى يتم الوفاق والوئام بين الزوجين وهذا امر اجمع عليه ائمة الدين قال حجة الاسلام الغزالي في الاحياء (وقد ندب الشرع الى مراعاة اسباب الالفــة ولذلك استحب النظر فقال اذا اوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينهما اي يؤلف بينهما من وقوع الأدمة على الأدمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة في الائتلاف وقال عليه السلام ان في اعين الانصار شيئاً فاذا اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن قيل كان في اعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الصالحين لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الاعمش

كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم) ولا يبعد ان يكون فساد الزمن والابتعاد عن التربية الدينية التي تسوق الى مكارم الاخلاق قد حسنا عند عامة المسلمين في العصور الاولى حجب المرأة مطلقاً حسماً للمفاسد ودرءًا للفتنة

فرض الحج

(وفي هذا العام) على ما عليه الاكثرون فرض الله على الامة الاسلامية حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ليجتمع المسلمون من جميع الاقطار فيتوجهوا الى الله و يبتهلوا اليه أن يؤيدهم بنصره ويعينهم على اتباع دينه القويم وفي ذلك من تقوية الرابطة واتحاد القلوب ما فيه للمسلمين الفائدة العظمى

السنة السادسة

(سرية)

ولعشر خلون من محرم السنة السادسة أرسل عليه السلام محمد بن مسلمة في ثلاثين راكباً لشن الغارة على بني بكر بن كلاب الذين كانوا نازلين بناحية ضرية (١) فسار اليهم يكمن النهار و يسير الليل حتى دهمهم فقتل منهم عشرة وهرب باقيهم فاستاقت السرية

(١) موضع على سبع ليال من المدينة في طريق البصرة

النعم والشياه وعادوا راجعين الى المدينة وقد التقوا وهم عائدون بثمامة ابن أثال الحنفي من عظماء بني حنيفة فأسروه وهم لا يعرفونهُ فلما أتوا به رسول الله عرفه وعامله بمنتهى مكارم الاخلاق فانهُ اطلق اساره بعد ثلاث ابى فيها الانقياد للاسلام بعد ان عرض عليه ولما رأى ثمامة هذه المعاملة وهذه المكارم رأى من العبث ان يتبع هواه و يترك ديناً عماده المحامد فرجع الى رسول الله واسلم غير مكره وخاطب الرسول بقوله (يا محمد والله ما كان على الارض من وجه ابغض اليَّ من وجهك فقد اصبح وجهك احبَّ الوجوه كلها اليَّ والله ما كان على الارض من دين ابغض اليَّ من دينك فقد اصبح احبَّ الدين كله اليَّ والله ما كان من بلد ابغض اليَّ من بلدك فقد اصبح احب البلاد اليَّ) فسرَّ عليه السلام كثيراً باسلامه لان من ورائه قوماً يطيعونهُ ولما رجع ثمامة الى بلاده مر بمكة معتمراً وأظهر فيها اسلامه فأرادت قريش ايذاءه فذكروا احتياجهم لحبوب اليمامة التي منها ثمامة فتركوه ومع ذلك فقد حلف هو أن لا يرسل اليهم من اليمامة حبوباً حتى يؤمنوا فجهدوا جداً ولم يروا بدًّا من الاستغاثة برسول الله فعاملهم عليه السلام بما جبل عليه من الشفقة والمرحمة وأرسل لثمامة ان يعيد عليهم ما كان يأتيهم من اقوات اليمامة ففعل وقد كان لهذا الرجل الكريم الاصل قدم راسخ في الأسلام عقب وفاة الرسول حينما ارتد اكثر اهل بلاده فكان ينهى قومه عن اتباع مسيلمة و يقول لهم اياكم

وامراً مظلماً لا نور فيه وانه لشقاء كتبه الله على من اتبعه فثبت معه كثير من قومه رضي الله عنه

غزوة بني لحيان

بنو لحيان هم الذين قتلوا عاصم بن ثابت واخوانه ولم يزل رسول الله حزيناً عليهم متشوفا للقصاص من عدوهم حتى ربيع الاول من هذه السنة فأمر أصحابه بالتجهز ولم يظهر لهم مقصده كما هي عادته عليه السلام في غالب الغزوات لتعمى الاخبار عن الاعداء وولى على المدينة ابن أم مكتوم وسار في مائتي راكب معهم عشرون فرسا ولم يزل سائراً حتى مقتل أصحاب الرجيع فترحم عليهم ودعا لهم ولما سمع بنو لحيان تفرقوا في الجبال فأقام عليه السلام بديارهم يومين يبعث السرايا فلا يجدون أحداً ثم أرسل بعضاً من أصحابه ليأتوا عسفان (١) حتى يعلم بهم اهل مكة فيداخلهم الرعب فذهبوا الى كراع الغميم (٢) ثم رجع عليه السلام إلى المدينة وهو يقول (آيبون تائبون لربنا حامدون أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال)

---

(١) موضع قرب مكة

(٢) جبل جنوب عسفان بثمانية اميال

غزوة الغابة

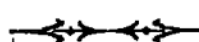
كان للنبي عليه السلام عشرون لقحة ترعى بالغابة (١) فأغار عليها عيينة بن حصن في أربعين راكباً واستلبها من راعيها فجاءت الاخبار رسول الله عليه الصلاة والسلام والذي بلغه هو سلمة بن الاكوع أحد رماة الانصار وكان عدّاء فأمره الرسول بأن يخرج في أثر القوم ليشغلهم بالنبل حتى يدركهم المسلمون فخرج يشتد في أثرهم حتى لحقهم وجعل يرميهم بالنبل فاذا وجهت الخيل نحوه رجع هارباً فلا يلحق. فاذا دخلت الخيل بعد المضايق علا الجبل فرمى عليها الحجارة حتى ألقوا كثيراً مما بأيديهم من الرماح والابراد ليخففوا عن انفسهم حتى لا يلحقهم الجيش ولم يزل سلمة على ذلك حتى تلاحق به الجيش فان الرسول دعا أصحابه فأجابوه وأوّل من انتهى اليه المقداد بن الاسود فقال له اخرج في طلب القوم حتى ألحقك واعطاه اللواء فخرج وتبعته الفرسان حتى أدركوا أواخر العدوّ فحصلت بينهم مناوشات قتل فيها مسلم ومشركان واستنقذ المسلمون غالب اللقاح وهرب أوائل القوم بالبقية وطلب سلمة بن الاكوع من رسول الله ان يرسله مع جماعة في اثر القوم ليأخذهم على غرة وهم نازلون على أحد مياههم فقال له عليه السلام (ملكت فأسجح) ثم رجع بعد خمس ليال



(١) موضع على بريد من المدينة جهة غطفان

سرية

كان بنو أسد الذين مر ذكرهم كثيراً ما يؤذون من يمر بهم من المسلمين فأرسل لهم عليه السلام عكاشة بن محصن في اربعين راكباً ليغير عليهم ولما قارب بلادهم علموا به فهربوا وهناك وجدوا رجلا نائما فأمنوه ليدلهم على نعم القوم فدلهم عليها فاستاقوها وكانت مائة بعير ثم قدموا المدينة ولم يلقوا كيداً



سرية

وفي ربيع الاوّل بلغهُ عليه السلام ان من بذي القصة (١) يريدون الاغارة على نعم المسلمين التي ترعى بالهيفاء (٢) فأرسل لهم محمد بن مسلمة في عشرة من المسلمين فبلغ ديارهم ليلاً وقد كمن لهم المشركون حينما علموا بهم فنام المسلمون ولم يشعروا الا والنبل قد خالطهم فتواثبوا على اسلحتهم ولكن تغلب عليهم الاعداء فقتلوهم غير محمد بن مسلمة تركوه لظنهم انهُ قتل فعاد الى المدينة وأخبر الرسول عليه السلام

(١) موضع على اربعة وعشرين ميلاً من المدينة في طريق الربذة

(٢) موضع قرب المدينة

فأرسل ابا عبيدة عامر بن الجرّاح في ربيع الآخر ليقتص من الاعداء فلما وصل ديارهم وجدهم تشتتوا هاربين فاستاق نعمهم ورجع

سرية

عاكس بنو سليم الذين كانوا من المتحزبين في غزوة الخندق المسلمين في سيرهم فأرسل عليه السلام زيد بن حارثة في ربيع الآخرة ليغير عليهم في الجموم (١) فلما بلغوا ديارهم وجدوهم تفرقوا ووجدوا هناك امرأة من مزينة دلتهم على منازل بني سليم فاصابوا بها نعما وشاء ووجدوا رجالاً أسروهم وفيهم زوج تلك المرأة فرجعوا بذلك الى المدينة فوهب الرسول لهذه المرأة نفسها وزوجها

سرية

بلغ الرسول أن عيراً لقريش أقبلت من الشام تريد مكة فأرسل لها زيد بن حارثة في مائة وسبعين راكباً ليعترضها فأخذها وما فيها وأسر من معها من الرجال وفيهم أبوالعاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله وكان من رجال مكة المعدودين تجارة ومالاً وامانة فاستجار بزوجه زينب فأجارته ونادت بذلك في مجمع قريش فقال عليه السلام (المسلمون يد واحدة يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجرت) وهذا أبلغ ما قيل

(١) ناحية من بطن نخل

في المساواة بين أفراد المسلمين ورد عليه الرسول ما له بأسره لا يفقد منه شيئاً فذهب الى مكة فأدى لكل ذي حق حقه ورجع الى المدينة مسلماً فرد عليه رسول الله زوجه

سرية

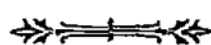
وفي جمادي الآخرة أرسل غليه السلام زيد بن حارثة في خمسة عشر رجلاً للاغارة على بني ثعلبه الذين قتلوا أصحاب محمد ابن مسلمة وهم مقيمون بالطرف (١) فتوجهت السرية لذلك ولما رآهم الاعداء ظنوهم طليعة الجيش رسول الله فهربوا وتركوا نعمهم وشاءهم فاستاقها المسلمون ورجعوا الى المدينة بعد أربع ليال

سرية

وفي رجب أرسل عليه السلام زيد بن حارثة ليغير على بني فزارة لانهم تعرضوا لزيد وهو راجع بتجارة من الشام فسلبوا ما معه وكادوا يقتلونه فلما جاء المدينة وأخبر الرسول الخبر أرسله مع رجاله للقصاص من فزارة المقيمين في وادي القرى (٢) فساروا حتى دهموا العدو

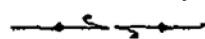
(١) ماء على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة في طريق العراق
(٢) موضع شمالي المدينة

واحاطوا بهم وقتلوا منهم جمعاً كثيراً وأخذوا امرأة من كبارهم أسيرة فاستوهبها عليه السلام ممن أسرها وفدى بها أسيراً كان بمكة



سرية

وفي شعبان أرسل عليه السلام عبد الرحمن بن عوف مع سبعمائة من الصحابة لغزو بني كلب في دومة الجندل(١) وقد وصاهم عليه السلام قبل السفر بقوله (اغزوا جميعاً في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم ثم اعطاه اللواء فساروا على بركة الله حتى حلوا بديار العدو فدعوهم الى الاسلام ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع اسلم رئيس القوم الاصبغ بن عمرو النصراني وأسلم معه جمع من قومه وبقى آخرون راضين باعطاء الجزية فتزوج عبدالرحمن بنت رئيسهم كما امره بذلك عليه السلام وهذه اقرب لتمكين صلات الود بين الامراء بحيث يهم كلاً ما يهم الآخر فنعما هي سياسة السلم والمحبة



سريه

وفي شعبان أرسل عليه السلام علي بن أبي طالب في مائة رجل

(١) حصن وقرى بينها وبين دمشق خمس ليال وبين المدينة خمس عشرة ليلة

الغزو بني سعد بن بكر بفدك (١) لانه بلغه انهم يجمعون الجيوش لمساعدة يهود خيبر على حرب المسلمين مقابل تمر يعطونه من تمر خيبر فسارت السرية وبينما هم سائرون التقوا بجاسوس العدو ارسلوه الى خيبر ليعقد المعاهدة مع يهودها فطلبوا منه ان يدلهم على القوم وهو آمن فدلهم على موضعهم فاستاق منه المسلمون نعم القوم وهرب الرعاة فحذروا قومهم فداخلهم الرعب وتفرقوا فرجع المسلمون ومعهم خمسمائة بعير والفا شاة ورد الله كيد المشركين فلم يمدوا اليهود بشيء .

قتل أبي رافع

وكان المحرك لاهل خيبر على حرب المسلمين هو سيدهم ابو رافع سلام بن ابي الحقيق الملقب بتاجر أهل الحجاز لما كان له من المهارة في التجارة وكان ذا ثروة طائلة يقلب بها قلوب اليهود كما يريد فانتدب له عليه السلام من يقتله فأجاب لذلك خمسة رجال من الخزرج رئيسهم عبد الله بن عتيك ليكون لهم مثل اجر اخوانهم من الاوس الذين قتلوا كعب بن الاشرف فان من نعم الله على رسوله ان كان الاوس والخزرج يتفاخرون بما يفعلونه من تنفيذ رغبات رسول الله فلا تعمل الاوس عملاً الا اجتهد الخزرج في مثله فأمرهم الرسول بذلك بعد أن وصاهم ان لا يقتلوا وليداً ولا امرأة فساروا حتى اتوا خيبر فقال عبد

(١) قرية بينها وبين المدينة ست ليال من جهة خيبر .

الله لاصحابه مكانكم فاني منطلق للبوّاب ومتلطف له لعلي ادخل فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوب كأنهُ يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف به البوّات ادخل يا عبدالله ان كنت تريد الدخول فاني اريد ان اغلق الباب فدخل وكمن حتى نام النوّاب فأخذ المفاتيح وفتح ليسهل له الهرب ثم توجه الى بيت ابي رافع وصار يفتح الابواب التي توصل اليها وكلما فتح باباً اغلقهُ من داخل حتى انتهى اليهِ فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله فلم يمكنهُ تمييزه فنادى يا ابا رافع قال من فأهوى بالسيف نحو الصوت فلم يغنِ شيئاً وعند ذلك قالت امرأته هذا صوت ابن ابي عتيك فقال لها ثكلتك امك واين ابن ابي عتيك الآن فعاد عبد الله للنداء مغيراً صوته قائلا ما هذا الصوت الذي نسمعه يا ابا رافع قال لامك الويل ان رجلاً في البيت ضربني بالسيف فعمد اليه فضربه أخرى لم تغن شيئاً فتوارى ثم جاءه كالمغيث وغير صوته فوجده مستلقياً على ظهره فوضع السيف في بطنه وتحامل عليه حتى سمع صوت العظم ثم خرج من البيت وكان نظره ضعيفاً فوقع من فوق السلم فانكسرت رجله فعصبها بعمامته ثم انطلق الى اصحابه وقال النجاة قتل والله ابو رافع فانتهوا الى الرسول فحدثوه ثم قال لعبد الله ابسط رجلك فمسحها عليه السلام فكأنها لم يشتكها قط وعادت احسن ما كانت. فانظر رعاك الله الى ما كان عليه المسلمون من استسهال المصاعب ما دامت في ارضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضي الله عنهم وارضاهم

سرية

(ولما) قتل كعب ولى اليهود مكانه اسير بن رزام فارسل عليه السلام من يستعلم له خبره فجاءته الاخبار بأنه قال لقومه سأصنع بمحمد ما لم يصنعه احد قبلي أسير الى غطفان فاجمعهم لحربه وسعى في ذلك فارسل له عليه السلام عبد الله بن رواحه الخزرجي في ثلاثين من الانصار لاستمالته فخرجوا حتى قدموا خيبر وقالوا لاسير نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له قال نعم ولي مثل ذلك فأجابوه ثم عرضوا عليه ان يقدم على رسول الله ويترك ما عزم عليه من الحرب فيوليه الرسول على خيبر فيعيش أهلها بسلام فأجاب الى ذلك وخرج في ثلاثين يهودياً كل يهودي رديف لمسلم وبينما هم في الطريق ندم اسير على مجيئه واراد التخلص مما فعل بالغدر بمن أمنوه فاهوى بيده الى سيف عبد الله بن رواحة فقال له أغدراً يا عدو الله ثم نزل وضربه بالسيف فاطاح عامة فخذه ولم يلبث ان هلك فقام المسلمون على من معه من اليهود فقتلوهم عن آخرهم وهذا عاقبة الغدر

قصة عكل وعرينة

قدم على رسول الله في شوال جماعة من عكل وعرينة فأظهروا الاسلام وبايعوا رسول الله وكانوا سقاماً مصفرّة الوانهم عظيمة بطونهم

فلم يوافقهم هواء المدينة فأمر لهم عليه السلام بذود من الابل معها راع وامرهم باللحوق بها في مرعاها ليشربوا من البانها وأبوالها ففعلوا ولما تم شفاؤهم جازوا الاحسان كفراً فقتلوا الراعى ومثلوا به واستاقوا الابل فلما بلغ ذلك رسول الله ارسل وراءهم كرز بن جابر الفهري في عشرين فارساً فلحقوا بهم وقبضوا على جميعهم ولما جيء بهم الى المدينه أمر عليه السلام بأن يمثل بهم كما مثلوا بالراعي فقطعت ايديهم وأرجلهم وسمرت اعينهم وألقوا بالحرة حتى ماتوا فهكذا يكون جزاء الخائن الذي لا ينتظر منه صلاح وعمل هؤلاء الشريرين مما يدل على فساد الاصل ولؤم العشيرة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك عن المثلة

سرية

جلس ابو سفيان بن حرب يوماً في نادي قومه فقال ألا رجل يذهب لمحمد فيقتله غدراً فانه يمشي بالاسواق لنستريح منه فتقدم له رجل وتعهد له بما أراد فاعطاه راحلة ونفقة وجهزه لذلك فخرج الرجل حتى وصل الى المدينة صبح سادسة من خروجه فسأل عن رسول الله فدل عليه وهو بمسجد بني عبد الاشهل فلما رآه عليه السلام قال ان هذا الرجل ليريد غدراً وان الله مانعني منه فذهب لينحني على الرسول فجذبه أسيد بن حضير من ازاره وهنالك سقط الخنجر فندم

الرجل على فعلته ثم سأله عليه السلام عن سبب عمله فصدّقه بعد ان توثق من حفظ دمه فخلى عليه السلام سبيله فقال الرجل والله يا محمد ما كنت اخاف الرجال فما هو الا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ثم انك اطلعت على ما هممت به مما لم يعلمه احد فعرفت انك ممنوع وأنك على حق وان حزب أبي سفيان حزب الشيطان ثم أسلم وعند ذلك ارسل عليه السلام عمرو بن أمية الضمري وكان رجلاً جريئاً فاتكاً في الجاهلية وأصحبه برفيق ليقتلا أبا سفيان غيلة جزاء اعتدائه فلما قدما مكة توجها ليطوفا بالبيت قبل ان يؤديا ما ارسلا له فعرف عمراً احد رجال مكة فقال هذا عمرو بن أمية ما جاء الا بشر فلما رآهم علموا به لم يجد مناصاً من الهرب فاصطحب معه رفيقه ورجعا الى المدينة وكأن الله سبحانه أراد ان يعيش أبو سفيان حتى يسلم بيده مفاتيح مكة للمسلمين و يعتنق الدين الحنيفي القويم

غزوة الحديبية

رأى عليه السلام في نومه أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فأخبر المسلمين أنه يريد العمرة واستنفر الاعراب الذين حول المدينة ليكونوا معه حذراً من أن تردهم قريش عن عمرتهم ولكن هؤلاء الاعراب أبطؤا عليه لانهم ظنوا أن لا ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبداً وتخلصوا بأن قالوا شغلتنا

أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا فخرج عليه السلام بمن معه من المهاجرين والانصار تبلغ عدتهم الفا وخمسمائة وولى على المدينة ابن أم مكتوم وأخرج معه زوجه أم سلمة وأخرج الهدى ليعلم الناس انه لم يأت محارباً ولم يكن مع أصحابه شيء من السلاح الا السيوف القُرُب لان الرسول لم يرض ان يحملوا السيوف مجردة وهم معتمرون ثم سار الجيش حتى وصل عسفان (١) فجاءه عينه يخبره أن قريشاً أجمعت رأيها أن يصدوا المسلمين عن مكه وأن لا يدخلوها عليهم عنوة أبداً وتجهزوا للحرب وأعدوا خالد بن الوليد في مائتي فارس طليعة لهم ليصدوا المسلمين عن التقدم فقال عليه السلام هل من رجل يأخذ بنا على غير طريقهم فقال رجل من أسلم أنا يارسول الله فسار بهم في طريق وعرة ثم خرج بهم الى مستو سهل يملك مكة من أسفلها فلما رأى خالد ما فعل المسلمون رجع الى قريش وأخبرهم الخبر ولما كان عليه السلام بثنية المرار (٢) بركت ناقته فزجروها فلم تقم فقالوا خلأت القصواء فقال عليه السلام ما خلأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل والذي نفس محمد بيده لا تدعوني قريش لخصلة فيها تعظيم حرمات الله الا أجبتهم اليها مع أن المسلمين لو قاتلوا أعداءهم في مثل هذا الوقت لظفروا بهم.

---

(١) موضع على مرحلتين من مكة

(٢) مهبط الحديبية

ولكن كف الله أيدي المسلمين عن قريش وكف أيدي قريش عن المسلمين كيلا تنتهك حرمات البيت الذي أراد الله ان يكون حرماً آمناً يوطد فيه المسلمون من جميع الاقطار دعائم اخوتهم فيه ثم أمرهم عليه السلام بالنزول في أقصى الحديبية (١) وهناك جاء بديل بن ورقاء الخزاعي رسولاً من قريش يسأل عن سبب مجيء المسلمين فأخبره عليه السلام بمقصده فلما رجع بديل الى قريش وأخبرهم ذلك لم يثقوا به لأنه من خزاعة الموالية لرسول الله كما كانت كذلك لاجداده وقالوا أيريد محمد أن يدخل علينا في جنوده معتمراً تسمع العرب أنه قد دخل علينا عنوة و بيننا و بينه من الحرب ما بيننا والله لا كان هذا أبداً ومنا عين تطرف ثم أرسلوا حليس ابن علقمة سيد الاحابيش وهم حلفاء قريش فلما رآه عليه السلام قال هذا من قوم يعظمون الهدى ابعثوه في وجهه حتى يراه ففعلوا واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك حليس رجع وقال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا أيحج لخم وجذام وحمير ويمنع عن البيت ابن عبد المطلب هلكت قريش ورب البيت ان القوم أتوا معتمرين فلما سمعت قريش منهُ ذلك قالوا له اجلس انما أنت أعرابي لاعلم لك بالمكايد ثم أرسلوا عروة بن مسعود الثقفي سيد أهل الطائف فتوجه

(١) بئر قرب مكة سميت الارض بأسمها

الى رسول الله وقال يا محمد قد جمعت أوباش الناس ثم جئت الى أصلك وعشيرتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت تعاهد الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبداً وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك فنال منهُ أبو بكر وقال أنحن نتكشف عنه ويحك وكان عروة يتكلم وهو يمس لحية رسول الله فكان المغيرة بن شعبة يقرع يده اذا أراد ذلك ثم رجع عروة وقد رأى مايصنع بالرسول أصحابه لايتوضأ وضوءاً الا كادوا يقتتلون عليه يتمسحون به واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ولا يحدون النظر اليه فقال والله يا معشر قريش جئت كسرى في ملكه وقيصر في عظمته فما رأيت ملكاً في قومه مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فانظروا رأيكم فانه عرض عليكم رشداً فاقبلوا ما عرض عليكم فاني لكم ناصح مع أني أخاف أن لا تنصروا عليه فقالت قريش لا تتكلم بهذا ولكن نرده عامنا ويرجع الى قابل ثم ان الرسول اختار عثمان بن عفان رسولاً من عنده الى قريش حتى يعلمهم مقصده فتوجه وتوجه معه عشرة استأذنوا الرسول في زيارة اقاربهم وامر عليه السلام عثمان أن يأتي المستضعفين من المؤمنين بمكة فيبشرهم بقرب الفتح وان الله مظهر دينه فدخل عثمان مكة في جوار أبان بن سعيد الاموي فبلغ ما حمل فقالوا ان محمداً لا يدخلها علينا عنوة أبداً ثم طلبوا منه ان يطوف بالبيت فقال لا أطوف ورسول الله ممنوع ثم انهم حبسوه فشاع عند المسلمين أن عثمان

قتل فقال عليه السلام حينما سمع ذلك لا نبرح حتى نناجزهم الحرب



بيعة الرضوان

ودعا الناس للبيعة على القتال فبايعوه تحت شجرة هناك (١) (سميت بعد بشجرة الرضوان) على الموت فشاع أمر هذه البيعة في قريش فداخلهم منها رعب عظيم وكانوا قد ارسلوا خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص ليطوفوا بعسكر المسلمين علهم يصيبون منهم غرة فأسرهم حارس الجيش محمد بن مسلمة وهرب رئيسهم ولما علمت بذلك قريش جاء جمع منهم وابتدؤا يناوشون المسلمين حتى أسر منهم اثنا عشر رجلاً وقتل من المسلمين واحد



صلح الحديبية

وعند ذلك خافت قريش وأرسلت سهيل بن عمرو للمكالمة في الصلح فلما جاء قال يا محمد ان الذي حصل ليس من رأي عقلائنا بل شيء قام به السفهاء منا فابعث الينا بمن أسرت فقال حتى ترسلوا من عندكم وعندئذٍ أرسلوا عثمان والعشرة الذين معه ثم عرض سهيل

(١) أمر عمر بقطعها زمن خلافته لما رأى تبرك الناس بها فليتأمل

الشروط التي تريدها قريش وهي (١) وضع الحرب بين المسلمين وقريش أربع سنوات (٢) من جاء المسلمين من قريش يردونه ومن جاء قريشاً من المسلمين لا يلزمون برده (٣) أن يرجع النبي من غير عمرة هذا العام ثم يأتي العام المقبل فيدخلها باصحابه بعد ان تخرج منها قريش فيقيم بها ثلاثة ايام ليس مع اصحابه من السلاح الا السيف في القراب والقوس (٤) من اراد ان يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل فيه ومن اراد ان يدخل في عهد قريش دخل فيه فقبل عليه السلام كل هذه الشروط اما المسلمون فداخلهم منها امر عظيم وقالوا سبحان الله كيف نرد اليهم من جاءنا مسلماً ولا يردون من جاءهم مرتداً فقال عليه السلام انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً اما الامر الثالث وهو صد المسلمين عن الطواف بالبيت فكان اشد تأثيراً على قلوبهم لان الرسول اخبرهم انه رأى في منامه أنهم دخلوا البيت آمنين وقد سأل عمر أبا بكر في ذلك فقال رضي الله عنه وهل ذكر انه في هذا العام ثم كتبت شروط الصلح بين الطرفين وكان الكاتب علي بن أبي طالب فأملاه عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اكتب باسمك اللهم فأمره الرسول بذلك ثم قال هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهل لو نعلم أنك رسول الله ما خالفناك اكتب محمد بن عبد الله فأمر عليه السلام علياً بمحو ذلك

وكتابة محمد بن عبد الله فامتنع فمحاها النبي بيده وكتبت نسختان نسخة لقريش ونسخة للمسلمين و بعد كتابة الشروط جاءهم أبو جندل بن سهيل يحجل في قيوده وكان من المسلمين الممنوعين من الهجرة فهرب للمسلمين هذه المرة ليحموه فقال عليه السلام اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك له من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بين القوم صلحاً وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهدا فلا نغدر بهم . هذا وقد دخلت قبيلة خزاعة في عهد رسول الله ودخل بنو بكر في عهد قريش

ولما انتهى الامر أمر عليه السلام أصحابه أن يحلقوا رؤسهم و ينحروا الهدى ليتحللوا من عمرتهم فاحتمل المسلمون من ذلك هماً عظيما حتى انهم لم يبادروا بالامتثال فدخل عليه السلام على أم المؤمنين أم سلمة وقال لها هلك المسلمون أمرتهم فلم يمتثلوا فقالت يارسول الله اعذرهم فقد حملت نفسك أمراً عظيما في الصلح ورجع المسلمون من غير فتح فهم لذلك مكروبون ولكن أخرج يا رسول الله وابدأهم بما تريد فاذا رأوك فعلت تبعوك فقام عليه السلام الى هدية فنحرها ودعا بالحلاق فحلق رأسه فلما رآه المسلمون تواثبوا الى الهدى فنحروه وحلقوا ثم رجع المسلمون الى المدينة وقد أمن كل فريق الآخر ولما قرّ قرارهم جاءتهم مهاجرة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت عثمان لامه فطلبها المشركون فقالت يا رسول الله اني امرأة وان أرجعت

اليهم فتنونى في ديني فانزل الله في سورة الممتحنة (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهنّ الله أعلم بأيمانهنّ فان علمتموهنّ مؤمنات فلا ترجعوهنّ الى الكفار لا هنّ حل لهم ولا هم يحلون لهنّ وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهنّ اذا آتيتموهنّ أجورهنّ ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) فكانت المرأة المهاجرة تستحلف انها ما خرجت رغبة بارض عن ارض ولا من بغض زوج ولا لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين وما خرجت الا حباً لله ولرسوله ومتى حلفت لا ترد بل يعطى لزوجها المشرك ما أنفقه عليها ويجوز للمسلم تزوجها وفي الاية تحريم امساك الزوجة الكافرة بل ترد الي اهليها بعد ان يعطوا ما أنفقوا عليها (وقد تمكن) ابو بصير عتبة بن اسيد الثقفى رضي الله عنه من الفرار الى رسول الله فأرسلت قريش في اثره رجلين يطلبان تسليمه فأمره عليه السلام بالرجوع معهما فقال يا رسول الله أتردني الى الكفار يفتنوني في ديني بعد ان خلصني الله منهم فقال ان الله جاعل لك ولاخوانك فرجاً فلم يجد بدًّا من اتباعه فرجع مع صاحبيه ولما قارب ذا الحليفة عدا على احدهما فقتله وهرب منه الآخر فرجع الى المدينة وقال يا رسول الله وفت ذمتك أما انا فنجوت فقال له اذهب حيث شئت ولا تقم بالمدينة فذهب الى محل بطريق الشام تمر به تجارة قريش فاقام به واجتمع معه جمع ممن كانوا مسلمين بمكة

ونجوا وسار اليه ابو جندل بن سهيل واجتمع اليه جمع من الاعراب وقطعوا الطريق على تجارة قريش حتى قطعوا عنهم الامداد فارسل رجال قريش لرسول الله يستغيثون به في ابطال هذا الشرط ويعطونه الحق في امساك من جاءه مسلماً فقبل منهم ذلك وازاح الله عن المسلمين هذه الغمة التي لم يتمكنوا من تحملها في الحديبية حينما امرهم عليه السلام برد ابي جندل وعلموا ان راي رسول الله افضل واحسن من رايهم حيث كان فيه امن تسبب عنه اختلاط الكفار بالمسلمين فخالطت بشاشة الاسلام قلوبهم حتى قال ابو بكر رضي الله عنه ما كان فتح في الاسلام اعظم من فتح الحديبية ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد ور به والعباد يعجلون والله لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الامور ما اراد وفي رجوعه عليه السلام من الحديبية نزلت عليه سورة الفتح وقال الله سبحانه في اولها (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً) وفي تسمية هذه الغزوة بالفتح المبين تصديق لما قدمناه لك عن الصديق

مكاتبة الملوك

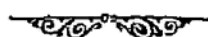
بعد رجوع المسلمين من الحديبية في أواخر سنة ست وأمن الطرق من قريش كاتب عليه السلام ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام

واتخذ اذ ذاك خاتما من فضة يختم به خطاباته وكان نقشه (محمد رسول الله) فوجه دحية الكلبي بكتاب الى قيصر ملك الروم وأمره أن يدفعه الى عظيم بصرى ليوصله الى الملك



كتاب قيصر

وكان في الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين (١) ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)



حديث أبي سفيان

ولما وصل هذا الكتاب قيصر قال انظروا لنا من قومه أحداً نسأله عنه وكان أبو سفيان بن حرب بالشام مع رجال من قريش في تجارة فجاءت رسل قيصر لابي سفيان ودعوه لمقابلة الملك فأجاب ولما قدموا عليه في القدس قال لترجمانه سلهم أيهم اقرب نسباً بهذا الرجل الذي

---

(١) الفلاحين

يزعم أنه نبي فقال أبو سفيان أنا لانه لم يكن في الركب من بني عبد مناف غيره فقال قيصر ادن مني ثم أمر بأصحابه فجعلوا خاف ظهره ثم قال لترجمانه قل لاصحابه انما قدمت هذا امامكم لأسأله عن هذا الرجل الذي يزعم انه نبي وقد جعلتكم خافه كيلا تخجلوا من رد كذبه عليه اذا كذب ثم سأله كيف نسب هذا الرجل فيكم قال هو فينا ذو نسب قال هل تكلم بهذا القول أحد منكم قبله قال لاقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا قال فهل كان من آبائه من ملك قال لا قال فاشراف الناس يتبعونه ام ضعفاؤهم قال بل ضعفاؤهم قال فهل يزيدون ام ينقصون قال بل يزيدون قال هل يرتد احد منهم سخطة لدينه قال لا قال هل يغدر اذا عاهد قال لا ونحن الآن منه في ذمة لاندري ما هو فاعل فيها قال فهل قاتلتموه قال نعم قال فكيف حربكم وحربه قال الحرب بيننا وبينه سجال مرة لنا ومرة علينا قال فبم يأمركم قال يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً وينهى عما كان يعبد آباؤنا ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد واداء الامانة فقال الملك اني سألتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فزعمت ان لا فلو كان احد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتم بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فزعمت ان لا فقلت ما كان ليذر الكذب على

الناس و يكذب على الله وسألتك هل كان من آبائه من ملك فقلت لا فلو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك ابيه وسألتك اشراف الناس يتبعونه ام ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فقلت بل يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسألتك هل يرتد احد منهم سخطة لدينه فقلت لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب وسألتك هل قاتلتموه فقلت نعم وان الحرب بينكم و بينه سجال وكذلك الرسل تبتلي ثم تكون لهم العاقبة وسألتك بماذا يأمر فزعمت انه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد واداء الامانة وسألتك هل يغدر فذكرت ان لا وكذلك الرسل لا تغدر فعلمت انهُ نبي وقد علمت انه مبعوث ولم اظن انه فيكم وان كان ما كلمتني به حقاً فسيملك موضع قدميَّ هاتين ولو اعلم اني اخلص اليه لتكلفت ذلك قال ابو سفيان فعلت اصوات الذين عنده وكثر لغطهم فلا ادرى ما قالوا وامر بنا فاخرجنا فلما خرج ابو سفيان مع اصحابه قال لقد بلغ امر ابن ابي كبشة ان يخافه ملك بني الاصفر . ولما سار قيصر الى حمص اذن لعظماء الروم في دسكرة له ثم امر بابوابها فاغلقت ثم قال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها مغلقة فلما رآى قيصر نفرتهم قال ردوهم عليَّ فقال لهم اني قلت مقالتي اختبر بها شدتكم على دينكم فسجدوا له ورضوا

عنه فغلبه حب ملكه على الاسلام فذهب بإثمه واثم رعيته كما قال عليه الصلاة والسلام ولكنه رد دحية رداً جميلاً

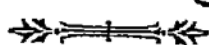
كتاب أمير بصرى

وارسل عليه السلام الحارث بن عمير الازدي بكتاب الى امير بصرى فلما بلغ موئتة وهي قرية من عمل البلقاء بالشام تعرض له شرحبيل ابن عمرو الغساني فقال له اين تريد قال الشام قال لعلك من رسل محمد قال نعم فأمر به فضربت عنقه ولم يقتل لرسول الله عليه الصلاة والسلام رسول غيره وقد وجد لذلك وجداً شديداً

كتاب الحارث بن أبي شمر

ووجه عليه السلام شجاع بن وهب الى امير دمشق من قبل هرقل الحارث بن ابي شمر وكان يقيم بغوطتها وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن ابي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق واني ادعوك ان تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى ملكك) فلما قرأ الكتاب رمى به وقال من ينزع ملكي مني واستعد ليرسل جيشاً لحرب المسلمين وقال لشجاع اخبر صاحبك بما ترى ثم ارسل الى قيصر يستأذنه في ذلك وصادف ان كان عنده دحية فكتب قيصر اليه يثنيه عن هذا العزم ويأمره بأن يهيء بايليا

ما يلزم لزيارته فانه بعد ان قهر الفرس نذر زيارتها فلما راى الحارث كتاب قيصر صرف شجاع بن وهب بالحسنى ووصله بنفقة وكسوة



كتاب المقوقس

ووجه عليه السلام حاطب بن ابي بلتعة بكتاب الى المقوقس امير مصر من جهة قيصر وكان فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى اما بعد فأني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان توليت فانما عليك اثم القبط و يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة الآية) فأوصله له حاطب باسكندرية فلما قرأه قال ما منعه ان كان نبياً ان يدعو على من خالفه واخرجه من بلده فقال حاطب الست تشهد ان عيسى ابن مريم رسول الله فما له حيث اخذه قومه فأرادوا ان يقتلوه ان لا يكون دعا عليهم ان يهلكهم الله حتى رفعه الله اليه قال احسنت انت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال اني قد نظرت في امر هذا النبي فوجدت انه لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم اجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب ووجدت معه آلة النبوة اخراج الغائب المستور والاخبار بالنجوى وسأنظر ثم كتب رد الجواب يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك اما بعد فقد قرات كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه

وقد علمت ان نبياً قد بقي وكنت اظن انهُ يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك و بعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط و بثياب واهديت اليك بغلة تركبها والسلام) واحدى الجاريتين مارية التي تسري بها عليه الصلاة والسلام وجاء منها بولده ابراهيم والاخرى اعطاها لحسان ابن ثابت ولم يسلم المقوقس



كتاب النجاشي

ووجه عليهِ السلام عمرو بن امية الضمرى بكتاب الى النجاشى ملك الحبشة وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشى عظيم الحبشة سلم اما بعـد فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتوقن بالذي جاءني فاني رسول الله واني ادعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى) ولما وصله الكتاب احترمه غاية الاحترام وقال لعمرو اني اعلم والله ان عيسى بشر به ولكن اعواني بالحبشة قليل فانظرني حتى اكثر الاعوان والين القلوب . وقد عرض عمرو على من بقى من مهاجري الحبشة الرجوع الى رسول الله بالمدينة

وكان من المهاجرين ام حبيبة بنت ابي سفيان زوج عبيد الله بن جحش الذي كان اسلم وهاجر بها ولكن قد غلبت عليه الشقاوة فتنصر فتزوج عليه السلام ام حبيبة وهي بالحبشة والذي زوجها له النجاشي بتوكيل منه عليه السلام

كتاب كسرى

ووجه عليه السلام عبد الله بن حذافة السهمي بكتاب الى كسرى ملك الفرس وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله ادعوك بدعاية الله فاني انا رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان ابيت فانما عليك اثم المجوس) فلما وصله الكتاب مزقه استكباراً ولما بلغهُ عليه السلام ذلك قال (مزق الله ملكه كل ممزّق) وقد فعل فكانت مملكته اقرب الممالك سقوطاً وقد بدأ هذا الشقي بالعدوان فارسل لعامله باليمن ان يوجه الى الرسول من يأتي بهِ اليه فعاجله الله بقيام ابنه شيرويه عليهِ وقتله له ثم ارسل لعامل اليمن ينهاه عما امره بهِ ابوه

كتاب المنذر بن ساوي

ووجه عليهِ السلام العلاء بن الحضرمي بكتاب الى المنذر بن ساوي ملك البحرين يدعوه فيهِ الى الاسلام وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم سلم انت فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فان من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول من احب ذلك من المجوس فانهُ آمن ومن أبى فان عليهِ الجزية) فاسلم وكتب في رد الجواب (اما بعد يا رسول الله فاني قرأت كتابك على اهل البحرين فمنهم من احب الاسلام واعجبهُ ودخل فيه ومنهم من كرههُ و بأرضي مجوس ويهود فأحدث اليّ في ذلك امرك) فكتب اليهِ عليهِ السلام (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوي سلام عليك فأني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو وأشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله اما بعد فاني اذكرك الله عز وجلّ فانهُ من ينصح فانما ينصح لنفسه وانهُ من يطع رسلي ويتبع امرهم فقد اطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد اثنوا عليك خيراً واني شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن اهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نغيرك عن عملك ومن اقام على يهوديته او مجوسيته فعليه الجزية)

كتاب ملكي عمان

ووجه عليهِ السلام عمرو بن العاص بكتاب الى جيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان وفيهِ (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فاني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين وانكما ان اقررتما بالاسلام وليتكما وان ابيتما فان ملككما زائل وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما والسلام)

فلما حل بناديهما عمرو سأله عبدبن الجلندي عما يأمر بهِ الرسول وينهى عنهُ فقال يأمر بطاعة الله عز وجل وينهي عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب فقال ما احسن هذا الذي يدعو اليه ولو كان اخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق بهِ ولكن اخي أضن بملكه من ان يدعه ويصير تابعاً قال عمرو ان أسلم اخوك ملكه رسول الله على قومه فأخذا الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم فقال عبد ان هذا لخلق حسن وما الصدقة فأخبره بما فرض الله من الصدقات في الاموال ولما ذكر المواشي قال يا عمرو يؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى في الشجر وترد المياه قال نعم فقال عبد والله ما

أرى قومي على بعد دارهم وكثرة عددهم يرضون بهذا ثم ان عبداً اوصل عمراً لاخيه جيفر فتكلم معهُ عمرو بما ألان قلبهُ حتى أسلم هو وأخوه ومكناه من الصدقات

كتاب هوذة بن علي

ووجه عليه السلام سليط بن عمرو العامري بكتاب الى هوذة ابن علي ملك اليمامة وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك) فلما جاءه الكتاب كتب في رده (ما احسن ما تدعو اليهِ واجمله وانا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الامر اتبعك) ولما بلغ ذلك رسول الله قال لو سألني قطعة من الارض ما فعلت باد وباد ما في يديه فلم يلبث ان مات منصرف الرسول صلى الله عليهِ وسلم من فتح مكة وكان عليهِ السلام يولي على كل قوم قبلوا الاسلام كبيرهم

السنة السابعة غزوة خيبر

وفي محرم السنة السابعة امر عليهِ السلام بالتجهز لغزو يهود خيبر .

الذين كانوا اعظم مهيج للاحزاب ضد رسول الله في غزوة الخندق. والذين لا يزالون مجتهدين في محالفة الاعراب ضد رسول الله كما قدمنا ذلك في قصة كعب بن الاشرف وقد استنفر رسول الله لذلك من حوله من الاعراب الذين كانوا معه بالحديبية وجاء المخلفون عنها ليؤذن لهم فقال عليه السلام لا تخرجوا معي الا رغبة في الجهاد اما الغنيمة فلا اعطيكم منها شيئاً وامر منادياً ينادي بذلك ثم خرج عليه السلام بعد ان ولى على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وكان معهُ من ازواجهِ ام سلمة ولما وصل جيش المسلمين الى خيبر التي تبعد عن المدينة نحو مائة ميل من الشمال الغربي رفعوا اصواتهم بالتكبير والدعاء فقال عليهِ السلام (ارفقوا بأنفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم) وكانت حصون خيبر ثلاثاً منفصلة عن بعضها وهي حصون النطاة وحصون الكثيبة وحصون الشق والاولى ثلاث حصن ناعم وحصن الصعب وحصن قلة والثانية حصنان حصن ابى وحصن البرئ والثالثة ثلاث حصون حصن القموص وحصن الوطيح وحصن السلالم فبدا عليهِ السلام بحصون النطاة وعسكر المسلمون شرقيه بعيداً عن مدى النبل وامر عليهِ السلام ان يقطع نخلهم ليرهبهم حتى يسلموا. فقطع المسلمون نحو اربعمائة نخلة ولما رأى عليه السلام تصميم اليهود على الحرب نهى عن القطع ثم ابتدأ القتال مع حصن ناعم بالمراماة وكان لواء

المسلمين بيد احد المهاجرين فلم يصنع في ذلك اليوم شيئاً وفيهِ مات محمود بن مسلمة اخو محمد بن مسلمة وصار عليهِ السلام يغدو كل يوم مع بعض الجيش للمناوشة ويخلف على العسكر احد المسلمين حتى اذا كانوا في الليلة السابعة ظفر حارس الجيش وهو عمر بن الخطاب بيهودي خارج في جوف الليل فاتى بهِ رسول الله عليهِ السلام ولما ادركه الرجل الرعب قال ان امنتموني ادلكم على امر فيه نجاحكم. فقالوا دلنا فقد أمناك فقال ان أهل هذا الحصن ادركهم الملال والتعب وقد تركتهم يبعثون بأولادهم الى حصن الشق وسيخرجون لقتالكم غداً فاذا فتح عليكم هذا الحصن غدا فاني ادلكم على بيت فيه منجنيق ودبابات (١) ودروع وسيوف يسهل عليكم بها فتح بقية الحصون فانكم تنصبون المنجنيق ويدخل الرجال تحت الدبابات فينقبون الحصن فتفتحه من يومك فقال عليهِ السلام لمحمد بن مسلمة. سأعطي الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبانه فبات المهاجرون والانصار كلهم يتمنونها حتى قال عمر بن الخطاب ما تمنيت الامارة الا ليلتئذ فلما كان الغد سأل عليه السلام عن علي بن ابي طالب فقيل له انه ارمد فأرسل من يأتيه بهِ ولما جاء تفل في عينيه فشفاهما الله كأن

(١) الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في اصل الحصن فينقبونهُ وهم في جوفها

لم يكن بهما شيء ثم اعطاه الراية فتوجه مع المسلمين للقتال وهناك وجدوا اليهود متجهزين فخرج يهودي يطلب البراز فقتله عليٌّ ثم خرج مرحب وهو اشجع القوم فالحقهُ برفيقهُ فخرج اخوه ياسر فقتله الزبير بن العوام ثم حمل المسلمون على اليهود حتى كشفوهم عن مواقفهم وتبعوهم حتى دخلوا الحصن بالقوة وانهزم الاعداء الى الحصن الذي يليه وهو حصن الصعب وغنم المسلمون من حصن ناعم كثيراً من الخبز والتمر ثم تبعوا اليهود الى حصن الصعب فقاتل عنهُ اليهود قتالاً شديداً حتى ردّ عنهُ المسلمون ولكن ثبت الحباب بن المنذر ومن معهُ وقاتلوا قتالاً شديداً حتى هزموا اليهود فتبعوهم حتى اقتحموا عليهم الحصن فوجدوا فيهِ غنائم كثيرة من الطعام فأمر عليه السلام منادياً يقول كلوا واعلفوا دوابكم ولا تأخذوا شيئاً ثم ان الذين انهزموا من هذا الحصن ساروا الى حصن قلة فتبعهم المسلمون وحاصروهم ثلاثة ايام حتى استصعب عليهم فتحهُ وفي اليوم الرابع دلهم يهودي على جداول الماء التي يستقي منها اليهود فمنعوها عنهم فخرجوا وقاتلوا قتالاً شديداً انتهى بهزيمتهم الى حصون الشق فتبعهم المسلمون وبدؤا بحصن ابي فخرج اهله وقاتلوا قتالاً شديداً ابلى فيه ابو دجانة الانصاري بلاء حسناً حتى تمكن من دخول الحصن عنوة ووجد المسلمون فيهِ اثاثاً كثيراً ومتاعاً وغنماً وطعاماً وهرب المنهزمون منهُ الى حصن البريء فتمنعوا بهِ اشد التمنع وكان اهله اشد اليهود رمياً بالنبل والحجارة حتى اصاب رسول الله بعض منهُ

فنصب المسلمون عليهِ المنجنيق فوقع في قلب اهله الرعب وهربوا منهُ من غير عناء شديد فوجد فيهِ المسلمون اواني لليهود من نحاس وفخار. فقال عليهِ السلام اغسلوها واطبخوا فيها ثم تتبع المسلمون بقايا العدو الى حصون الكثيبة و بدؤا بحصن القموص فحاصروه عشرين ليلة ثم فتحهُ الله على يد علي بن ابي طالب ومنهُ سبيت صفية بنت حيّ ابن اخطب ثم سار المسلمون لحصار حصني الوطيح والسلالم فلم يقاوم اهلهما بل سلموا طالبين حقن دمائهم وان يخرجوا من ارض خيبر بذراريهم لا يصطحب الواحد منهم الا ثوباً واحداً على ظهره فاجابهم رسول الله الى ذلك وغنم المسلمون من هذين الحصنين مائة درع وار بعمائة سيف والف رمح وخمسمائة قوس عربية ووجدوا صحفاً من التوراة فسلموها لطالبيها وقد امر عليه السلام بقتل كنانة بن ابي الحقيق لانه انكر حلى حيي بن اخطب وقد عثر عليها المسلمون فوجدوا فيها اساور ودمالج وخلاخيل واقرطة وخواتيم الذهب وعقود الجواهر والزمرد وغير ذلك.

(هذا) والذين استشهدوا من المسلمين بخيبر خمسة عشر رجلاً وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون رجلا وفي هذه الغزوة أهدت احدى نساء اليهود كراع شاة مسمومة لرسول الله فأخذ منها مضغة ثم لفظها حيث علم انها مسمومة وأكل منها بشر بن البراء فمات لوقته واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيء له بالمرأة التي فعلت هذه الفعلة.

فسألها عن سبب ذلك فأجابت قلت ان كان نبياً لن يضره وان كان كاذباً أراحنا الله منه فعفا عنها عليه السلام

زواج صفية

وبعد تمام الظفر والنصر تزوج عليه السلام صفية بنت حيي سيد بني النضير وأصدقها عتقها وقد أسلمت رضي الله عنها فشرفت بأمومة المؤمنين

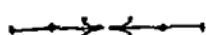
النهي عن نكاح المتعة

(ونهى) عليه السلام وهو بخيبر عن نكاح المتعة وهي النكاح لاجل وقد كان حلا في الجاهلية واستعمل في بدء الاسلام حتى حرمه الشرع في هذه السنة (ونهى) كذلك عن اكل لحوم الحمر الاهلية فاكفأ المسلمون قدورها بعد ان نضجت ولم يطعموها

رجوع مهاجري الحبشة

(وحين) رجوع المسلمين من خيبر قدم من الحبشة جعفر ابن أبي طالب ومعه الاشعريون أبو موسى وقومهُ بعد أن أقاموا فيها نحواً من عشر سنين آمنين مطمئنين وفرح عليه السلام بقدمهم فرحاً عظيماً وأعطى للاشعريين من مغانم الحصون المفتوحة صلحاً وكان مع جعفر

أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين (وقدم) في هذا الوقت على النبي عليه السلام الدوسيون اخوان أبي هريرة رضي الله عنهُ وهو معهم فأعطاهم ايضاً رسول الله عليهِ الصلاة والسلام



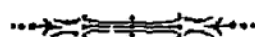
فتح فدك

و بعد تمام الفتح أرسل عليه السلام من يطلب من يهود فدك (١) الانقياد والطاعة فصالحوا رسول الله على أن يحقن دماءهم و يتركوا الاموال وكانت أرض فدك هذه لرسول الله خاصة ينفق منها على نفسه و يعول منها صغير بني هاشم و يزوج منها أيمهم



صلح تيماء

ولما بلغ يهود تيماء (٢) ما فعله المسلمون بيهود خيبر صالحوا على دفع الجزية ومكثوا في بلادهم آمنين مطمئنين



فتح وادي القرى

ثم دعا عليه السلام يهود وادي القرى الى الاستسلام فأبوا وقاتلوا

---

(١) حصن قريب من خيبر على ست ليال من المدينة

(٢) قرية على ثمان مراحل من المدينة

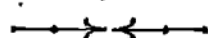
فقاتلهم المسلمون وأصابوا منهم أحد عشر رجلا وغنموا منهم مغانم كثيرة خمسها عليه السلام وترك الارض في أيدي أهلها يزرعونها بشطر ما يخرج منها وكذلك صنع بأرض خيبر وكان يرسل اليهم عبد الله بن رواحة لتقدير الثمر وكان تقديره شديداً عليهم فأرادوا أن يرشوه فقال لهم يا أعداء الله تعطوني السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس اليّ ولانتم أبغض اليّ من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي اياكم وحبي اياه على أن لا أعدل (هذا) وبانقياد جميع اليهود المجاورين للمدينة ارتاح المسلمون من شر عدو كان يتربص بهم الدوائر مهما كان بين الفريقين من العهود والمواثيق ورجع المسلمون مؤيدين ظافرين

اسلام خالد ورفيقيه

وأعقب هذه الغزوة وهذا الفتح المبين اسلام ثلاثة طالما كانت لهم اليد الطولى في قيادة الجيوش لحرب المسلمين وهم خالد ابن الوليد المخزومي وعمرو بن العاصي السهمي وعثمان بن أبي طلحة العبدري فسر بهم عليه السلام سروراً عظيماً وقال لخالد (الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك الا الى خير) فقال يا رسول الله ادع الله لي أن يغفر تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك فقال له عليه السلام (الاسلام يقطع ما قبله)

سرية

وفي شعبان بلغه عليه السلام أن جمعاً من هوازن بتربة (١) يظهرون العداوة للمسلمين فأرسل لهم عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلا فسار اليهم ولما بلغهم الخبر تفرقوا فلم يجد بها عمر أحداً فرجع



سرية

(ثم) ارسل بشير بن سعد الانصاري لقتال بني مرّة بناحية فدك فلما ورد بلادهم لم يرمنهم أحداً فأخذ نعمهم أما القوم فكانوا في الوادي فجاءهم الصريخ فأدركوا بشيراً ليلاً وهو راجع فتراموا بالنبل ولما اصبح الصبح اقتتل الفريقان قتالاً شديداً حتى قتل غالب المسلمين وجرح بشير جرحاً شديداً حتى ظن انه مات ولما انصرف عنه العدو تحامل حتى جاء الى رسول الله وأخبره الخبر (وفي رمضان) ارسل عليه السلام غالب بن عبيد الله الليثي الى اهل الميفعة (٢) في مائة وثلاثين رجلاً فسازوا حتى هجموا على القوم فقتلوا بعضاً وأسروا آخرين وفي اثناء الحرب طارد أسامة بن زيد رجلاً من المشركين

---

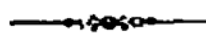
(١) موضع صنعاء ومكة
(٢) على ثمانية برد من المدينة بناحية نجد

ولما رأى المشرك الموت في يد اسامة تشهد فظن أسامة ان عدوه انما قال ذلك تخلصاً فقتله ولما رجع المسلمون الى المدينة واخبر عليهِ السلام بفعلة اسامة قال اقتلته بعد ان قال لا اله الا الله فكيف تصنع بلا اله الا الله قال يا رسول الله انما قالها متعوذاً من القتل قال عليه السلام فهلاّ شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو ام كاذب فقال يا رسول الله أستغفر لي قال عليه السلام فكيف بلا اله الا الله فما زال يكررها حتى تمنى اسامة انه لم يسلم قبل ذلك اليوم وانزل الله في ذلك في سورة النساء (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة) ثم امر عليه السلام اسامة ان يعتق رقبة كفارة لانه قتل خطأ



سرية

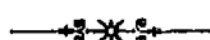
(وفي) شوال بلغه عليهِ السلام ان عيينة بن حصن واعد جماعة من غطفان كانوا مقيمين قريباً من خيبر بارض اسمها يمن وجبار للاغارة على المدينة فارسل لهم بشير بن سعد في ثلاثمائة رجل فساروا اليهم يكمنون النهار و يسيرون الليل حتى اتوا محلتهم فاصابوا نعماً كثيرًا وتفرق الرعاء فاخبروا قومهم فرعبوا ولحقوا بعليا بلادهم ولم يظفر المسلمون الا برجلين أسلما ثم رجعوا بالغنائم الى المدينة



﴿ عمرة القضاء ﴾

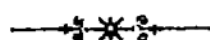
لما حال الحول على عمرة الحديبية خرج عليه السلام بمن صد معه فيها ليقضي عمرته واستخلف على المدينة ابا ذرّ الغفاري وساق معهُ الهدى ستين بدنة واخرج معهُ السلاح حذراً من غدر قريش وكان معهُ مائة فرس عليها بشير بن سعد واحرم عليه السلام من باب المسجد المدني ولما انتهى الى ذي الحليفة قدم الخيل امامهُ فقيل يا رسول الله حملت السلاح وقد شرطوا ان لا تحمله فقال عليهِ السلام لا ندخل الحرم بهِ ولكن يكون قريباً منهُ فان هاجنا هائج فزعنا له فلما كان بمر الظهران قابله نفر من قريش ففزعوا من هذه العدة وأسرعوا الى قومهم فاخبروهم فجاءه فتيان منهم وقالوا والله يا محمد ما عرفت بالغدر صغيرًا ولا كبيراً وانا لم نحدث حدثاً فقال انا لا ندخل الحرم بالسلاح ولما حان وقت دخول مكة خرج اهلوهــا كارهين رؤية المسلمين يطوفون بالبيت فدخل عليهِ السلام واصحابه متوشحين سيوفهم من ثنية كداء وامامه عبد الله بن رواحة يقول لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده وطاف عليــهِ السلام بالبيت وهو على راحلتهُ واستلم الحجر بمحجنهِ وامر اصحابه ان يسرعوا ثلاثة اشواط اظهاراً للقوة لان المشركين قالوا سيطوف اليوم بالكعبة قوم نهكتهم حمى يثرب فقال عليه السلام رحم الله أمرأ أراهم

من نفسه قوة واضطبع عليه السلام بردائه وكشف عضده اليمني شأن الفتوّة وفعل مثله المسلمون وقد اتم المسلمون طوافهم بالبيت آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين كما رأى عليه السلام في منامه



زواج ميمونة

وتزوج صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج عمه حمزة بن عبد المطلب شهيد أحد وخالة عبد الله بن عباس وهي آخر نسائه زواجاً ولم يدخل بها الا بعد الخروج من مكة حيث كان بسرف (١) ولما خرج عليه السلام أمر الذين كان تركهم لحراسة الخيل بالذهاب ليطوفوا ففعلوا ثم رجع عليه السلام الى المدينة فرحاً مسروراً بما حباه الله به من تصديق رؤياه



السنة الثامنة

سرية

وفي صفر أرسل عليه السلام غالب بن عبد الله الليثي الى بني الملوّح وهم قوم من العرب يسكنون بالكديد (٢) فسار القوم حتى

(١) موضع قرب التنعيم

(٢) موضع بين عسفان وقديد

اذا كانوا بقديد التقوا بالحارث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء وكان خصماً لدوداً للمسلمين فاسروه فقال لهم ما جئت الا للاسلام فقالوا له ان تكن مسلماً لن يضرك رباط ليلة والا استوثقنا منك ثم ساروا حتى وصلوا محلة بني الملوح فاستاقوا النعم والشاء وخرج الضريخ الى القوم فجاءهم ما لا قبل لهم بهِ ولكن من الله على المسلمين فارسل سيلاً شديداً حال بينهم وبين عدوهم حتى صار المشركون يرون نعمهم تساق وهم لا يقدرون على ردها

سرية

(ولما) رجع غالب الى المدينة ظافراً ارسله عليه السلام في مائتي رجل ليقتص من بني مرة بفدك وهم الذين اصابوا سرية بشير بن سعد فساروا حتى اذا كانوا قريباً من القوم خطب غالب فيمن معهُ فقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه (اما بعد فاني اوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وان تطيعوني ولا تخالفوا لي امراً فانه لا رأي لمن لا يطاع) ثم آخى بين الجند فقال يافلان انت وفلان ويا فلان أنت وفلان لا يفارق احد منكم زميله وأياكم ان يرجع الرجل منكم فأقول له اين صاحبك فيقول لا ادري فاذا كبرت فكبروا فلما احاطوا بالعدو وكبر كبروا وجردوا السيوف فلم يفلت من عدوهم احد واستاقوا نعمهم فكان لكل واحد من الغزاة عشرة أبعرة .

سرية

(وفي) ربيع الاول ارسل عليه السلام كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاح من ارض الشام في خمسة عشر رجلاً فوجدوا جمعاً كثيراً فدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا وقاتلوا وكانوا اكثر عدداً فاستشهد المسلمون عن آخرهم الا رئيسهم كعب بن عمير فانه نجا وأتى بالخبر الى رسول الله فشق عليه واراد أن يبعث اليهم من يقتص منهم فبلغه انهم تحولوا من منزلهم فعدل عن ذلك

غزوة مؤتة

جهز عليه السلام في جمادى الاولى جيشاً للقصاص ممن قتلوا الحارث بن عمير الازدي رسوله الى امير بصرى وامر عليهم زيد ابن حارثة وقال لهم ان اصيب فالامير جعفر بن ابي طالب فان اصيب فعبد الله بن رواحة وكان عدة الجيش ثلاثة آلاف فساروا وشيعهم عليه السلام وكان فيما وصاهم به (اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا بصيراً فانياً ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء) ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا مؤتة (١)

(١) قرية قريبة من الكرك وهي مشارف الشام

مقتل الحارث بن عمير وهناك وجدوا الروم مجمعين لهم جمعاً عظيماً منهم ومن العرب المتنصرة فتفاوض رجال الجيش فيما يفعلونه أيرسلون لرسول الله يطلبون منه مدداً ام يقدمون على الحرب فقال عبد الله بن رواحة يا قوم والله ان الذي تكرهون هو ما خرجتم له خرجتم تطلبون الشهادة ونحن ما نقاتل بقوة ولا بكثرة ما نقاتل الا بهـذا الدين الذي اكرمنا الله به فانما هي احدى الحسنيين اما الظهور واما الشهادة فقال الناس صدق والله ابن رواحة ومضوا للقتال فلقوا هذه الجموع المتكاثرة فقاتل زيد بن حارثة رضي الله عنه حتى استشهـد فأخذ الراية جعفر بن ابي طالب وهو يقول

يا حبذا الجنة واقترابها * طيبة وبارد اشرابهـا
والروم روم قددنا عذابها * كافرة بعيدة انسابهـا
عليّ اذ لاقيتها ضرابها

ولم يزل يقاتل حتى استشهد رضي الله عنه فأخذ الراية عبد الله بن رواحة فتقدم ثم تردد بعض التردد فقال يخاطب نفسه

أقسمت يا نفس لتنزلنه طائعة أو لا لتكرهنـه
ان أجلب الناس وشدوا الرنه مالي أراك تكرهين الجنة
قد طالما قد كنت مطمئنة هل أنت الا نطفة في شنة

ثم اقتحم بفرسه المعمعة ولم يزل يقاتل رضي الله عنه حتى استشهد فهم بعض المسلمين بالرجوع الى الوراء فقال لهم عقبة بن عامر يا قوم

يقتل الانسان مقبلاً خير من أن يقتل مدبراً فتراجعوا واتفقوا على
على تأمير الشهم الباسل خالد بن الوليد وبهمته ومهارته الحربية حمى
هذا الجيش من الضياع اذ ما تفعل ثلاثة آلاف بمائة وخمسين ألفاً فانه
لما أخذ الراية قاتل يومه قتالاً شديداً وفي غده خالف ترتيب العسكر
فجعل الساقة مقدمة والمقدمة ساقة والميمنة ميسرة والميسرة ميمنة فظن
الروم ان المدد جاء للمسلمين فرعبوا ثم أخذ خالد الجيش وصار يرجع
به الى الوراء حتى انحاز الى موءتة ثم مكث يناوش الاعداء سبعة أيام
ثم تحاجز الفريقان لان الكفار ظنوا أن الامداد تتوالى للمسلمين
وخافوا أن يجروهم الى وسط الصحارى حيث لا يمكنهم التخلص
وبذلك انقطع القتال وقد نعى النبي صلى الله عليه وسلم زيداً وجعفراً
وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال أخذ الراية زيد فأصيب
ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب وكانت عينا
رسول الله تذرفان ثم قال حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى
فتح الله عليهم وجاءه رجل فقال يا رسول الله ان نساء جعفر يبكين
فأمره ان ينهاهن فذهب الرجل ثم أتى فقال قد نهيتهن فلم يطعن فأمره
فذهب ثانياً ثم جاء فقال والله لقد غلبننا فقال له عليه السلام احث
في افواههن التراب ولما أقبل الجيش الى المدينة قابلهم المسلمون يقولون
لهم يا فرار فقال عليه السلام بل هم الكرار ظن المقيمون بالمدينة ان
انحياز خالد بالجيش هزيمة ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراهم

ان ذلك من مكايد الحرب وأثنى على خالد في مهارته

سرية

وفي جمادى الآخرة بلغه عليه السلام ان جمعاً من قضاعة يتجمعون في ديارهم وراء وادي القرى ليغيروا على المدينة فأرسل لهم عمرو بن العاص في ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين ثم أمده بأبي عبيدة بن الجراح في مائتين من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر فلحقوا عمراً قبل أن يصل الى القوم وقد أراد رجال من الجيش ايقاد نار فمنعهم عمرو فانكر عليه عمر بن الخطاب فقال أبو بكر انما بعثه رسول الله علينا رئيساً لمعرفته بالحرب اكثر منا فلا تعصه فامتثل ولما حلوا بساحة القوم حملوا عليهم فلم يكن اكثر من ساعة حتى تفرق الاعداء منهزمين فجمعوا غنائمهم وأرادوا اتباع أثرهم فمنعهم قائدهم ثم رجعوا الى المدينة ظافرين وبينما هم في الطريق ادركت عمرو بن العاص جنابة في ليلة باردة فلما أصبح قال ان أنا اغتسلت هلكت والله يقول (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) ثم تيمم وصلى ثم أمر بالسير حتى اذا وصلوا المدينة قام رسول الله عليه السلام يسأل عن أنباء سفرهم كما هي عادته فأخبروه بما نقموه على عمرو بن العاص من نهيهم عن ايقاد النار ونهيهم عن اتباع العدو وصلاته جنباً فسأله عليه السلام عن ذلك فقال منعتهم من ايقاد النار لئلا يرى العدو قلتهم فيطمع فيهم ونهيتهم عن اتباع العدو لئلا يكون

له كمين وصليت جنباً لان الله يقول (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وان أنا اغتسلت هلكت فتبسم عليه السلام وأثنى على عمرو خيراً

سرية

وفي رجب أرسل عليه السلام أبا عبيدة عامر بن الجراح في ثلاثمائة فارس لغزو قبيلة جهينة التي تسكن ساحل البحر وزود عليه السلام هـذا الجيش جراباً من التمر فساروا حتى اذا وصلوا الساحل أقاموا فيه نحو نصف شهر ينتظرون العدو وقد فني زادهم حتى أكلوا الخبط وهو ورق السمر يبلونه بالماء ويأكلونه الى أن تقرحت أشداقهم وكان في القوم الكريم ابن الكريم قيس بن سعد بن عبادة فنحر لهم ثلاث جزر في كل يوم جزور وفي اليوم الرابع أراد أن ينحر فنهاه رئيسه أبو عبيدة لان قيساً كان أخذ تلك الجزر بدين على أبيه فخاف أبو عبيدة أن لا يفي له أبوه بما استدان فقال قيس أترى سعداً يقضي ديون الناس ويطعم في المجاعة ولا يقضي ديناً استدنته لقوم مجاهدين في سبيل الله ولما يئسوا من لقاء عدوهم رجعوا الى المدينة فقال قيس ابن سعد لابيه كنت في الجيش فجاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نهيت

غزوة الفتح الاعظم

اذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه وأزال موانعه فقد كان عليه السلام يعلم أنه لا تذل العرب حتى تذل قريش ولا تنقاد البلاد حتى تنقاد مكة فكان يتشوف لفتحها ولكن كان يمنعه من ذلك العهود التي أعطاها قريشاً في الحديبية وهو سيد من وفى ولكن اذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه فقد علمت أن قبيلة خزاعة دخلت في عهد رسول الله وقبيلة بكر دخلت في عهد قريش وكان بين خزاعة وبكر دماء في الجاهلية كمنت نارها بظهور الاسلام فلما حصلت الهدنة وقف رجل من بكر يتغنى بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على مسمع من رجل خزاعي فقام هذا وضربه فحرك ذلك كامن الاحقاد وتذكر بنو بكر ثارهم فشدوا العزيمة لحرب خصومهم واستعانوا بأوليائهم من قريش فأعانوهم سراً بالعدة والرجال ثم توجهوا الى خزاعة وهم آمنون فقتلوا منهم ما يربوا على العشرين ولما رأى ذلك حلفاء السيد الأمين ارسلوا منهم وفداً برياسة عمرو بن سالم الخزاعي ليخبر رسول الله بما فعل بهم بنو بكر وقريش فلما حلوا بين يديه واخبروه الخبر قال والله لامنعنكم مما امنع منه نفسي اما قريش فانهم لما رأوا ان ما عملوه نقض للعهود التي اخذت عليهم ندموا على ما فعلوا وارادوا مداواة هذا الجرح فارسلوا قائدهم ابا سفيان بن

حرب الى المدينة ليشد العقد ويزيد في المدة فركب راحلته وهو يظن انه لم يسبقه احد حتى اذا جاء المدينة نزل على ام المؤمنين ام حبيبة بنته وقد اراد ان يجلس على فراش رسول الله فطوته عنه فقال يا بنية أرغبت به عني ام رغبت بي عنه فقالت ما كان لك ان تجلس على فراش رسول الله وانت مشرك نجس فقال لها لقد اصابك بعدي شر ثم خرج من عندها واتى النبي في المسجد وعرض عليه ما جاء له فقال عليه السلام هل كان من حدث قال لا فقال عليه السلام فنحن على مدتنا وصلحنا ولم يزد عن ذلك فقام ابو سفيان ومشى الى اكابر المهاجرين من قريش علهم يساعدونه على مقصده فلم يجد منهم معيناً وكلهم قالوا جوارنا في جوار رسول الله فرجع الى قومه ولم يصنع شيئاً فاتهموه بانه خانهم واتبع الاسلام فتنسك عند الاوثان لينفي عن نفسه هذه التهمة (اما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فتجهز للسفر وامر اصحابه بذلك واخبر الصديق بالوجهة فقال له يا رسول الله او ليس بينك وبين قريش عهد قال نعم ولكن غدروا ونقضوا ثم استنفر عليه السلام الاعراب الذين حول المدينة وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة فقدم جمع من قبائل اسلم وغفار ومزينه واشجع وجهينة وطوى عليه السلام الاخبار عن الجيش كيلا يشيع الامر فتعلم قريش فتستعد للحرب والرسول عليه السلام لا يريد ان يقيم حرباً بمكة بل يريد

انقياد اهلها مع عدم المساس بحرمتها فدعا مولاه جل ذكره وقال (اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها) فقام حاطب بن ابي بلتعة احد الذين شهدوا بدرا وكتب كتاباً لقريش يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وارسله مع جارية لتوصله الى قريش على جعل فاعلم الله رسوله ذلك فارسل في اثرها علياً والزبير والمقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقوا حتى اتوا الروضة فوجدوا بها المرأة فقالوا لها أخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فقالوا لتخرجن الكتاب او لنلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فاتوا به رسول الله فقال عليه السلام يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل على اني كنت حليفاً لقريش ولم اكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون اهليهم واموالهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ولم افعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال عليه السلام اما انه قد صدقكم فقال عمر دعني يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وفي ذلك انزل الله في سورة الممتحنة (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون

الرسول وايا كم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) ثم سار عليه السلام بهذا الجيش العظيم في منتصف رمضان بعد ان ولى على المدينـــة ابن ام مكتوم وكانت عدة الجيش عشرة آلاف مجاهد ولما وصل الابواء لقيه اثنان كانا من اشد اعدائه وهما ابن عمه ابو سفيان بن الحارث بن عبـد المطلب شقيق عبيدة بن الحارث شهيد بدر وصهره عبد الله بن ابي امية بن المغيرة شقيق زوجه ام سلمة وكانا يريدان الاسلام فقبلهمـا عليه السلام وفرح بهما شديد الفرح وقال (لا تثريب عليـكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين) ولما وصل عليه السلام الكديد رأى ان الصوم شق على المسلمين فأمرهم بالفطر وافطر هو ايضاً وقد قابل عليه السلام في الطريق عمه العباس بن عبد المطلب مهاجراً بأهله وعياله فامره بان يعود معه الى مكة ويرسل عياله الى المدينــة ولما وصل عليه السلام مر الظهران امر بايقاد عشرة آلاف نار وكان قريش قد بلغهم ان محمداً زاحف بجيش عظيم لا تدري وجهتــه فارسلوا ابا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله فاقبلوا يسيرون حتى اتوا مرّ الظهران فاذا هم بنيران كأنها نيران عرفة فقال ابو سفيان ما هذه لكأنها نيران عرفة فقال بديل بن ورقاء نيران بني عمرو فقال ابو سفيان عمرو

اقل من ذلك فرآهم ناس من حرس رسول الله فادركوهم فاخذوهم فاتوا بهم رسول الله فاسلم ابو سفيان فلما سار قال للعباس احبس ابا سفيان عند حطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان وهو يسأل عنها ويقول مالي ولها حتى اذا مرت به قبيلة الانصار وحامل رايتها سعد بن عبادة فقال سعد يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار ثم جاءت كتيبة وهي اقل الكتائب فيها رسول الله واصحابه وحامل الراية الزبير بن العوام فأخبر ابو سفيان رسول الله بمقالة سعد فقال عليه السلام كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسي فيه الكعبة ثم امر عليه السلام ان تركز رايته بالحجون (١) وامر خالد بن الوليد ان يدخل من اسفل مكة من كدى (٢) ودخل هو من اعلاها من كداء ونادى مناديه من دخل داره واغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن وهذه اعظم منفعة له واستثنى من ذلك جماعة عظمت ذنوبهم وآذوا الاسلام واهله عظيم الاذى فاهدر دمهم وان تعلقوا باستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن ابي صرح الذي اسلم

---

(١) جبل بمعلاه مكة (٢) كدى كقرى جبل مسفلة مكة على طريق اليمن وكداء كسحاب جبل بأعلى مكة

وكتب لرسول الله الوحي ثم ارتد وافترى الكذب على الامين المأمون فكان يقول ان محمداً كان يأمرني ان اكتب عليم حكيم فاكتب غفور رحيم فيقول كل جيد ومنهم عكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية وهبار بن الاسود والحارث بن هشام وزهير بن ابي امية وكعب ابن زهير ووحشي قاتل حمزة وهند بنت عتبة زوج ابي سفيان وقليل غيرهم ونهى عن قتل احد سوى هؤلاء الا من قاتل (فأما) جيش خالد بن الوليد فقابله الذعر من قريش يريدون صده فقاتلهم وقتل منهم اربعة وعشرين وقتل من جيشه اثنان ودخلها عنوة من هذه الجهة (واما) جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يصادف مانعاً وهو عليه السلام راكب راحلته منحن على الرحل تواضعاً لله وشكراً له على هذه النعمة حتى تكاد جبهته تمس الرحل واسامة بن زيد رديفه وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان حتى وصل الى الحجون موضع رايته وقد نصبت له هناك قبة فيها ام سلمة وميمونة فاستراح قليلا ثم سار وبجانبه ابو بكر يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح حتى البيت وطاف سبعاً على راحلته واستلم الحجر بمحجنه وكان حول الكعبة اذ ذاك ثلاثمائة وستون صنماً فجعل عليه السلام يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل وما يبدئ الباطل وما يعيد ثم امر بالآلهة فأخرجت من البيت وفيها صورة اسماعيل وابراهيم في ايديهما الازلام فقال عليه السلام قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط وهذا

اول يوم طهرت فيه الكعبة من هذه المعبودات الباطلة و بطهارة الكعبة المقدسة عند جميع العرب باديها وحاضرها من هذه الادناس سقطت عبادة الاوثان من جميع بلاد العرب الا قليلاً ويوشك أن نذكر للقارئ اختفاء آثارها ومحو عبادتها بالكلية

العفو عند المقدرة

ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة وكبر في نواحيها ثم خرج الى مقام ابراهيم وصلى فيه ثم شرب من زمزم وجلس في المسجد والناس حوله والعيون شاخصة اليه ينتظرون ما هو فاعل بمشركي قريش الذين آذوه واخرجوه من بلاده وقاتلوه ولكن هنا تظهر مكارم الاخلاق التي يلزم ان يتعلم منها المسلم ان يكون رضاه وغضبه لله لا لهوى النفس. فقال عليه السلام يا معشر قريش ما تظنون اني فاعل بكم قالوا خير أخ كريم وابن أخ كريم فقال عليه السلام اذهبوا فانتم الطلقاء ويرحم الله الامام البوصيري حيث قال

واذا كان القطع والوصل للـ	ـه تساوي التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما اتاه	من سواه الملام والاطراء
ولو ان انتقامه لهوى النفـ	ـس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله في الامور فأرضى الـ	ـله منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينضـ	ـح الا بما حواه الاناء

ثم خطب عليه السلام خطبة ابان فيها كثيراً من الاحكام الاسلامية منها ان لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها والبينة على من ادعى واليمين على من انكر ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام الا مع ذي محرم ولا صلاة بعد الصبح والعصر ولا يصام يوم الاضحى ويوم الفطر ثم قال يا معشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) ثم شرع الناس يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وممن أسلم في هذا اليوم معاوية بن أبي سفيان وابو قحافة والد الصديق وقد فرح الرسول كثيراً باسلامه وجاءه رجل يرتعد خوفاً فقال له عليه السلام (هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد)

اما الذين أهدر رسول الله دمهم فقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت فمنهم من حقت عليه كلمة العذاب فقتل ومنهم من ادركته عناية الله فأسلم فعبد الله بن سعد بن أبي سرح لجأ الى اخيه من الرضاع عثمان بن عفان وطلب منه ان يستأمن له رسول الله فغيبه عثمان حتى هدأ الناس ثم اتى به النبي وقال يا رسول الله قد امنته فبايعه فاعرض عنه عليه السلام مراراً ثم بايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال عليه السلام

اعرضت عنه ليقوم اليه احدكم فيضرب عنقه فقالوا هلا اشرت الينا فقال (لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين) (واما) عكرمة بن ابي جهل فهرب فخرجت وراءه زوجته وبنت عمه ام حكيم بنت الحارث بن هشام وكانت قد اسلمت قبل الفتح وقد اخذت له اماناً من رسول الله فلحقته وقد اراد ان يركب البحر فقالت جئتك من عند ابر الناس وخيرهم لا تهلك نفسك واني قد استأمنته لك فرجع ولما رآه عليه السلام وثب قائماً فرحاً به وقال مرحباً بمن جاءنا مهاجراً مسلماً ثم اسلم رضي الله عنه وطلب من رسول ان يستغفر له كل عداوة عاداها اياه فاستغفر له وكان رضي الله عنه بعد ذلك من خيرة المسلمين واغيرهم على الاسلام (واما) هبار بن الاسود فهرب واختفى حتى اذا كان رسول الله بالجعرّانة (١) جاءه مسلماً وقال يارسول الله هربت منك واردت اللحاق بالاعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمن جهل عليك وكنا يا رسول الله اهل شرك فهدانا الله بك وانقذنا من الهلكة فاصفح الصفح الجميل فقال عليه السلام قد عفوت عنك واما الحارث بن هشام وزهير بن ابي امية المخزومي فاجارتهما ام هاني بنت ابي طالب فاجاز عليه السلام جوارها

---

(١) موضع بين مكة والطائف وبعضهم يضبطه بسكون العين وفتح الراء مخففة

ولما قابل رسول الله الحارث بن هشام مسلماً قال له الحمد لله الذي هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام وقد كان بعد ذلك من فضلاء الصحابة (واما) صفوان بن امية فاختفى واراد ان يذهب ويلقي نفسه في البحر فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحي وقال يا نبي الله ان صفوان سيد قومه وقد هرب ليقذف نفسه في البحر فامنه فانك قد امنت الاحمر والاسود فقال عليه السلام ادرك ابن عمك فهو آمن. فقال اعطني علامة فاعطاه عمامته فاخذها عمير حتى اذا لقي صفوان قال له فداك ابي وامي جئتك من عند افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس وهو ابن عمك وعزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال صفوان اني اخافه على نفسي قال هو احلم من ذلك واكرم واراه العمامة علامة الامان فرجع الى رسول الله وقال له إن هذا يزعم انك امنتني قال صدق قال امهلني بالخيار شهرين قال اربعة اشهر ثم اسلم رضي الله عنه وحسن اسلامه (واما) هند بنت عتبه فاختفت ثم اسلمت وجاءت الى رسول الله فرحب بها فقالت له والله يا رسول الله ما كان على ظهر الارض اهل خباء احب الى ان يذلوا من اهل خبائك ثم ما اصبح اليوم اهل خباء احب الى ان يعزوا من اهل خبائك



وفود كعب بن زهير

(واما) كعب بن زهير فلما ضاقت به الارض ولم يجد له مجيراً جاء المدينة بعد ان قدمها رسول الله من مكة فأسلم وانشد قصيدته التي يقول فيها

وقال كل صديق كنت آمله — لا الهينَّك اني عنك مشغولُ
فقلت خلوا سبيلي لا ابا لكمُ — فكل ما قدر الرحمن مفعولُ
كل ابن انثى وان طالت سلامته — يوماً على آلة حدباء محمول
انبئت ان رسول الله اوعدني — والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي اعطاك نافلة الـ — قرآن فيها مواعيظٌ وتفصيلُ

وقال فيها مادحاً

ان الرسول لسيفٌ يستضاء به — مهند من سيوف الله مسلولُ

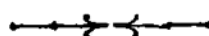
ولما قال هذا البيت خلع عليه الرسول بردته (واما) وحشي قاتل حمزة فكذلك اسلم وحسن اسلامه وقبله عليه الصلاة والسلام وقد جاءه ابنا ابي لهب عتبة ومعتب فأسلما وفرح بهما عليه السلام

وكان من الذين اختفوا سهيل بن عمرو فاستأمن له ابنه عبد الله فأمنه عليه السلام وقال ان سهيلاً له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام فلما بلغت هذه المقالة سهيلا قال كان والله برًّا صغيرا برا كبيرا ثم اسلم بعد ذلك

بيعة النساء

هذا ولما تمت بيعة الرجال بايعه النساء وكنَّ يبـايعنَ على الا يشركنَ بالله شيئاً ولا يسرقنَ ولا يزنينَ ولا يقتلنَ اولادهنَّ ولا يأتينَ ببهتان يفترينهُ بينَ ايديهنَّ وارجلهنَّ ولا يعصين الرسول في معروف (ثم) امر عليه السلام بلالا ان يؤذن على ظهر الكعبة وهذا بدء ظهور الاسلام على ظهر البيت الكريم فلا عجب ان اتخذ المسلمون هذا اليوم عيداً يحمدون فيه الله حق حمده على هذه النعمة الكبرى والنصر العظيم

واقام عليه السلام بمكة بعـد فتحها تسعة عشر يوماً يقصر فيها الصلاة وولى عليها عتاب بن اسيد وجعل رزقه كل يوم درهماً فكان عتاب رضي الله عنه يقول لا اشبع الله بطناً جاع على درهم كل يوم



هدم العزى

(وفي الخامس) من مقامه عليه السلام بمكة ارسل خالد بن الوليد في ثلاثين فارساً لهـدم هيكل العزى وهي اكبر صنم لقريش وكان هيكلها ببطن نخلة فتوجه اليها خالد وهدمها



هدم سواع

(وارسل عليه السلام) عمرو بن العاص لهدم سواع وهو اعظم صنم لهذيل وهيكله على ثلاثة اميال من مكة فذهب اليه وهدمه

هدم مناة

(وبعث) سعد بن زيد الاشهلي في عشرين فارساً لهدم مناة وهي صنم لكلب وخزاعة وهيكلها بالمشلل وهو جبل على ساحل البحر يهبط منه الى قديد فتوجهوا اليها وهدموها

غزوة حنين

بهذا الفتح العظيم وسقوط دولة الاوثان دانت للاسلام جموع العرب ودخلوا فيه أفواجاً أما قبيلتا هوازن وثقيف فأدركتهما حمية الجاهلية واجتمع الاشراف منهم للشورى وقالوا قد فرغ محمد من قتال قومه ولا ناهية له عنا فلنغزه قبل ان يغزونا فاجمعوا امرهم على ذلك وولوا رياستهم مالك بن عوف النصري فاجتمع له من القبائل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر الذين كان رسول الله مسترضعاً فيهم وكان في القوم دريد بن الصمة المشهور باصالة الرأي وشدة الباس في الحرب ولتقدم سنه لم يكن له في هذه الحرب الا الرأي ثم

ان مالك بن عوف امر الناس ان يأخذوا معهم نساءهم وذراريهم وأموالهم فلما علم بذلك دريد سأل مالكاً عن السبب فقال سقت مع الناس أموالهم وذراريهم ونساءهم لاجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنه فقال دريد وهل يرد المنهزم شيء ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت في أهلك ومالك فلم يقبل مالك مشورته وجعل النساء صفوفاً وراء المقاتلة ووراءهم الابل ثم البقر ثم الغنم كيلا يفر أحد من المقاتلين (أما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما بلغه ان هوازن وثقيف يستعدون لحربه أجمع رأيه على المسير اليهم وخرج معه اثنا عشر ألف غاز منهم الفان من أهل مكة والباقون هم الذين أتوا معه من المدينة وخرج أهل مكة ركباناً ومشاة حتى النساء يمشين من غير ضعف يرجون الغنائم وخرج في الجيش ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو ولما قرب الجيش من معسكر العدو صف عليه السلام الغزاة وعقد الالوية فأعطى لواء المهاجرين لعلي بن أبي طالب ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ولواء الاوس لاسيد بن حضير وكذلك أعطى ألوية لقبائل العرب الاخرى ثم ركب عليه السلام بغلته ولبس درعين والبيضة والمغفر . هذا وقد أعجب المسلمون بكثرتهم فلم تغن عنهم شيئاً فان مقدمة المسلمين توجهت جهة العدو فخرج لهم كمين كان مستترا في شعاب الوادي ومضايقه وقابلهم بنبل كانه الجراد المنتشر فلووا أعنة خيلهم متقهقرين

ولما وصلوا الى من قبلهم تبعوهم في الهزيمة لما لحقهم من الدهشة أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت على بغلته في ميدان القتال وثبت معه قليل من المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث وأخوه ربيعة بن الحارث ومعتب بن أبي لهب وكان العباس آخذاً بلجام البغلة وأبو سفيان آخذاً بالركاب وكان عليه السلام ينادي الى أيها الناس ولا يلوى عليه احد وضاقت بالمنهزمين الارض بما رحبت أما رجال مكة الذين هم حديثو عهد بالاسلام والذين لم ينزعوا عنهم ربقة الشرك فمنهم من فرح ومنهم من ساءه هذا الادبار فقال أبو سفيان بن حرب لا تنتهي هزيمتهم دون البحر وقال أخ لصفوان بن أمية الآن بطل السحر فقال له صفوان وهو على شركه اسكت فض الله فاك والله لان يربني رجل من قريش خير من ان يربني رجل من هوازن ومر عليه رجل من قريش وهو يقول أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونها ابداً فغضب صفوان وقال ويلك أتبشرني بظهور الاعراب وقال عكرمة بن أبي جهل لذلك الرجل كونهم لا يجبرونها أبداً ليس بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شيء أن أديل عليه اليوم فان العاقبة له غدا فقال سهيل بن عمرو الله ان عهدك بخلافه لحديث فقال له يا أبا يزيد انا كنا على غير شيء وعقولنا ذاهبة نعبد حجراً لا يضر ولا ينفع (وبلغت) هزيمة بعض الفازين مكة كل هذا ورسول الله واقف مكانه يقول انا النبي لا كذب

أنا ابن عبد المطلب ثم قال للعباس وكان جهوري الصوت ناد بالانصار يا عباس فنادى يا معشر الانصار يا أصحاب بيعة الرضوان فاسمع من في الوادي وصار الانصار يقولون لبيك لبيك ويريد كل واحد منهم ان يلوي عنان بعيره فيمنعه من ذلك كثرة الاعراب المنهزمين فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه وينزل عن بعيره ويخلي سبيله ويؤم الصوت حتى اجتمع حول رسول الله جمع عظيم منهم وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم يروها فكرّ المسلمون على عدوهم يداً واحدة فانتكث فتل المشركين وتفرقوا في كل وجه لا يلوون على شيء من الاموال والنساء والذراري وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فأخذوا النساء والذراري وأسروا كثيراً من المحاربين وهرب من هرب وجرح في هذا اليوم خالد بن الوليد جراحات بالغة وأسلم ناس كثيرون من مشركي مكة لما رأوه من عناية الله بالمسلمين .

(هذا) والذي حصل في هذه الغزوة درس مهم من دروس الحرب فان هذا الجيش دخله أخلاط كثيرون من مشركين وأعراب وحديثي عهد بأسلام وهؤلاء سيان عندهم نصر الاسلام وخذلانه ولذلك بادروا لاول صدمة الى الهزيمة وكادت تتم الكلمة على المسلمين لولا فضل الله فلا ينبغي أن يكون في الجيش الا من يقاتل خالصاً مخلصاً من قلبه ليكون مدافعاً حقا عن دينه فلا تميل نفسه الى الفرار

خشية ما أعده الله للفارين من أليم العقاب

ثم أمر عليه السلام بجمع السبي والغنائم وكانت نحو أربعة وعشرين ألف بعير واكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية من الفضة فجمع ذلك كله بالجعرانة (أما) المشركون فتفرقوا ثلاث فرق فرقة لحقت بالطائف وفرقة لحقت بنخلة وفرقة عسكرت بأوطاس (١)

سرية

فأرسل عليه السلام لهذه الفرقة أبا عامر الاشعري في جماعة منهم أبو موسى الاشعري فسار اليهم وبددهم وظفر بما بقي معهم من الغنائم وقد استشهد أبو عامر في هذه الغزوة وخلف على الغزاة ابن أخيه أبا موسى فرجع ظافراً منصوراً

غزوة الطائف

(وسار) عليه السلام بمن معه الى الطائف ليجهز على بقية حياة ثقيف ومن تجمع معهم من هوازن وجعل على مقدمته خالد بن الوليد ومر عليه السلام بحصن لعوف بن مالك النصري فأمر بهدمه ومر ببستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فأرسل اليه أن اخرج والا حرقنا عليك

(١) واد بديار هوازن

بستانك فامتنع الرجل فأمر عليه السلام بحرقه ولما وصل المسلمون الى الطائف وجدوا الأعداء قد تحصنوا به وادخلوا معهم قوت سنتهم فعسكر المسلمون قريب الحصن فرماهم المشركون بالنبل رمياً شديداً حتى أصيب منهم كثيرون بجراحات منهم عبد الله بن أبي بكر وقد طاوله جرحه حتى أماته في خلافة أبيه ومنهم أبو سفيان بن حرب ففقئت عينه وقد مات بالجراحات اثنا عشر رجلا من المسلمين ولما رأى رسول الله أن العدو متمكن من رميهم ارتفع محل مسجد الطائف الآن وضرب لام سلمة وزينب قبتان هناك واستمر الحصار ثمانية عشر يوماً كان فيها ينادي خالد ابن الوليد بالبراز فلم يجبه أحد وناداه عبد يا ليل عظيم ثقيف لا ينزل اليك منا أحد ولكن نقيم في حصننا فان فيه من الطعام ما يكفينا سنين فان أقمت حتى يفنى هذا الطعام خرجنا اليك بأسيافنا جميعاً حتى نموت عن آخرنا فأمر عليه السلام بأن ينصب عليهم المنجنيق فنصب ودخل جمع من الاصحاب تحت دبابتين (١) لينقبوا الحصن فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار حتى أرجعوهم فأمر عليه السلام ان تقطع أعنابهم ونخيلهم فقطع المسلمون فيها قطعاً ذريعاً فناداه أهل الحصن ان دعها لله وللرحم فقال ادعها لله وللرحم ثم امر من ينادي

---

(١) الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينقبون وهم في جوفها

بأن كل من ترك الحصن ونزل فهو آمن فخرج اليه بضعة عشر رجلاً
(ولما) رأى عليه السلام ان تمنع ثقيف شديد وان الفتح لم يؤذن
فيه استشار نوفل بن معاوية الديلي في الذهاب او المقام فقال يا رسول
الله ثعلب في حجر ان اقمت اخذته وان تركته لم يضرك فامر عليه
السلام بالرحيل وطلب منه بعض الصحابة ان يدعو على ثقيف فقال
(اللهمّ اهد ثقيفاً وائت بهم مسلمين)

تقسيم السبي

ثم رجع عليه السلام الى الجعرانة حيث ترك السبي فاحصاه
وخمسه واعطي منه شيئاً كثيراً لاناس ضعف اسلامهم يتألفهم بذلك
واعطى اناساً لم يسلموا ليحببهم في الاسلام ومن الاولين ابو سفيان
اعطاه اربعين اوقيه من الذهب ومائة من الابل وكذلك ابناه معاوية
ويزيد فقال له بأبي انت وأمي لانت كريم في السلم والحرب ومنهم
حكيم بن حزام اعطاه كأبي سفيان فاستزاده فاعطاه مثلها ثم استزاده
فاعطاه مثلها وقال يا حكيم (ان هذا المال خضرة حلوة فمن اخذه
بسخاوة نفس بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه
وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى) فاخذ
حكيم المائة الاولى وترك ما عداها ثم قال والذي بعثك بالحق لا ارزأ
احداً بعدك شيئاً حتى افارق الدنيا فكان الخلفاء بعد رسول الله

يعرضون عليه العطاء الذي يستحقه من بيت المال فلا يأخذه واعطى عليه السلام عيينة بن حصن مائة من الابل وكذلك الاقرع بن حابس والعباس بن مرداس واعطى صفوان بن امية شعباً مملوءاً نعماً وشاء كان رآه يرمقه فقال له هل يعجبك هذا قال نعم قال هو لك فقال صفوان ما طابت بمثل هذا نفس احد وكان ذلك سبب اسلامه وكان عليه السلام يقصد من هذه العطايا تأليف القلوب وجمعها على الدين القويم وهذا ضرب من ضروب السياسة الدينية حتى جعل من الصدقات قسم للمؤلفة قلوبهم وقد عاد ذلك بفائدة عظمى فان كثيرين ممن اعطوا في هذا اليوم ولم يكونوا اشربوا في قلوبهم حب الاسلام صاروا بعد من اجلاء المسلمين واعظمهم نفعاً كصفوان بن امية ومعاوية بن ابي سفيان والحارث بن هشام وغيرهم (ثم) امر عليه السلام زيد بن ثابت فاحصى ما بقي من الغنائم وقسمه على الغزاة بعد ان اجتمع اليه الاعراب وصاروا يقولون له اقسم علينا حتى الجوءه الى شجرة فخطفت رداءه فقال (ردوا ردائي ايها الناس فوالله ان كان لي شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما الفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كدوداً) ثم قام الى بعيره واخذ وبرة من سنامه (وقال ايها الناس والله ما لي من غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم فادوا الخياط والمخيط فان الغلول (١) يكون على اهله عاراً

(١) الاختلاس من الغنيمة

وشناراً وناراً يوم القيامة) فصار كل من اخذ شيئاً من الغنائم خلسة برده ولو كان زهيداً ثم شرع يقسم فاصاب الراجل اربعة من الابل واربعون شاة والفارس ثلاثة امثال ذلك فقال رجل من المنافقين هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فغضب عليه السلام حتى احمر وجهه وقال (ويحك من يعدل اذا لم اعدل) فلم يؤده غضبه ان ينتقم لنفسه حاشاه عليه السلام من ذلك بل لم يزد على ان نصح وحذر وقال له عمر وخالد بن الوليد دعنا يا رسول الله نضرب عنقه فقال لا لعله ان يكون يصلي فقال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال عليه السلام اني لم أومر ان انقب عن قلوب الناس ولا اشق عن بطونهم (ولما) اعطى رسول الله ما اعطى من تلك العطايا لقريش وقبائل العرب وترك الانصار غضب بعضهم حتى قالوا ان هذا لهو العجب يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فبلغه ذلك فامر بجمعهم وليس معهم غيرهم فلما اجتمعوا قال يا معشر الانصار ما مقالة بلغتني عنكم الم اجدكم ضلالاً فهداكم الله بي وعالة (١) فاغناكم الله بي وأعداء فألف الله بين قلوبكم بي ان قريشاً حديثو عهد بكفر ومصيبة واني اردت ان اجبرهم واتألفهم اغضبتم يا معشر الانصار في انفسكم لشيء قليل من الدنيا ألفت به قوماً ليسلموا ووكلتكم الى

---

(١) جمع عائل وهو الفقير

اسلامكم الثابت الذي لا يزلزل الا ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحلكم فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعباً وسلك الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار) فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسماً وحظاً ثم انصرف عليه السلام وتفرقوا

وفود هوازن

و بعد بضع عشرة ليلة جاءه عليه السلام وفد هوازن برأسهم زهير ابن صرد وقالوا يا رسول الله ان فيمن أصبتم الامهات والعمات والخالات وهن مخازى الاقوام ونرغب الى الله واليك يا رسول الله وقال زهير ان في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ثم قال أبياتاً يستعطفه بها

امنن علينا رسول الله في كرم ... فانك المرء نرجوه وننتظرُ
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... اذ فوك مملوءة من محضها الدررُ
انا لنشكر للنعماء ان كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخرُ
انا نؤمل عفواً منك نلبسه ... هدى البرية أن تعفو وتنتصر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه ... من امهاتك ان العفو مشتهر

فقال عليه السلام ان أحب الحديث اليّ أصدقه فاختاروا احدى

الطائفتين اما السبي واما المال وقد كنت انتظرتكم حتى ظننت انكم لا تقدمون فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئاً اردد علينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال عليه السلام أما مالي ولبني عبد المطلب فهو لكم فاذا أنا صليت الظهر فقوموا وقولوا نحن نستشفع برسول الله الى المسلمين و بالمسلمين الى رسول الله بعد ان تظهروا اسلامكم وتقولوا نحن اخوانكم في الدين ففعلوا فقال عليه السلام لاصحابه (أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين واني قد رأيت ان أرد عليهم سبيهم فمن أحب أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم ان يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله وامتنع من ذلك جماعة من الاعراب كالاقرع ابن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس فأخذه الرسول منهم قرضا وأمر عليه السلام بأن تحبس عائلة مالك بن عوف النصري رئيس تلك الحرب بمكة عند عمتهم ام عبد الله بن ابي امية فقال له الوفد اولئك ساداتنا فقال عليه السلام انما اريد بهم الخير ثم سأل عن مالك فقالوا هرب مع ثقيف فقال اخبروه انه ان جاءني مسلماً رددت عليه اهله وماله واعطيته مائة من الابل فلما بلغ ذلك مالكا نزل من الحصن خفية حتى اتى رسول الله بالجعرانة فأسلم واحرز ماله واهله واستعمله عليه السلام على من اسلم من هوازن

عمرة الجعرانة

(ثم) ان الرسول صلى الله عليه وسلم اعتمر فأحرم من الجعرانة ودخل مكة بليل فطاف واستلم الحجر ثم رجع من ليلته وكانت اقامته بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ثم امر عليه السلام بالرحيل فسار الجيش آمناً مطمئناً حتى دخل المدينة لثلاث بقين من ذي القعدة

وغزوة حنين هي التي فرق الله بهـا جموع الشرك وادال دولته وافقد سراة اهله فان هوازن لم تترك وراءهـا رجلا تمكنه الحرب الاساقته ولم تترك لها بعيراً ولا شاة الا جاءت به معها فأراد الله اعزاز الاسلام بخذلان اعدائه واخذ اموالهم فانكسرت حدة المشركين ولم يبق فيهم من يمانع او يدافع ولذلك يمكننا ان نقول ان انكسار هوازن كان خاتمة لحروب العرب فلم يبق فيهم الافئات قليلة يسوقهم الطيش الى اشهار السلاح ثم لا يلبثون ان يغمدوا السيوف حينما تظهر لهم قوة الحق الساطعة

سرية

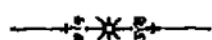
ولما رجع عليه السلام الى المدينة أرسل قيس بن سعد في أر بعمائة ليدعو صداء (قبيلة تسكن اليمن) الى الاسلام فجاء الى رسول الله

رجل منهم فقال يا رسول الله اني جئتك وافداً عمن ورائي فاردد الجيش وأنا لك بقومي فأمر عليه السلام برد الجيش



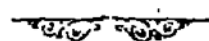
وفود صداء

وخرج الرجل الى قومه فقدم بخمسة عشر رجلاً منهم فنزلوا ضيوفاً على سعد بن عبادة ثم بايعوا رسول الله على الاسلام وقالوا نحن لك على من وراءنا من قومنا ولما رجعوا فشا فيهم الاسلام وقدم على رسول الله منهم مائة في حجة الوداع



سرية

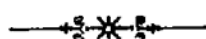
ثم أرسل عليه السلام بشر بن سفيان العدوي الى بني كعب من خزاعة لاخذ صدقات أموالهم فمنعهم بنو تميم المجاورون لهم من أداء ما فرض عليهم فلما علم بذلك رسول الله أرسل اليهم عيينة بن حصن في خمسين فارساً من الاعراب فجاءهم وحاربهم وأخذ منهم أحد عشر رجلاً واحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبياً وتوجه بالكل الى المدينة فأمر عليه السلام بجعلهم في دار رملة بنت الحارث



وفود تميم

فجاء في أثرهم وفد تميم فيه عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم فجلسوا ينتظرون الرسول فلما أبطأ عليهم نادوا من وراء الحجرات بصوت جاف يا محمد اخرج الينا نفاخرك فان مدحنا زين وان ذمنا شين فخرج اليهم عليه السلام وقد تأذى من صياحهم وفيهم نزل في أوائل سورة الحجرات (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم) وكان الوقت وقت الظهر فأذن بلال ودخل النبي للصلاة فتعلقوا به يقولون نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال لهم عليه السلام (ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا) ثم صلى الظهر واجتمع حوله رجال الوفد يتفاخرون بمجدهم ومجد آبائهم وقد مدح عمرو بن الاهتم الزبرقان بن بدر فقال انهُ لمطاع في أنديته سيد في عشيرته فقال الزبرقان حسدني يا رسول الله لشرفي وقد علم أفضل مما قال فقال عمرو انه نزمن المروءة ضيق العطن لئيم الخال فروئي الغضب في وجه رسول الله لاختلاف قولي عمرو فقال يا رسول الله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الثانية رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أسوأ ما علمت فقال عليه السلام (ان من البيان لسحرا) ثم اسلم القوم فرد النبي عليه

السلام عليهم اسراهم واحسن جائزتهم واقاموا مدة يتعلمون فيها القرآن ويتفقهون في الدين



سرية

ثم بعث عليه السلام الوليد بن عقبة بن ابي معيط لاخذ صدقات بني المصطلق فلما علموا بقدومه خرج منهم عشرون رجلاً متقلدين سلاحهم احتفالاً بقدومه ومعهم ابل الصدقة فلما نظرهم ظنهم يريدون حربه لما كان بينه وبينهم من العداوة في الجاهلية فرجع مسرعاً الى المدينة واخبر الرسول ان القوم ارتدوا ومنعوا الزكاة فارسل اليهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر فسار اليهم في عسكره خفية حتى اذا كان بناديهم سمع مؤذنهم يؤذن بالصبح فاتاهم خالد فلم يرَ منهم الا طاعة فرجع واخبر الرسول فارسل عليه السلام لهم غير الوليد لاخذ الصدقات وفي الوليد نزل في اوائل الحجرات (يا ايها الذين آمنو ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)



سرية

ثم بلغ رسول الله ان جمعاً من الحبشة رآهم اهل جدة في مراكبهم يريدون الاغارة عليها فارسل لهم علقمة بن مجزز في ثلاثمائة فذهب

جتى وصل جدة ونزل في المراكب ليدركهم وكان الاحباش متحصنين في جزيره هناك فلما رأو المسلمين يريدونهم هربوا ولم يلق المسلمون كيداً فرجع علقمة بمن معه ولما كان بالطريق أذن لسرعان القوم ان يتعجلوا وامر عليهم عبد الله بن حذافة السهمي وكان فيه دعابة فاوقد لهم في الطريق ناراً وقال لهم الستم مأمورين بطاعتي قالوا نعم قال عزمت عليكم الا ما تواثبتم في هذه النار فقال بعضهم ما اسلمنا الا فراراً من النار وهم بذلك بعضهم فمنعهم عبد الله وقال كنت مازحاً فلما ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ قال (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)



السنة التاسعة

سرية

في ربيع الاول ارسل عليه السلام علي بن ابي طالب في خمسين فارساً لهدم الفلس (صنم لطيء) فسار اليه وهدمه واحرقه ولما حارب عباده هزمهم واستاق نعمهم وشاءهم وسبيهم وكان فيه سفَّانة بنت حاتم طيء ولما رجع علي الى المدينة طلبت سفانة من رسول الله ان يمن عليها فاجابها لانه كان من سننه ان يكرم الكرام فدعت له وكان من دعائها (شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر واصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة كريم الا وجعلك سبباً لردها عليه) وكانت

هذه المعاملة من رسول الله سبباً في اسلام اخيهـا عدى ابن حاتم الطائي الذي كان فر الى الشام عند ما رأى الرايات الاسلامية قاصدة بلاده . وكان من حديث مجيئه ان اخته توجهت اليه بالشام واخبرته بما عوملت به من الكرم فقال لها ما ترين في امر هذا الرجل فقالت ارى ان تلحق به سريعاً فان يكن نبياً فللسابق اليه فضل وان يكن ملكاً فانت انت فقال والله هذا هو الرأي

وفود عدى بن حاتم

فخرج حتى جاء المدينة ولقى رسول الله فقال عليـه السلام من الرجل قال عدى بن حاتم فأخذه الى بيته و بينما هما يمشيان اذ لقيت رسول الله امرأة عجوز ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها فقال عدى والله ما هو بملك ثم مضى رسول الله حتى اذا دخل بيته تناول وسادة من جلد محشوة ليفاً فقدمها الى عديّ وقال اجلس على هذه فقال بل أنت تجلس عليها فامتنع عليـه السلام وأعطاها له وجلس هو على الارض ثم قال يا عديّ اسلم تسلم قالها ثلاثاً فقال عدى اني على دين (وكان نصرانياً) فقال له عليـه السلام انا اعلم بدينك منك فقال عدى أأنت اعلم بديني مني قال نعم ثم عدد له اشياء كان يفعلها اتباعاً لقواعد العرب وليست من دين المسيح في شيء كأخذه المرباع وهو ربع الغنائم ثم قال يا عديّ انما يمنعك من الدخول في

الدين ما ترى تقول انما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قدرة لهم وقد رمتهم العرب مع حاجتهم فوالله ليوشكن المال ان يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم اتعرف الحيرة قال لم ارها وقد سمعت بها قال فوالله ليتمن هذا الامر حتى تخرج المرأة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار احد ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه انك ترى الملك والسلطان في غيرهم وايم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور البيض من ارض بابل قد فتحت عليهم فأسلم عدي رضي الله عنه وعاش حتى رأى كل ذلك



غزوة تبوك

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الروم جمعت الجموع تريد غزوة في بلاده وكان ذلك في زمن عسرة الناس وجدب البلاد وشدة الحر حين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم فأمر عليه السلام بالتجهز وكان قلما يخرج في غزوة الا وري بغيرها ليعمي الاخبار على العدو الا في هذه الغزوة فانه اخبر بمقصده لبعد الشقة وكثرة العدو ليأخذ الناس عدتهم لذلك و بعث الى مكة وقبائل الاعراب يستنفرهم لذلك وحث الموسرين على تجهيز المعسرين فانفق عثمان بن عفان عشرة آلاف دينار وأعطي ثلاثمائة بعير باحلاسها واقتابها وخمسين فرساً فقال عليه السلام اللهم ارض عن عثمان

فاني راض عنه وجاء ابو بكر بكل ما له وهو اربعة آلاف درهم فقال عليه السلام هل ابقيت لاهلك شيئاً فقال ابقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائة اوقية وجاء العباس وطلحة بمال كثير وتصدق عاصم بن عديّ بسبعين وسقاً من تمر وارسلت النساء بكل ما يقدرن عليه من حليهنّ وجاءه عليه السلام سبعة انفس من فقهاء الصحابة يطلبون اليه ان يحملهم فقال لا اجد ما احملكم عليه فتولوا واعينهم تفيض من الدمع حزناً ان لا يجدوا ما ينفقون فجهز عثمان ثلاثة منهم وجهز العباس اثنين وجهز يامين ابن عمرو اثنين ولما اجتمع الرجال خرج بهم رسول الله وهم ثلاثون الفاً وولى على المدينة محمد بن مسلمة وعلى اهله علي بن ابي طالب وتخلف كثير من المنافقين يرأسهم عبد الله بن ابي وقال يغزو محمد بني الاصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد يحسب محمد ان قتال بني الاصفر معه اللعب والله لكأني انظر الى اصحابه مقرنين في الجبال واجتمع جماعة منهم فقالوا في حق رسول الله واصحابه ما يريدون من الارجاف فبلغه ذلك فارسل اليهم عمار بن ياسر يسألهم عما قالوا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب وجاء اليه جماعة منهم الجد بن قيس يعتذرون عن الخروج فقالوا يا رسول الله ائذن لنا ولا تفتنا لانا لا نأمن نساء بني الاصفر وجاء اليه المعذرون من الاعراب وهم اصحاب الاعذار من ضعف او قلة ليؤذن لهم فاذن لهم وكذلك استأذن كثير من

المنافقين فاذن لهم وقد عتب الله عليه في ذلك الاذن بقوله في سورة براءة (عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) ثم قال في حقهم (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) ثم كذبهم الله في عذرهم فقال (ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) ثم لكيلا يأسي المسلمون على قعود المنافقين عنهم قال جل ذكره (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين) وتخلف جماعة من المسلمين لا يتهمون في اسلامهم منهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وابو خيثمة ولما خلف عليه السلام علياً قال المنافقون قد استثقله فتركه فاسرع الى رسول الله وشكا له ما سمع فقال عليه السلام (اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى) ثم سار عليه السلام بالجيش واعطى لواءه الاعظم ابا بكر الصديق وفي اعطاء اللواء لابى بكر في آخر غزوة للرسول وتخليف عليّ على أهل البيت حكمة لطيفة يفهمها القارئ وفرق عليه السلام الرايات فأعطى الزبير راية المهاجرين وأسيد ابن حضير راية الاوس والحباب بن المنذر راية الخزرج (ولما) مر الجيش بالحجر وهي ديار ثمود قال عليه السلام لاصحابه (لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا الا وأنتم باكون) ليشعر قلوبهم رهبة الله وكان

مستعملاً على حرس الجيش عباد بن بشر وكان أبو بكر يصلي بالجيش ولما وصلوا الى تبوك وكانت أرضاً لاعمارية فيها قال الرسول لمعاذ بن جبل (يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ما هنا ملئ بساتين) وقد كان ولما استراح الجيش لحقه أبو خيثمة وكان من خبر مجيئه ان دخل على أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشتين لهما في بستان قد رشت كل منهما عريشتها و بردت فيها ماء وهيأت طعاماً وكان يوماً شديد الحر فلما نظر ذلك قال يكون رسول الله في الحر وأبو خيثمة في ظل بارد وماء مهيأ وامرأة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريشة واحدة منكما حتى ألحق برسول الله فهيآ لي زاداً ففعلتا ثم ركب بعيره وأخذ سيفه ورمحه وخرج يريد رسول الله فصادفه حين نزل بتبوك

وفود صاحب أيلة

هذا ولم يرَ عليه السلام بتبوك جيشاً كما كان قد سمع فأقام هناك أياماً جاءه في أثنائها يوحنا صاحب أيلة وصحبته أهل جرباء(١) وأهل أذرح (٢) وأهل ميناء فصالح يوحنا رسول الله على اعطاء الجزية ولم يسلم وكتب له الرسول كتاباً هذه صورته :

(١) قرية جنوب الشام (٢) مدينة تلقاء السراة

كتاب صاحب ايلة

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا وأهل ايلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثاً فانه لا يحوز ماله دون نفسه وانه لطيبة لمن أخذه من الناس وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر او بحر)



كتاب أهل أذرح وجرباء

وكتب لاهل أذرح وجرباء كتابا صورته (بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي لاهل أذرح وجرباء انهم آمنون بأمان الله وامان محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان للمسلمين) وصالح اهل ميناء على ربع ثمارهم (ثم ان) الرسول استشار اصحابه في مجاوزة تبوك الى ما هو ابعد منها من ديار الشام فقال له عمر ان كنت امرت بالسير فسر فقال عليه السلام لو كنت أمرت بالسير لم أستشر فقال يا رسول الله ان للروم جموعاً كثيرة وليس بالشام أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد افزعهم دنوك فلو رجعنا في هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمراً فتبع عليه السلام مشورته وأمر بالقفول فرجع الجيش الى المدينة

مسجد الضرار

ولما كان على مقربة منها بلغه خبر مسجد الضرار وهو مسجد أسسه جماعة من المنافقين معارضة لمسجد قباء ليفرقوا جماعة المسلمين وجاء جماعة منهم الى الرسول طالبين منه أن يصلي لهم فيه فسألهم عن سبب بنائه فحلفوا بالله ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون فأمر عليه السلام جماعة من أصحابه لينطلقوا اليه ويهدموه ففعلوا (هذا) ولما استقر عليه السلام بالمدينة جاءه جماعات من الذين تخلفوا يعتذرون كذبا فقبل منهم عليه السلام علانيتهم ووكل ضمائرهم الى الله واستغفر لهم

حديث الثلاثة الذين خلفوا

وجاءه كعب بن مالك الخزرجي ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية الاوسيان مقرين بذنوبهم فلما دخل عليه كعب تبسم تبسم الغضب وقال ما خلفك فقال يارسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد أوتيت جدلاً ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخط عليّ فيه ولئن حدثتك حديث صدق تغضب عليّ فيه اني لأرجو فيه عفو الله والله ما كان لي من عذر فقال عليه السلام أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك وقال صاحباه مثل قوله فقال لهما

عليه السلام كما قال لكعب ونهى المسلمين عن كلامهم فاجتنبهم الناس وأمرهم ان يعتزلوا نساءهم واستأذنت زوج هلال بن أمية في خدمة زوجها لانه شيخ ضائع ليس له خادم فأذن لها ولم يزالوا كذلك حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم فأرسل لهم عليه السلام من يبشرهم بهذه النعمة الكبرى فتلقاهم الناس أفواجاً أفواجاً يهنئونهم بتوبة الله فلما دخل كعب المسجد تلقاه رسول الله مسروراً فقال أبشر يا كعب بخير يوم يمر عليك منذ ولدتك أمك فقال من عندك يا رسول الله أم من عند الله قال بل من عند الله فقال كعب يا رسول الله ان من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة لله ولرسوله فقال عليه السلام أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك ثم قرأ عليه السلام الآيات التي فيها توبته هو وصاحباه في سورة براءة (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم)



وفود ثقيف

وعقب مقدمه عليه السلام من تبوك وفد عليه وفد ثقيف وكان من خبرهم أنهُ لما انصرف رسول الله من محاصرتهم تبع أثره عروة بن مسعود الثقفي حتى ادركهُ قبل ان يصل الى المدينة فأسلم وسأله ان

يرجع الى قومهِ ويدعوهم الى الاسلام فقال له انهم قاتلوك فقال يارسول الله انا احب اليهم من ابكارهم فخرج الى قومهِ يرجو منهم طاعته لمرتبتهِ فيهم لانهُ كان فيهم محبباً مطاعاً فلما جاء الطائف وأظهر لهم ما جاء بهِ رموه بالنبل فقتلوه وبعد شهر من مقتله ائتمروا فيما بينهم ورأوا انهُ لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب فأجمعوا امرهم على أن يرسلوا لرسول الله رجلاً منهم يكلمهُ وطلبوا من عبد ياليل بن عمرو أن يكون ذلك الرجل فأبى وقال لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجالاً فبعثوا معهُ خمسة من اشرافهم فخرجوا متوجهين الى المدينة ولما قابلوا رسول الله ضرب لهم قبة في ناحية المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس اذا صلوا وكانوا يغدون الى رسول الله كل يوم ويخلفون في رحالهم اصغرهم سناً عثمان بن ابي العاص فكان اذا رجعوا ذهب للنبيّ واستقرأه القرآن واذا رآه نائماً استقرأ أبا بكر حتى حفظ شيئاً كثيراً من القرآن وهو يكتم ذلك عن اصحابه ثم اسلم القوم وطلبوا أن يعين لهم من يؤمهم فأمّر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رآه من حرصهِ على الاسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين

كتاب أهل الطائف

ثم كتب لهم كتاباً من جملته (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبيّ رسول الله الى المؤمنين ان عضاه وجّ وصيده حرام لا يعضد

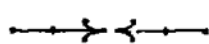
شجره ومن وجد يفعل شيئاً من ذلك فانهُ يجلد وتنزع ثيابه) ثم سألوا رسول الله أن يؤجل هدم صنمهم شهراً حتى يدخل الاسلام قلوب القوم ولا يرتاع السفهاء من النساء من هدمه فرضي بذلك عليه السلام ولما خرجوا من عنده قال لهم رئيسهم أنا أعلمكم بثقيف اكتموا عنهم اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال واخبروهم أن محمداً طلب اموراً عظيمة ابيناها عليه سألنا ان نهدم الطاغية وان نترك الزنا وشرب الخمر والربا فلما حلوا بلادهم جاءتهم ثقيف فقال الوفد جئنا رجلاً فظاً غليظاً قد ظهر بالسيف ودان الناس له فعرض علينا اموراً شديدة وذكروا ما تقدّم فقالوا والله لا نطيعهُ ابداً فقالوا لهم اصلحوا سلاحكم ورُمّوا حصونكم واستعدوا للقتال فأجابوا واستمروا على ذلك يومين او ثلاثة ثم القى الله فيها الرعب في قلوبهم فقالوا والله ما لنا بحربه من طاقة ارجعوا اليه واعطوه ما سأل فقال الوفد قد قاضيناه واسلمنا فقالوا لمَ كتمتم علينا ذلك قالوا حتى تذهب عنكم نخوة الشيطان فاسلموا

هدم اللات

ولما بلغ رسول الله اسلام ثقيف ارسل ابا سفيان والمغيرة بن شعبة الثقفي لهدم اللات صنم ثقيف بالطائف فتوجهوا وهدموه حتى سووه بالارض

حج ابي بكر

وفي أخريات ذي القعدة أرسل عليه السلام أبا بكر ليحج بالناس فخرج في ثلاثمائة رجل من المدينة ومعه الهدى عشرون بدنة أهداها رسول الله وساق أبو بكر خمس بدنات ولما سافر نزل على رسول الله أوائل سورة براءة فأرسل بها علياً ليبلغها الناس في يوم الحج الاكبر وقال لا يبلغ عني الا رجل مني فلحق أبا بكر في الطريق فقال الصديق هل استعملك رسول الله على الحج قال لا ولكن بعثني أقرأ أو أتلو براءة على الناس فلما اجتمعوا بمنى يوم النحر قرأ عليهم عليّ ثلاث عشرة آية من أول سورة براءة تتضمن نبذ العهود لجميع المشركين الذين لم يوفوا عهودهم وامهالهم أربعة أشهر يسيحون فيها في الارض كيف شاؤوا واتمام عهد المشركين الذين لم يظاهروا على المسلمين ولم يغدروا بهم الى مدتهم ثم نادى لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكان علي يصلي في هذا السفر وراء أبي بكر رضي الله عنهما



وفاة ابن أبيّ

وفي ذي القعدة مات عبد الله بن أبي وقد صلى عليه رسول الله صلاة لم يطل مثلها وشيع جنازته حتى وقف على قبره وانما فعل ذلك تطييباً لقلب ولده عبد الله بن عبد الله وتأليفاً لقلوب الخزرج لمكانه

عبد الله بن أبي فيهم وقد نزع ربقة النفاق كثير من المنافقين بعد هذا اليوم لما رأوه من أعمال السيد الكريم صلى الله عليه وسلم وقد نهى الله رسوله بعد ذلك عن الصلاة على المنافقين فقال جل شأنه في سورة براءة (ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره)

وفاة أم كلثوم

وفي هذه السنة توفيت أم كلثوم بنت رسول الله وزوج عثمان رضي الله عنهما

السنة العاشرة

(سرية)

في ربيع الآخر أرسل عليه السلام خالد بن الوليد في جمع لبني عبد المدان بنجران من أرض اليمن وأمره ان يدعوهم الى الاسلام ثلاث مرات فان أبوا قاتلهم فلما قدم اليهم بعث الركبان في كل وجه يدعون الى الاسلام ويقولون اسلموا تسلموا فأسلموا ودخلوا في دين الله أفواجاً فأقام خالد بينهم يعلمهم الاسلام والقرآن وكتب الى رسول الله بذلك فأرسل اليه ان يقدم بوفدهم ففعل وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحداً بظلم قال صدقتم وأمر عليهم زيد ابن حصين

سرية

(وفي) رمضان ارسل عليه السلام علياً في جمع الى بني مذحج (قبيلة يمانية) وعممه بيده وقال (سر حتى تنزل بساحتهم فادعهم الى قول لا اله الا الله فان قالوا نعم فمرهم بالصلاة ولا تبغ منهم غير ذلك ولان يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك) فلما انتهى اليهم اتى جموعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل فصف على اصحابه وامرهم بالقتال فقاتلوا حتى هزموا عدوهم فكف عن طلبهم قليلاً ثم لحقهم ودعاهم الى الاسلام فاجابوا و بايعه رؤساؤهم وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله ففعل ثم رجع الى رسول الله فوافاه بمكة في حجة الوداع

بعث العمال على اليمن

ثم بعث عليه السلام الى اليمن عمالاً من قبله فبعث معاذ بن جبل على الكورة العليا من جهة عدن (١) و بعث ابا موسى الاشعري على الكورة السفلى ووصاهما عليه السلام بقوله (يسرا ولا تعسرا و بشرا ولا تنفرا) وقال لمعاذ (انك ستأتي قوماً اهل كتاب فاذا

(١) ثغر في جنوب اليمن

جئتهم فادعهم الى ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله. فان اطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة فان اطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم اطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم اموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب). وقد مكث معاذ باليمن حتى توفى رسول الله اما ابو موسى فقدم على الرسول عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع

حجة الوداع

وفي السنة العاشرة حج عليه السلام بالناس حجة ودع فيها المسلمين ولم يحج غيرها وخرج لها يوم السبت لخمس بقين من ذي الحجة وولى على المدينة ابا دُجانة الانصاري وكان مع الرسول جمع عظيم يبلغ تسعين الفاً واحرم للحج حيث انبعثت به راحلته ثم لبي فقال (لبيك اللهمّ لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) ولم يزل عليه السلام سائراً حتى دخل مكة ضحى من الثنية العليا وهي ثنية كداء ولما راى البيت قال اللهم زده تشريفاً وتعظيماً ومهابة وبرًّا ثم طاف بالبيت سبعاً واستلم الحجر الاسود وصلى ركعتين عند مقام ابراهيم ثم شرب من ماء زمزم ثم سعى بين الصفا والمروة سبعاً راكباً على راحلته وكان اذا صعد الصفا

يقول لا اله الا لله الله اكبر لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفي الثامن من ذي الحجة توجه الى منى فبات بها

خطبة الوداع

وفي التاسع منه توجه الى عرفة وهناك خطب خطبته الشريفة التي بين فيها الدين كله أسه وفرعه وهاك نصها (الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلاهادى له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته واستفتح بالذي هو خير (أما بعد) أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فاني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا (أيها الناس) ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم فاشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها وان ربا الجاهلية موضوع وان أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب وان دماء الجاهلية موضوعة وأول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية (والعمد) قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية

(أيها الناس) ان الشيطان قد يئس أن يعبد في ارضكم هذه ولكنهُ قد رضي ان يطاع فيماسوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم (أيهاالناس) ان النسيء (١) زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونهُ عاماً ويحرمونهُ عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله

(١) كانت العرب تستعمل في حسابها الاشهر الهلالية وكانت الاعمال التي كلفوا بها من عهد ابراهيم واسماعيل كالحج وتحريم الاشهر الحرم مرتبة بهذه الشهور ولما رأوا ان سيرهم على هذه القاعدة مما يضر بمصالحهم التجارية اذ قد يجيء الحج في فصل لا يناسبهُ وقد تحل الاشهر الحرم في فصل لا تناسب تجارتهم فيه عمدوا الى السنة الهلالية فاضافوا على آخرها اياماً سموها ايام النسيء لتوافق السنة الشمسية حتى يكون كل عمل ثابتاً في الفصل الذي يناسبه وكانوا يجمعون هذه الايام حتى تستكمل شهراً فيضيفونها فنتج من ذلك ان بعض السنين تكون اثنى عشر شهراً و بعضها ثلاثة عشر فتارة يجيء الحج في شهره ذي الحجة وتارة في ذي القعدة وهكذا حتى يدور الدور فيأتي في ذي الحجة ثانياً فلما كانت حجة الوداع امر عليه السلام بابطال هذه القاعدة كما امره الله والسير على الاشهر الهلالية وكان الدور قد دار وجاء الحج في شهره ولذلك قال (ان الزمان قد استدار الخ)

اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السموات والارض منها أربعة حرم ثلاث متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادي وشعبان ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) ان لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم الا بأذنكم ولا يأتين بفاحشة فان فعلن فان الله أذن لكم أن تعضلوهن (١) وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فان انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانما النساء عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئاً أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرئ مال أخيه الا عن طيب نفس منه ألا هل بلغت اللهم اشهد فلا ترجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فاني قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربي فضل على عجمي الا بتقوى الا هل بلغت اللهم اشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب (ايها الناس) ان الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا تجوز لوارث وصيته

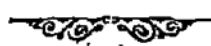
---

(١) العضل هو الحبس والتضييق

ولا تجوز وصية في اكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعى الى غير ابيه او تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله) وفي هذا اليوم امتن الله على المؤمنين بقوله في سورة المائدة (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) فلا غرابة ان اتخذه المسلمون عيداً ويوماً سعيداً يظهرون فيه شكر الله على هذه النعمة الكبرى (ثم) انه عليه السلام ادى مناسك الحج من رمي الجمار والنحر والحلق والطواف وبعد ان اقام بمكة عشرة ايام قفل الى المدينة ولما رآها كبر ثلاثاً وقال (لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده)

الوفود

في هذه السنة والتي قبلها كان وفود العرب الى رسول الله ليبايعوه على الاسلام وكانوا يقدمون افواجاً ولما في اخبار هــذه الوفود من التعاليم الحميدة التي يحتاج ذو الادب ان يعرفها رأينا ان نذكر لك منها ما يزيدك يقيناً وينير بصيرتك فنقول

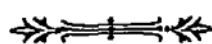


وفود نجران

(من) الوفود وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكباً دخلوا المسجد وعليهم ثياب الحبرة واردية الحرير مختمين بالذهب ومعهم بسط فيها تماثيل ومسوح جاؤا بها هدية للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبل البسط وقبل المسوح ولما جاء وقت صلاتهم صلوا في المسجد مستقبلين بيت المقدس ولما اتموا صلاتهم دعاهم عليه السلام للاسلام فأبوا وقالوا كنا مسلمين قبلكم فقال عليه السلام يمنعكم من الاسلام ثلاث عبادتكم الصليب واكلكم لحم الخنزير وزعمكم ان لله ولداً قالوا فمن مثل عيسى خلق من غير اب فأنزل الله في ذلك في سورة آل عمران وكذلك الآية بعدها (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وليظهر الله لهم انهم في شك من امرهم انزل (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فدعاهم عليه السلام لذلك فامتنعوا ورضوا باعطاء الجزية وهي الف حلة في صفر والف حلة في رجب مع كل حلة اوقية من ذهب ثم قالوا ارسل معنا اميناً فارسل لهم ابا عبيدة عامر بن الجراح وكان لذلك يسمى امين هذه الامة

﴿ وفود ضمام بن ثعلبه ﴾

(ومن الوفود) ضمام بن ثعلبة بينا رسول الله بين اصحابه متكئاً جاءه رجل من اهل البادية ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول فاناخ جمله في المسجد ثم قال ايكم ابن عبد المطلب فدلوه عليه فدنا منه وقال اني سائلك فمشدد عليك المسألة فلا تجد (١) علي في نفسك فقال سل ما بدالك فقال انشدك بالله آلله ارسلك الى الناس كلهم فقال نعم فقال انشدك بالله آلله امرك ان نصلي خمس صلوات في اليوم والليلة قال اللهمّ نعم فقال انشدك بالله آلله امرك ان تأخذ من اموال اغنيائنا فترده على فقرائنا قال اللهمّ نعم قال انشدك بالله آلله امرك ان نصوم هذا الشهر من اثني عشر شهراً قال اللهمّ نعم قال انشدك بالله الله امرك ان يحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلاً قال اللهمّ نعم قال فاني قد آمنت وصدقت وانا ضمام بن ثعلبة ولما ولى قال عليه السلام فقه الرجل ثم ذهب ضمام الى قومه ودعاهم الى الاسلام وترك عبادة الاوثان فأسلموا كلهم



﴿ وفود عبد القيس ﴾

(ومن) الوفود عبد القيس وكان من خبرهم ان الرسول كان

(١) اي لا تغضب

جالساً بين اصحابه يوماً فقال لهم سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير اهل المشرق لم يكرهوا على الاسلام قد انضوا الركائب وافنوا الزاد اللهمّ اغفر لعبد القيس فلما اتوا ورأوا النبي صلى الله عليه وسلم رموا بأنفسهم عن الركائب بباب المسجد وتبادروا الى رسول الله يسلمون عليه وكان فيهم عبد الله بن عوف الاشج وكان اصغرهم سناً فتخلف عند الركائب حتى اناخها وجمع المتاع واخرج ثوبين ابيضين فلبسهما ثم جاء يمشي هوناً حتى سلم على رسول الله وكان رجلاً دميماً ففطن لنظر الرسول الى دمامته فقال يا رسول الله انه لا يستقي في مسوك (جلود) الرجال وانما الرجل بأصغريه قلبه ولسانه فقال عليه السلام ان فيك خلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة وقد قال عليه السلام لهذا الوفد (مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى) فقالوا يا رسول الله انا نأتيك من شقة بعيدة (١) وانه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام فمرنا بأمر فصل فقال آمركم بالايمان بالله أتدرون ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان

---

(١) لان ديارهم كانت بساحل الخليج الفارسي وهي ديار ربيعة وبينهم وبين الحجاز ارض نجد

وان تعطوا من المغنم الخمس وانهاكم عن الدباء (١) والحنتم (٢) والنقير (٣) والمزفت (٤) والمراد بذلك ما ينبذ في هذه الاواني فقال الاشج يا رسول الله ان ارضنا ثقيلة وخمة وانا اذا لم نشرب هذه الاشربة عظمت بطوننا فرخص لنا في مثل هذه واشار الى يده فاومأ عليه السلام بكفيه وقال يا اشج ان رخصت لك في مثل هذه شربته في مثل هذه وفرج بين يديه و بسطها حتى اذا ثمل احدكم من شرابه قام الى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وانما خص عليه السلام نهيهم بما ذكر لكثرة الاشربة بينهم

وفود بني حنيفة

(ومن) الوفود بنو حنيفة وكان معهم مسيلمة الكذاب وكان مسيلمة يقول ان جعل لى الامر من بعده اتبعته فأقبل عليه السلام ومعه قيس بن شماس وفي يد رسول الله قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة في اصحابه فقال ان سألتني هذه القطعة ما اعطيتكها واني لاراك الذي منه رأيت وكان عليه السلام قد رأى في منامه ان في يده سوارين من ذهب فأهمه شأنهما فأوحي الله اليه ان انفخهما

(١) القرع (٢) هو جرار مدهونة بدهان اخضر (٣) هو اصل النخلة ينقر (٤) ما طلي بالزفت

فنفخهما فطارا فأولهما عليه السلام كذابين يخرجان من بعده فكان مسيلمة احدهما والثاني طليحة العنسي صاحب صنعاء وقد اسلم بنو حنيفة

وفود طيء

(ومن) الوفود وفد طيء وفيهم زيد الخيل رئيسهم وقد قال عليه السلام في حقه ما ذكر لي رجل من العرب الا رايته دون ما قيل فيه الا زيد الخيل وسماه عليه السلام زيد الخير

وفود كندة

(ومنهم) وفد كندة وفيهم الاشعب بن قيس وكان وجيهاً مطاعاً في قومه

ولما دخلوا على رسول الله خبؤا له شيئاً وقالوا اخبرنا عما خبأناه لك فقال سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن والمتكهن في النار ثم قال ان الله بعثني بالحق وانزل على كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا اسمعنا منه فتلا عليه السلام (والصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) ثم سكت وسكن ودموعه تجري على لحيته فقالوا انا نراك تبكي افمن مخافة من ارسلك تبكي قال ان خشيتي منه ابكتني بعثني على صراط مستقيم في مثل حد السيف ان

زغت عنه هلكت ثم تلا (ولئن شئنا لنذهبنَّ بالذي او حينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيراً) ثم قال لهم عليه السلام الم تسلموا قالوا بلى قال ما بال هذا الحرير في اعناقكم فعند ذلك شقوه وألقوه

وفود أزدشنوءة

(ومنهم) وفد ازدشنوءة ورئيسهم صرد بن عبد الله الازدي فأسلموا وامره عليهم وامره ان يجاهد بمن اسلم من كان يليه من اهل الشرك

وفود رسول ملوك حمير

(ومنهم) وفد رسول ملوك حمير وهم الحارث بن عبد كلال والنعمان ومعافر وهمدان وكانوا قدأسلموا وارسلوا رسولهم بذلك فكتب اليهم النبي صلى الله عليه وسلم

كتاب ملوك حمير

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن عبد كلال والى النعمان ومعافر وهمدان أما بعد فاني أحمد الله اليكم الذي لا اله الا هو اما بعد فانهُ قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من ارض

الروم فلقيناه بالمدينة فبلغ ما ارسلتم به وخـبر ما قبلكم وانبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وان الله قد هدا كم بهـداه ان اصلحتم واطعتم الله ورسوله واقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصـدقة أما بعد فان محمداً النبي ارسل الى زرعة بن سيف ذي يزن اذا اتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيراً معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة واصحابهم وان اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفكم وأبلغوها رسلي وان اميرهم معاذ بن جبل فـلا ينقلبن الا راضياً اما بعد فان محمداً يشهد أن لااله الا الله وأنهُ عبده ورسوله ثم ان مالك بن كعب بن مرارة قد حدثني انك قد اسلمت من اول حمير وقتلت المشركين فأبشر بخير وآمرك بحمير خيراً ولا تخونوا ولا تخاذلوا فإن رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لاهل بيته انما هي زكاة يزكي بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان مالكاً قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وآمركم بهِ خيراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتهُ)

وفود همدان

(ومنها) وفد همدان وفيهم مالك بن نمط وكان شاعراً مجيـداً فلقوا رسول الله مرجعهُ من تبوك عليهم مقطعات من الحبرات اليمنية

والعمائم العدنية وقد انشد مالك لرسول الله عليه السلام

حلفت برب الراقصات الى منى　　صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق　　رسول اتى من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها　　أشد على اعدائهِ من محمد

وقد أمره عليه السلام على من اسلم من قومه وقد قال الرسول في حق همدان نعم الحي همدان ما اسرعها الى النصر واصبرها على الجهد وفيهم أبدال وفيهم اوتاد

وفود تجيب

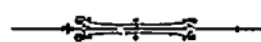
(ومنها) وفد تجيب قبيلة من كندة وفد على رسول الله ثلاثة عشرة رجلا منهم معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر بهم عليه السلام وأكرم مثواهم وقالوا يا رسول الله انا سقنا اليك حق الله في أموالنا فقال عليه السلام (ردوها فاقسموها على فقرائكم) فقالوا يارسول الله ما قدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا قال أبو بكر يا رسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا فقال عليه السلام ان الهدي بيد الله فمن أراد به خيراً شرح صدره للايمان وجعلوا يسألونه عن القرآن فازداد عليه السلام رغبة فيهم ثم أرادوا الرجوع الى أهليهم فقيل لهم ما يعجلكم قالوا نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله ولقائنا اياه وما رد علينا ثم جاؤا الى رسول الله فدعوه فاجازهم بافضل ما

كان يجيز به الوفود ثم قال لهم هل بقي منكم احد قالوا غلام خلفناه في رحالنا وهو احدثنا سناً قال فارسلوه الينا فارسلوه فاقبل الغلام وقال يا رسول الله أنا من الرهط الذين أتوك آنفاً فقضيت حاجتهم فاقضِ حاجتي قال وما حاجتك قال تسأل الله أن يغفر لي و يرحمني ويجعل غناي في قلبي فقال عليه السلام اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من اصحابه



وفود ثعلبة

(ومنها) وفد ثعلبة وفد على رسول الله أربعة منهم مقرين بالاسلام فسلموا عليه وقالوا يا رسول الله انا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا انك تقول لا اسلام لمن لا هجرة له فقال عليهِ السلام (حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم) ثم قال لهم كيف بلادكم فقالوا مخصبون فقال الحمد لله ثم أقاموا في ضيافته أياماً وحين أرادتهم الانصراف أجاز كل واحد منهم بخمس اواق من فضة



وفود بني سعد بن هذيم

(ومنها) وفد بني سعد بن هذيم من قضاعة قال النعمان منهم قدمت على رسول الله وافداً في نفر من قومي وقد أوطأ رسول الله البلاد وأزاح العرب والناس صنفان اما داخل في الاسلام راغب فيه واما

خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا الى بابه فوجدنا رسول الله يصلي على جنازة في المسجد فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع النـاس في صلاتهم وقلنا حتى يصلي رسول الله ونبايعه ثم انصرف رسول الله فنظر الينا فدعا بنا فقال ممن انتم فقلنا من بني سعد بن هذيم فقال أمسلمون انتم قلنـا نعم فقال هلا صليتم على اخيكم قلنا يا رسول الله ظننا ان ذلك لا يجوز حتى نبايعك فقـال عليه السلام (اينما أسلمتم فأنتم مسلمون) قال فاسلمنا و بايعنا رسول الله بايدينا ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث عليه السلام في طلبنا فأتى بنا اليـه فتقدم صاحبنا فبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام فقلنا يا رسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال سيد القوم خادمهم بارك الله عليه قال النعمان فكان خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له ثم أجازهم وانصرفوا

وفود بني فزارة

ومنها وفد بني فزارة وفد على رسول الله جمـاعة منهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون فسألهم عليه السلام عن بلادهم فقال رجل منهم يا رسول الله أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا وجاعت عيالنا فادع لنا ربك يغثنا واشفع لنا الى ربك وليشفع لنا ربك اليك فقال عليه السلام سبحان الله ويلك هذا أنا اشفع الى ربي فمن ذا الذي

يشفع ربنا اليه لااله الا هو العلي العظيم وسع كرسيه السموات والارض فهي تئط (١) من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الحديث (أي من ثقل الحمل) ثم صعد عليهِ السلام المنبر ودعا الله عز وجل حتى اغاث بلاد هذا الوفد بالمطر الغزير والرحمة التامة



وفود بني أسد

(ومنها) وفد بني أسد وفيهم ضرار بن الازور وطليحة بن عبد الله الذي ادعى النبوة بعد ذلك فأسلموا وقالوا يا رسول الله أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء ولم تبعث الينا فانزل الله في ذلك (يمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا عليّ اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين) وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كانوا يفعلون في الجاهلية من العيافة (٢) والكهانة (٣) وضرب الحصباء فنهاهم عن ذلك كله ثم سألوه عن ضرب الرمل فقال علمه نبي فمن صادف مثل علمه فذاك والا فلا ثم اقاموا اياماً يتعلمون الفرائض و بعد ذلك ودعوا وانصرفوا بعد ان اجيزوا

(١) . أي تصوت

(٢) هي زجر الطير والتخرص على الغيب

(٣) هي الاخبار عن الكائنات في المستقبل

وفود بني عزرة

(ومنها) وفد بني عزرة ووفد بني بلي ووفد بني مرة ووفد خولان وهي قبيلة باليمن وقد امرهم عليه السلام بالوفاء بالعهد واداء الامانة وحسن الجوار لمن جار وان لا يظلموا أحداً فان الظلم ظلمات يوم القيامة

وفود بني محارب

(ومنها) وفد بني محارب وكانوا من الذين ردوا الرد القبيح حينما كان رسول الله بعكاظ يدعو القبائل الى الله فما اعظم منة الله الذي اتى بهؤلاء وكانوا الد الاعداء مسلمين منقادين

وفود غسان

(ومنها) وفد غسان ووفد سلامان ووفد بني عبس ووفد النخع وكان عليه السلام يقابل هذه الوفود بما جبله الله عليه من البشاشة وكرم الاخلاق ويجيزهم بما يرضيهم ويعلمهم الايمان والشرائع ليعلموا من ورائهم وكانت هـذه الوفود اعظم وصلة لاظهار الدين بين الاعراب في البوادى

وفاة ابراهيم بن النبي عليه السلام

(وفي) هذه السنة توفي ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حقق المرحوم محمود باشا الفلكي ان ذلك كان في التاسع والعشرين من شهر شوّال سنة ١٠ من الهجرة ٢٧ يناير سنة ٦٣٢ من الميلاد

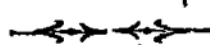
السنة الحادية عشر

(سرية)

لاربع بقين من صفر جهز عليه السلام جيشاً برياسة اسامة بن زيد الى أبنى (١) حيث قتل زيد بن حارثة والد اسامة وقال له (سر الى موضع قتل ابيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغر صباحاً على اهل أبنى وحرق عليهم واسرع السير لتسبق الاخبار فان ظفرك الله فأقل اللبث فيهم وخذ الادلاء وقدم العيون والطلائع معك وكان مع أسامة في هذا الجيش كبار المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر وابو عبيدة وسعد ثم عقد عليه السلام لاسامة اللواء وقال له (اغر باسم الله في سبيل الله وقاتل من كفر بالله) وقد انتقد جماعة على تأمير اسلمة وهو شاب لم يتجاوز السابعة عشر من عمره على جيش فيه

(١) محل قريب من موئتة

خدعه (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم)
وأوصيكم بالانصار خيراً فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان
تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم في الثمار ألم يوسعوا لكم في الديار ألم يؤثروكم
على انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين فليقبل
من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستأثروا عليهم الا واني فرط
لكم وانتم لا حقون بي الافان موعدكم الحوض الا فمن احب ان يرده
على غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغي) وبينما المسلمون في صلاة
الفجر من يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الاول وابو بكر يصلي لهم اذا
برسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف سجف حجرة عائشة فنظر
اليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص ابو بكر رضي الله
عنه على عقبه ليصل الصف وظن ان رسول الله يريد ان يخرج الى
الصلاة وهم المسلمون ان يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله فأشار
اليهم بيده ان اتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر



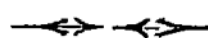
وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولم تأت ضحوة هذا اليوم حتى فارق رسول الله صلى الله عليه
وسلم دنياه ولحق بمولاه وكان ذلك في يوم الاثنين ١٣ ربيع اول سنة
١١ (٨ يونيو سنة ٦٣٢) فيكون عمره عليه السلام ٦٣ سنة قمرية
كاملة وثلاثة ايام واحدى وستين شمسية واربعة وثمانين يوماً وكان

ابو بكر غائباً بالسنح وهي منازل بني الحارث بن الخزرج عند زوجه حبيبة بنت خارجة بن زيد فسل عمر سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله وقال انما ارسل اليه كما ارسل الى موسى فلبث عن قومه اربعين ليلة والله اني لارجو ان يقطع ايدي رجال وارجلهم فلما اقبل ابو بكر واخبر الخبر دخل بيت عائشة وكشف عن وجه رسول الله فجثا يقبله ويبكي ويقول توفى والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما اطيبك حياً وميتاً بأبي انت وامي لا يجمع الله عليك موتتين ثم خرج فحمد الله واثنى عليه ثم قال (الا من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت) وتلا قوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) وقوله (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) قال عمر فكأني لم اتل هذه الآية قط ثم مكث عليه الصلاة والسلام في بيته بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومه وليلة الاربعاء حتى انتهى المسلمون من اقامة خليفة عليهم فغسل ودفن وكان الذي يغسله علي ابن ابي طالب ويساعده العباس وابناه الفضل وقثم واسامة ابن زيد وشقران مولى رسول الله وكفن في ثلاثة اثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ولما فرغوا من تجهيزه وضع على سريره في بيته ودخل الناس عليه ارسالاً متتابعين يصلون عليه ولم يؤمهم احد ثم حفر له لحد في

حجرة عائشة حيث توفى وانزله القبر علي والعباس وولداه الفضل وقثم ورش قبره بلال بالماء ورفع قبره عن الارض قدر شبر

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك للمسلمين ما ان اتبعوه لم يضرهم شيء كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وترك اصحابه البررة الكرام يوضحون الدين ويتممون فتح البلاد ويظهرون في الدنيا شمس الدين الاسلامي القويم حتى يتم الله كلمته ويحق وعده وقد فعل فنسأل الله ان يقدرنا على اداء شكره على هذه المنة العظمى والنعمة الكبرى



شمائله عليه السلام

منح الله سبحانه نبينا صلى الله عليه وسلم من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره ممن قبله او بعده ولا بد ان نأتي لك في هذا الباب (١) بنبذة يسيرة من محاسن صفاته واحاسن آدابه لتكون لك نموذجاً تسير عليه حتى تكون على قدم نبيك عليه الصلاة والسلام فتستحق الحمد في الدنيا والذخر في الاخرى . فاعلم ارشدني

(١) جل ما ذكر في هذا الباب مختصر من كتاب الشفاء للقاضي عياض رحمه الله

الله واياك وهدانا للصراط السوى ان خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى (فأما) الضروري فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته عليه السلام من كمال الخلقة وجمال الصورة وقوة العقل وصحة الفهم وفصاحة اللسان وقوة الحواس والاعضاء واعتدال الحركات وشرف النسب وعزة القوم وكرم الارض ويلحق به ما تدعو ضرورة الحياة اليه من الغذاء والنوم والملبس والمسكن والمال والجاه (وأما) المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية والآداب من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهي التي يجمعها حسن الخلق فاذا نظرت رعاك الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته عليه السلام حائزاً لجميعها محيطاً بشتات محاسنها (فأما) الصورة وجمالها وتناسب أعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من أنه صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون (١) ادعج (٢) انجل (٣) اشكل (٤)

---

(١) نير اللون او حسنه (٢) شديد سواد الحدقة مع سعة فيها
(٣) واسع العين مع حسن (٤) في بياض عينيه حمرة .

اهدب الاشفار (١) ابلج (٢) ازج (٣) اقنى (٤) افلج (٥) مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن عظيم الصدر عظيم المنكبين (٦) ضخم العظام عَبْل (٧) العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف انور المتجرّد دقيق المَسْرُبة (٨) ربعة القد ليس بالطويل البائن (٩) ولا القصير المتردد (١٠) ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رَجل الشعر اذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئ كالنور يخرج من بين ثناياه أحسن الناس عنقاً ليس بمطهم (١١) ولا مكلثم (١٢) متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء بن عازب ما رأيت من ذي لمة سوداء في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله كأن الشمس

---

(١) كثير شعر حروف الاجفان (٢) مضيء الوجه مشرقه
(٣) دقيق الحاجبين في طول (٤) مرتفع قصبة الانف مع احديداب يسير فيها (٥) مفرج بين الثنايا والرباعيات (٦) المنكب مجمع رأس العضد والكتف (٧) ضخم (٨) المسربة شعر دقيق من الصدر الى البطن (٩) مفرط الطول (١٠) المتناهي في القصر
(١١) المطهم البائن الكثير اللحم (١٢) المكلثم صغير الذقن

تجري في وجهه واذا ضحك يتلألأ في الجدر وفي حديث ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم

(وأما) نظافة جسمه وطيب ريحه وعرفه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع قال عليه السلام بني الدين على النظافة وقال أنس ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله وعن جابر أنه عليه السلام مسح خده قال فوجدت ليده برداً وريحاً كأنما اخرجها من جؤنة عطار قال غيره مسها بطيب أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها . ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها وروي البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه أحد الا عرف انه سلكه من طيبه

(وأما) وفور عقله صلى الله عليه وسلم وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية أنه كان اعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته للعامة مع عجيب شمائله و بديع سيره فضلا عما أفاده من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سابق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب لم يمتر

في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وكان عليه السلام اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من أمامه و بذلك فسر قوله تعالى (وتقلبك في الساجدين) وقالت عائشة كان عليه السلام يرى في الظلمة كما يرى في الضوء وكان يعد في الثريا أحد عشر نجماً وجاءت الاخبار أنه صرع ركانة أشد أهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وقال ابو هريرة ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كانما الارض تطوي له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وفي صفته عليه السلام أن ضحكه كان تبسماً اذا التفت التفت معاً واذا مشي مشي تقلعاً كانما ينحط من صبب

(وأما) فصاحة اللسان و بلاغة القول فقد كان عليه السلام من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع و براعة منزع وايجاز مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها و يحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش ككلامه مع أقيال حضرموت وملوك اليمن وعظماء نجد بل يستعمل لكل قبيلة ما استحسنته من الالفاظ وما انتهجته من طرق البلاغة ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون .

(وأما) كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازي فصاحة وبلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن ورحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم وقوله اسلم تسلم وأسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم اخلاقاً الموطئون اكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه او يبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون وجيهاً عند الله ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور أوسطها وقوله أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها رغائبي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها ألفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى غير ذلك مما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته

ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز سبقاً لا يقدر قدره وقد قال له اصحابه ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يمنعني وانما نزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقال مرة أخرى بيد أني من قريش ونشأت فى بني سعد جمع بذلك قوة غارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لايحيط بعلمه بشر (وأما) سروٌ نسبه وكرم بلده ومنشئهِ فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم ونخبة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده وقد قدمنا لك فى اول الكتاب ما فيـه الكفاية في هذا المقام

(واما) ما تدعو اليه ضرورة الحياة فمنه ما الفضل في قلته ومنه ما الفضل في كثرته ومنه ما تختلف الاحول فيه فالاول كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء قديماً تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليـل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمـع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب الكسل وعادة

العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلتـه وموته وكان عليه السلام قد اخذ من الاكل والنوم بالاقل وحض عليه قال عليه السلام (ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب وقالت عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعاً قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب وفي صحيح الحديث (اما انا فلا آكل متكئاً). والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي عليه السلام انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعياً ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وكذلك نومه كان قليلاً ومع ذلك فقد قال ان عينيّ تنامان ولا ينام قلبي

(واما) ما الفضل في كثرته فكالجاه وهو محمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام (وجيهاً في الدنيا والآخرة) وكان النبى عليه السلام قد رزق الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسهم.

خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته كما ذكرنا لك ذلك مراراً وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روى عن قيلة انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال (يا مسكينة عليك السكينـــة) وفي حديث ابي مسعود ان رجلاً قام بين يديه فارعد فقال له عليه السلام (هون عليك فاني لست بملك)

(واما) عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبتـــه بالاصطفـاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم

(واما) ما تختلف فيه الحالات في التمدح به والتفاخر بسببـه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبـه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكنه في اغراضه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقاً له في مهمـاته ومهمات من قصده وامله مصرفه في مواضعه مشترياً به المعالي والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيـا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكاً له غير موجهه وجوهه حريصاً على جمعـه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه في وهدة رذيلة البخل ومذمة النذالة فالتمدح بالمال ليس لذاته

بل للتوصل بهِ الى غيره وتصريفه في متصرفاته ونبينا صلى الله عليهِ وسلم اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم وفتح عليهِ في حياتهِ بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما داني ذلك من الشام والعراق وجلب اليهِ كثير من اخماسها وجزيتها وصدقاتها وهاداه جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشيءٍ منه ولا امسك منه درهماً بل صرفه مصارفه واغنى بهِ غيره وقوى به المسلمين وقال (ما يسرني ان لي احداً ذهباً يبيت عندي منه دينار الا ديناراً ارصده لديني) واتته دنانير مرة فقسمها و بقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائهِ فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه مرهونه في نفقة عياله واقتصر في نفقتهِ وملبسهِ ومسكنهِ على ما تدعو ضرورتهُ اليهِ وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخصوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر فانت ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاز فضيلة المال بالزهد فيهِ وانفاقه على مستحقيهِ .

(واما) الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة وهي المساة بحسن الخلق فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال في غايتها حتى اثنى الله تعالى عليهِ بذلك فقال (وانك لعلى خلق عظيم) قالت عائشة كان خلقهُ القرآن يرضى برضاه و يسخط بسخطهِ وقال عليهِ السلام

(بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) وقال انس كان عليهِ السلام احسن الناس خلقاً وكانت له هذهِ الآداب الكريمة كما كانت لاخوانهِ من الانبياء جبلة خلقوا عليها ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف فى قلوبهم حتى يصلوا الغـاية و يبلغوا باصطفاء الله لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة دون نهاية ولا ممارسة وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنـا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفهُ عليهِ السلام بها ان شاء الله

(فأصل) فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها العقل الذي منهُ ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد بلغ عليه السلام منهُ ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه يعلم ذلك من تتبع مجاري احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلمهِ وحسن شمائله و بدائع سيره وحكم حديثهِ وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وأيامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتأصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامهُ فيهـا قدوة واشاراتهِ حجة كالطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي أمي لا يعرف شيئاً من ذلك

حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمهُ وبحسب عقله كانت معارفه عليهِ السلام الى سائر ما علمهُ الله واطلعهُ عليهِ من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرتهِ وعظيم ملكوتهِ قال تعالى (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً)

(واما) الحلم والاحتمال والعفو والقدرة والصبر على ما يكرههُ فما أدب الله بهِ نبيه فقال (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وقد سأل عليهِ السلام جبريل عن تأويلها فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له (واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور) وقال (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبونَ أنْ يغفرَ اللهُ لكم واللهُ غفورٌ رحيمٌ) وقال (ولمن صبرَ وغفرَ ان ذلك لمن عزمِ الامور) وقد تضافرت الاخبار على اتصافهِ عليهِ السلام بنهاية هذه الاوصاف فما من حليم الا عرفت منهُ زلة وحفظت عنهُ هفوة ونبينا لا يزيد مع كثرة الايذاء الا صبراً وعلى اسراف الجاهل الا حلماً قالت عائشة رضي الله عنها ما خير عليهِ السلام في امرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثماً فان كان اثماً كان ابعد الناس منهُ وما انتقم لنفسهِ الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله ولما فعل بهِ المشركون ما فعلوا في أحد وطلب منهُ أن يدعو عليهم قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وحسبك في هذا الباب ما فعله مع مشركي قريش الذين آذوه واستهزؤا بهِ وأخرجوه من دياره هو

وأصحابه ثم قاتلوه وحرضوا عليهِ غيرهم من مشركي العرب حتى تمالأ عليه جمعهم ثم لما فتح الله عليه مكة ما زاد على أن عفا وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خير اخ كريم وابن اخ كريم فقال (اذهبوا فأنتم الطلقاء) وعن انس كنت مع النبي عليهِ السلام وعليه برد غليظ الحاشية فجذبهُ أعرابي برداءه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عنقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيريَّ هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك فسكت النبي ثم قال المال مال الله وأنا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك عليه السلام ثم امر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده شيئاً قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادماً ولا امرأة فصلى الله تعالى عليه وأقر عينه باتباع المسلمين سنته

(وأما) الجود والكرم والسخاء والسماحة فكان عليه السلام لا يوازي في هذه الاخلاق الكريمة ولا يباري وصفه بهذا كل من عرفه قال جابر رضي الله عنهُ ما سئل عليه السلام عن شيءٍ فقال لا وقال ابن عباس كان عليه السلام أجودَ الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيهُ جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة

وقالت خديجة في صفته عليه السلام مخاطبة له انك تحمل الكل وتكسب المعدوم وحسبك شاهداً في هذا الباب ما فعله مع هوازن من رد السبي اليها وما فعله يوم تقسيم السبي من اعطاء المؤلفة قلوبهم عظيم الاعطية وقد استوفينا ذلك في موضعه وحمل اليه عليه السلام تسعون ألفاً فوضعها على حصير واخذ يقسمها فما قام حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره ذلك عليه السلام فقال له رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالاً فتبسم عليه السلام وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت والاخبار بجوده وكرمه عليه السلام كثيرة يكفي منها لتعليمك ما ذكرناه

(واما) الشجاعة والنجدة فكان عليه السلام منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنهُ غير مرة وهو ثابت لا يبرح . ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح . وما من شجاع الا احصيت له فرة وحفظت عنهُ جولة سواه وحسبك ما فعله في حنين وأحد مما ذكرناه مستوفى قال ابن عمر ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليّ انا كنا اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون احد أقرب الى العدوّ منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدوّ وكان من أشد الناس يومئذ بأساً وقال

أنس كان عليه السلام أشجع الناس وأحسن الناس وأجود الناس
لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم عليه السلام
راجعاً قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة
عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا

(وأما) الحياء والاغضاء فكان عليه السلام أشد الناس حياء
واكثرهم عن العورات اغضاء قال أبو سعيد الخدري كان عليه السلام
أشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئاً عرفناه في وجهه
وكان عليه السلام لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحداً بما يكرهه
حياء وكرم نفس قالت عائشة كان عليه السلام اذا بلغه عن أحد
ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا بل يقول ما بال أقوام
يصنعون أو يقولون كذا ينهي عنه ولا يسمى فاعله وقالت رضي الله عنها
لم يكن عليه السلام فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً بالاسواق ولا يجزي
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح

(وأما) حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه مع أصناف الخلق فما
انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه كان عليه السلام
أوسع الناس صدراً وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة واكرمهم عشرة
وكان عليه السلام يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم
ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن أحد منهم بشره
ولا خلقه ويتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه

ان احداً أكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الخلق سواء بهذا وصفه ابن أبي هالة وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر) وقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وكان عليه السلام يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعاً ويكافئ عليها وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويلاعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وقال أنس ما التقم أحد أذن النبي يحادثه فنحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة ولم يرقط ماداً رجليه بين اصحابه حتى يضيق بها على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم بأحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام وكان أكثر الناس تبسما

واطيبهم نفساً مالم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب

(واما) الشفقة والرأفة والرحمة بجميع الخلق فقد وصفه الله بها في قوله (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) وقال (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) روى ان اعرابياً جاءه يطلب منه شيئاً فاعطاه ثم قال أأحسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فأشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل اليه وزاده شيئاً ثم قال أأحسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيراً فقال عليه السلام انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يديّ حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال عليه السلام ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انهُ رضي أ كذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيراً فقال عليه السلام مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفوراً فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وقال عليه السلام لا يبلغني أحد منكم عن اصحابي شيئاً فاني أحب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر وكان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته • وعن ابن مسعود كان عليه السلام

يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا

(واما) خلقه عليه السلام في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فروى عن عبد الله بن ابي الخمساء قال بايعت النبي عليه السلام ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدتهُ أن آتيه بها مكانهُ فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانهِ فقال يافتى لقد شققت عليّ انا هنا منذ ثلاث أنتظرك وكان اذا اتى بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة . وكان عليهِ السلام يصل ذوي رحمهِ من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم ووفد عليهِ وفد فقام يخدمهم بنفسهِ فقال له اصحابهُ نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافئهم وفي حديث خديجة أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق

(واما) تواضعه عليه السلام على علو منصبه ورفعة رتبته فكان اشد الناس تواضعاً واقلهم كبراً وحسبك انه خير بين ان يكون نبياً ملكاً او نبياً عبداً فاختار ان يكون نبياً عبداً وخرج عليه السلام مرة على اصحابه متوكئاً على عصا فقاموا فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضاً وقال انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطاً بهم

حينما انتهى به المجلس جلس وقال عليه السلام (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) وحج عليه السلام على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجاً لا رياء فيه ولا سمعة . هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه هذا مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعاً لله تعالى . وعن أبي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوازن زن وارجح ثم قال فوثب الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله قال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله

(واما) عدله عليه السلام وامانته وعفته وصدق لهجته فكان آمن الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادّوه واعداؤه وكان يسمى قبل نبوته الامين وقد قدمنا ذلك في سيرته عليه السلام قبل النبوة . وفي الحديث عنه عليه السلام ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يوم الريح يصلح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للهو والشرب ويوم الشمس للحوائج ولكن نبينا عليه السلام جزأ نهاره ثلاثة اجزاء جزء لله وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزأه بين الناس فكان يستعين بالخاصة

على العامة ويقول (ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فان من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها أمنه الله يوم الفزع الاكبر) وكان عليه السلام لا يأخذ احداً بذنب احد ولا يصدق احداً على احد

(واما) وقاره عليه السلام وصمته وتؤدته ومروئته وحسن هديه فكان عليه السلام اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من اطرافه وكان اذا جلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه محتبياً وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسماً وكلامه فصلاً لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيراً له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير . وقال ابن ابي هالة كان سكوته عليه السلام على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر . وقالت عائشة رضى الله عنها كان عليه السلام يحدث حديثاً لوعده العادّ لاحصاه وكان يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيراً ويحض عليهما ومن مروئته عليه السلام نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب (مواصل الاصابع من ظاهر الكف وباطنها)

(واما) زهده عليه السلام فقد قدمنا لك فيه ما فيه الكفاية وحسبك شاهداً على تقلله من الدنيا واعراضه عن زهرتها وقد سيقت

اليه بجذافيرها وترادفت عليه فتوحها الى ان توفى (١) عليه السلام ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عيـاله وهو يدعو ويقول اللهمّ اجعل رزق آل محمد قوتاً وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع عليـه السلام ثلاثة ايام تباعاً من خبز حتى مضى لسبيله وقالت ما ترك عليه السلام ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لى وقال اني عرض عليّ ان تجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب اجوع يوماً واشبع يوماً فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وقالت عائشة ان كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً ان هو الا التمر والماء وعن أنس ما اكل عليـه السلام على خوان ولا في سكرجـة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطاً قط وفي حديث عائشة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه أدما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحاً تثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتمولي الليلة فذكرنا له ذلك فقال ردوه

(١) قوله الى ان توفى كذا في نسخة من الشفاء وفي اخرى ان توفى بحذف الى وهو خبر قوله وحسبك والخبر على ما في الاولى محذوف فتأمل اهـ

بحاله فان وطأته منعتني الليلة صلاتي وقالت عائشة لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليهِ وسلم شبعاً قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليهِ من الغنى وان كان ليظل جائعاً يلتوي طول ليلتهِ من الجوع فلا يمنعهُ صيام يومه ولو شاء سأل ربهُ جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي رحمة له مما ارى بهِ وأمسح بيدي على بطنه مما أرى به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا ما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا اخواني من اولى العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء احب اليّ من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا اشهراً حتى توفى صلوات الله عليهِ وسلامهِ

(واما) خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه ولذلك قال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ارى مالا ترون واسمع مالا تسمعون اطت (صوتت) السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجداً لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لوددت اني شجرة تعضد وكان عليهِ السلام يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا

وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال (افلا اكون عبداً شكورا) وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى تقول لا يفطر ويفطر حتى تقول لا يصوم وقال عوف ابن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معهُ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمــة الا وقف فسأل ولا مر بآية عذاب الا وقف وتعوّذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وقال بعضهم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كأزيز المرجل وفي وصف ابن ابي هالة كان متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وعن علي رضي الله عنهُ قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال (المعرفة رأس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعــة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي) فجزاه الله من نبيّ عن امتهِ خيراً ورحم الله عبداً تأمل في هذه الشمائل الكريمة والخصال الجميلة فتمسك بها واتبع رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ليحوز

شفاعته يوم الفزع الاكبر ويرضى الله عنهُ فنسألك اللهم التوفيق لما فيهِ الخير بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين

معجزاته عليه السلام

اذا تأمل المتأمل ما قدمنــاه من جميل أثر هذا السيد الكريم. وحميد سيرهِ وبراعة علمهِ ورجاحة عقله وحلمهِ وجملة كماله وجميع خصاله وشاهــد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوَّتهِ وصدق دعوتهِ وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به كعبد الله بن سلام فانهُ قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جئتهُ لانظر اليهِ فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهــه ليس بوجه كذاب . وروى مسلم ان ضماداً لما وفد عليه قال له صلى الله وسلم (ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهد الله فلا مضلَّ له ومن يضلل الله فلا هادي له وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله) فقال له ضماد أعــد عليَّ كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك ولما بلغ ملك عمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال والله لقد دلني على هذا النبي الاميّ أنهُ لا يأمر بخير الا كان اوَّل آخذ بهِ ولا ينهى عن شيءٍ الا كان اوَّل تارك له وانهُ يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد أنهُ نبي وقال ابن رواحة

لو لم تكن فيه آيات مبينة ٭ لكان منظره ينبيك بالخبر

كيف وقد اظهر الله على يده تصديقاً لدعوته من المعجزات ما لا يفي به العد فهو اكثر الانبياء آية وأظهرهم برهاناً. وسنذكر لك في هذا الفصل من الآيات ما تقر به عينك ويزداد به يقينك مما رواه الجم الغفير من الصحابة رضوان الله عليهم وأثبته المحدثون في صحاحهم ونبدأ منها بأظهرها شأناً واوضحها بياناً وهو القرآن الشريف واعجازه (اعلم) ان كتاب الله العزيز منطوٍ على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة (اولها) حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم . بما لم يخص به غيرهم من الامم . واوتوا من ذرابة اللسان . مالم يؤت انسان . ومن فصل الخطاب . ما يقيد الالباب . جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديهاً في المقامات وشديد الخطب . ويرتجزون به بين الطعن والضرب . ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال . ويطوقون من اوصافهم أجمل من سمط اللآلي . فيخدعون الالباب . ويذللون الصعاب . ويذهبون الاحن . ويهيجون الدمن . ويجرؤن الجبان . ويصيرون الناقص كاملاً ويتركون النبيه خاملاً . منهم

البدوي ذو اللفظ الجزل . والقول الفصل . والكلام الفخم والطبع الجوهري . والمنزع القوي . ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة . والالفاظ الناصعة . والكلمات الجامعة . والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلاهما له في البلاغة الحجة البالغة . والقوة الدامغة . والقدح الفالج . والمهيع الناهج . لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم . والبلاغة ملك قيادهم . قدحوا فنونها . واستنبطوا عيونها . ودخلوا من كل باب من أبوابها . وعلوا صرحاً لبلوغ أسبابها . فقالوا في الخطير والمهين . وتفننوا في الغث والثمين . وتقاولوا في القل والكثر . وتساجلوا في النظم والنثر . فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته . وفصلت كلماته . وبهرت بلاغته العقول . وظهرت فصاحته على كل مقول . وتضافر ايجازه واعجازه . وتظاهرت حقيقته ومجازه . وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه . وحوت كل البيان مجامعه وبدائعه . واعتدل مع ايجازه حسن نظمه . وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه . وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالاً . واشهر في الخطابة رجالاً . واكثر في الشعر والسجع ارتجالاً . واوسع في الغريب واللغة مقالاً . بلغتهم التي بها يتحاورون . ومنازعهم التي عنها يتناضلون . صارخاً بها في كل حين . ومقرعاً لهم بضعاً وعشرين عاماً على رؤس الملا اجمعين

(أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) فلم يزل يقرعهم أشد التقريع ويوبخهم أشد التوبيخ ويسفه احلامهم . ويحط اعلامهم . ويشتت نظامهم . ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته . محجمون عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغتراء بالافتراء وقولهم (ان هذا الا سحر يؤثر . وسحر مستمر . وافك افتراه . واساطير الاولين) والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم (قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) والادعاء مع العجز كقولهم (لو نشاء لقلنا مثل هذا) وقد قال لهم (ولن تفعلوا) فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخافهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما القوه من فصيح كلامهم والا لم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين . واتوا اليه مذعنين . وانت اذا تأملت قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) وقوله (ولو ترى اذ

فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب) وقوله (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينهُ عداوة كانهُ ولي حميم) وقوله (وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجوديّ وقيل بعدا للقوم الظالمين) وقوله (فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليهِ حاصباً ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) واشباهها من الآي بل اكثر القرآن حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملاً كثيرة وفصولاً جمة وعلوماً زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها . وكثرت المقالات في المستنبطات عنها . ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصهُ اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها (الوجه الثاني) من اعجاز القرآن صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليهِ ووقفت عليهِ مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير

له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها او الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز لم تقدر العرب على الاتيان بواحدمنهما اذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها (الوجه الثالث) من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي أخبر كقوله تعالى (لتدخلنّ المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وقوله عن الروم (وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) وقوله (ليظهره على الدين كله) وقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً) وقوله (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) فكان جميع هذا كما أخبر فغلبت الروم فارس ودخلت الناس في الدين أفواجاً واتسع ملك المسلمين حتى كان لهم في وقت من أقصى بلاد الاندلس غرباً الى اقاصي الهند شرقاً ومن بلاد الاناضول شمالاً الى أقاصي السودان جنوباً وقوله (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فكان كذلك الى الآن والحمد لله وقوله (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فكان كذلك في بدر والآية نزلت بمكة وقوله (قاتلوهم يعذبهم

الله بأيديكم) فكان كذلك مما اطلع عليه قاريء هذه السيره وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم كقوله (ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) وقوله (يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك) وقوله (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بالسنتهم وطعناً في الدين) الى غير ذلك من الآيات البينات (الوجه الرابع) ما انبأ به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده عليه السلام على وجهه ويأتي به على نصه فيقر العالم بذلك على صحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه عليه السلام أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مجالسة لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وكثيراً ما كان يسأله كثير من اهل الكتاب عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكراً كقصص الانبياء وبدء الخلق وما في الكتب السابقة مما صدقه فيها العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها ولم يؤثر ان واحداً منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحاً ولا سقيماً من صحفه بعد ان قرعهم ووبخهم بقوله (قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) ومما يدل على ان اهل الكتاب يعلمون صدقه ما تحداهم فيه الله بقوله (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند

الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) ثم حتم عدم اجابتهم بقوله (ولن يتمنوه ابداً بماقدمت ايديهم) فما سمع عن احد منهم انه تمنى ذلك ولو بلسانه مع انهم كانوا احرص الناس على تكذيبه ومثل ذلك ما فعله اهل نجران حينما دعاهم للمباهلة فأبوا وقد قدمنا ذلك في فصل وفودهم ومما يدل على ان هذا القرآن ليس من كلام البشر الروعة التي تلحق قلوب سامعيه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفوراً ولهذا قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه اقبالاً وتكسبه هشاشة كميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقال تعالى (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) ومن وجوه اعجاز القرآن كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وقال (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) وسائر معجزات الانبياء لم يبق الا خبرها والقرآن الى وقتنا هذا حجة قاهرة ومعارضة ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعاند للشرع عتيد فما منهم من أتى بشيء يؤثر

في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح . بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه . والنكوص على عقبيه ولنختم لك هذا الباب بحديثه عليه السلام في القرآن قال (ان الله انزل هذا القرآن آمراً وزاجراً وسنة خالية ومثلاً مضروباً فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن حكم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب)

(ومن) معجزاته عليه السلام انشقاق القمر وقد قدمنا حديثه مستوفى

(ومن) معجزاته عليه السلام نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته وقد روي هذا الجم الغفير من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود قال أنس رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حانت صلاة العصر فالتمس الناس ماء للوضوء فلم يجدوه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع في الاناء يده وأمر الناس أن يتوضؤا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا عن آخرهم

فقيل كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وقال ابن مسعود بينما نحن مع النبيّ صلى الله عليهِ وسلم وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معهُ فضل ماء فأتى بماء فصبهُ في اناء ثم وضع كفهُ فيهِ فجعل الماء ينبع من بين اصابعهِ وقال جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله بين يديهِ ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كأمثال العيون قيل كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة . وروى هذه القصة جمع عظيم من الصحابة ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث بهِ لانهم كانوا أسرع شيءٍ الى تكذيبهِ لما جبلت عليهِ نفوسهم من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر عليهم احد من الناس ما حدثوا بهِ عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم لهم

(ومما يشبه هذا تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته كما ورد عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وأنهم وردوا العين وهي تلمع بشيءٍ من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيءٍ ثم غسل عليه السلام فيه وجههُ ويديهِ وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس وفي رواية ابن اسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هنا

قد ملئ جناناً وقد قدمنا ذلك في غزوة تبوك . وروى عن البراء وسلمة ابن الاكوع تكثير عين الحديبية بدعوته عليه السلام وروى ابوقتادة ان الناس شكوا الى رسول الله العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في صبنه (ما بين الكشح الى الابط) ثم التقم فمها فالله أعلم أنفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملؤا كل اناء معهم فخيل لي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلاً . ورويت قصص مشابهة لهذه عن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم في محالّ مختلفة بحيث لا يشك أحد في صدقها بعد تضافر الثقات على روايتها

(ومن) ذلك تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم روي طلحة انه عليه السلام أطعم ثمانين أو سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء بها انس تحت ابطه فأمر بها عليه السلام ففتتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول . وروى جابر انهُ عليه السلام أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان عليه السلام قد بصق في العجين والبرمة وبارك وروى أبو أيوب انه صنع لرسول الله وأبي بكر طعاماً يكفيهما فأطعم منهُ عليه السلام مائة وثمانين رجلا . وروى مثل ذلك كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن أبي بكر وسلمة بن الاكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب وأنس بن مالك رضوان الله عليهم أجمعين

(ومن) معجزاته عليهِ السلام قصة حنين الجذع قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل فكان عليهِ السلام اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد لخوازه وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوه به وفي رواية المطلب وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليهِ وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال عليهِ السلام ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم ألتزمهُ لم يزل هكذا الى يوم القيامة تحزناً على رسول الله فأمر به فدفن تحت المنبر وهذا الحديث خرجه أهل الصحة ورواه من الصحابة كثيرون ورواه عنهم من التابعين ضعفهم وبمن دون عدتهم يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب . والله المثبت على الصواب

(ومن) معجزاته عليه السلام ابراء المرضى وذوي العاهات فقد أصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها عليهِ السلام فكانت أحسن عينيهِ وأحدّهما و بصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد فما ضرب عليه ولا قاح وأصاب بن ملاعب الاسنة استسقاء فبعث الى النبي عليهِ السلام فأخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها يرى انهُ قد هزئ به فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وتقدم حديث عليّ ورمده في غزوة خيبر وغير ذلك كثير مما يعجز قلمنا عن عده ورواه ثقات

المسلمين الاعلام

(اما) ما منحه الله اياه من اجابة دعواته فروى عن أنس بن مالك قال قالت امي أم سليم يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته .قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم نحو المائة ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة فكان نصيب كل زوجة من زوجاته الاربع من تركته ثمانون الفاً وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها واحلاسها

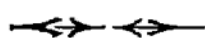
(ودعا) لمعاوية بالتمكين في الارض فنال الخلافة ودعا لسعد باجابة الدعوة فما دعا على احد الا استجيب له وتقدم دعاؤه لعمر ابن الخطاب ان يعز الاسلام به وقال لابي قتاده افلح وجهك اللهم بارك في شعره وبشره فمات وهو بن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة ودعواته عليه السلام المستجابة اكثر من ان تحصى يطلع عليها قارئ سيرتنا هذه

(اما) ما اطلعه الله عليه من علم ما لم يكن فمما سارت به الركبان فعن حذيفة رضي الله عنه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الاحدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابى هؤلاء وانه ليكون منه الشئ فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه

عرفه وما ادري أنسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك عليه السلام من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيهِ واسم قبيلتهِ وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما أعلم به أصحابه مما وعدهم به من الظهور على أعدائه وفتح مكة و بيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المرأة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزي و بفتح خيبر على يد علي في غد يومه وما يفتح الله على امتهِ من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وقد قدمنا كثيراً من ذلك في هذه السيرة وقدمنا ما في القرآن من ذلك وهذا يغنينا عن الاطالة في هذا المقام فحسبك ما سمعت

(ومما) ينير بصيرتك أيها القارئ مامن الله به على رسولنا من عصمتهِ له من الناس وكفايتهُ من آذاه قال تعالى (والله يعصمك من الناس) وقال (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) وقال (أليس الله بكاف عبده) وقال (انا كفيناك المستهزئين) ولما نزل (والله يعصمك من الناس) صرف حجابه وقال انصرفوا فقد عصمني الله وقد قدمنا حديث دعثور وارادتهِ قتل النبي عليـهِ الصلاة والسلام وعصمة الله لنبينا وذكرنا كثيراً مما حصل من أبي جهل لما أراد بالرسول المكايد فكفاه الله شره ومما من الله به عليـهِ ليلة الهجرة وحديث سراقة في الطريق وعلى الجملة فيكفينا من هذا الباب انهُ عليهِ السلام مكث بين

أعداء الداء بمكة ثلاث عشرة سنة وبين مشابهيهم من المنافقين واليهود عشر سنين فما تمكن أحد من ايصال اذى اليهِ صلى الله عليهِ وسلم بل كفاه مولاه شر أعدائه حتى اظهر الدين وتممهُ والحمد لله حمداً يوافي نعمهُ ويكافئ مزيده ونسأله ان يوفق قارئي هــذه السيرة الى اتباع رسول لله صلى الله عليهِ وسلم وعلى اصحابه وانصاره



تقريظ

قد اطلع على كتابنا هذا حضرة الكاتب الاديب والشاعر البليغ الشيخ عبد العزيز جاويش المدرس بالمدرسة الناصرية فقال مقرظاً له

حمد الله تعالى حياطة آلائه . وشكره اجلال سيد أنبيائه وما طويت صحائف الصدور على احسن حديثاً من كتاب الله القويم . ولا طرقت المسامع بأجمل من سيرة نبيه الكريم . ولقد أطنب بعض واضعي السير . واتى من الاوضاع ما لا يحتمله الخبر . ظناً منهُ ان الفرية تقيد من تكفل الحق تعالى باطرائه . واعلائه فوق سمائه . وقلما سلم راوية من قيل عليل . أو أمن نسب من دعى دخيل ونبيّ بلغ شأو العلو . غنى وربك عن الغلو . فما حاجة الاسد الى السلاح المدجج . او الغانية الى اللباس المدبج . وما الغلو بهائض ولا جابر . ولا خاذل ولا ناصر . ان كان باريهِ هو يده التي يبطش بها وعينه التي

يبصر بها خَلَقَهُ فأحسن خُلُقَهُ وأدبهُ فأحسن تأديبهُ ثم تولى حياطته وتقبل يوم الفزع شفاعته . ولا ريب ان ميدان السير كثر جواله فما جلى ولا صلى . ولكن جهد وتولى . وبحر الرواية كثر خائضه فما قطع ولا رجع وكثير من رواة العجم ذهبوا غباديد • وجاسوا خلال ديارهم عرابيد • حتى وطنوا العاقل على الريب من أنبائهم وخدعوا الجاهل بصبغة طلائهم • وبديهيّ ان قصارى الشبع الكظة وأوشكت الشهامة ان تكون غلظة • وما زالت الاحقاب تسدل على ذلك سياجها . وتغلق دون طالبه رتاجها . حتى قيض الله قيد أوابدها وماتح مواردها . حضرة الفاضل الشيخ محمد الخضري فقد خاض عبابها . واقتحم قفرها ويبابها . لم يلهه عن وجهته روع ولم تثنه عتمة ذلك السبيل حتى تنور (بنور اليقين) غيابة ذلك الجب . وتوكا على تكأة عناية الله في تذليل هذا الامر الصعب . ففل بمشحوذ غراره كل حديد . وأجلب في تلك الملاحم حتى وهن عن كفاحه كل جليد . وسعى في أثر تلك الشوارد حتى شكر الله سعيه . واعتمد صحاح الاخبار وأنعم فيها رأيه . فتجلت بتنقيبه خفايا الحقائق حاسرة . ووجوه الدقائق ناضرة . وتقض بمعول فكره ما اصطنعته السحرة الاولون . والقى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون وقد تصفحت كتابه الجليل . فاذا هو خلو من الدعيّ والدخيل . جمع الى تحري الصدق صدق التحري . والى جزالة المعنى وجازة الالفاظ والى الافتنان في اساليبه سلاسة العبارة ومن عرف جامع شتاته ومبدع

آياته وابصر منه تلك الذلاقة والحذاقة والبراعة والبلاغة ركنت نفسه لما نسجته قريحته الوقادة . وفكرته النقادة . وفقه الله تعالى الى ما فيه خير العمل . وافسح له في رقعة الاجل . حتى يصون العلم ببذله . ويمتع الناس بفضله آمين

ولما تم طبعهُ أرخهُ حضرة الفاضل الاديب الشيخ محمد حامد فقال

يا معشر الاسلام هذى سيرة　　لبست بذكر محمد ثوب البها

لما بدت بالطبع قلت مؤرخاً　　بالسيرة النبوية الدين ازدهى

سنة ١٣١٥



فهرست كتاب نور اليقين . في سيرة سيد المرسلين



كتاب

حاضر المصريين

أو

سر تأخرهم

يطلب من مكتبة المعارف باول شارع الفجاله بمصر

وثمنه خمسة عشر قرشاً صاغاً



تاريخ السودان { تأليف عزتلو نعوم بك شقير ثلاثة اجزاء
في مجلد واحد عدد صفحاته ١٢٢٨
ثمنهُ ستون غرشاً صاغاً وأجرة البريد ٨

الفوائد الادبية
في
اللغتين الفرنساوية والعربية

تأليف

يوسف بك يعقوب حبيش

هو القاموس الذي اقبلت عليه النظارات المصرية وفي مقدمتها نظارة المعارف العمومية الجليلة التي اعتمدته وقررت استعماله في مدارسها العامرة والمجمع العلمي المصري وسائر الدوائر الاميرية والمجمع العلمي الفرنساوي الذي خصصهُ بثناء طيب معترفاً بأهميتهِ

ونظراً لرواجه ونجاحه العظيم أعيد طبعه ثانيةً مصححاً ومضافاً اليهِ عددٌ كثير من المصطلحات العلمية والفنية والصناعية التي تتجدّد كل يوم مع تجدّد العلوم والفنون والصنائع فجاء بألف صفحة متقن الطبع على ورق جميل

وفي الجملة فان هذا القاموس لم ينسج على منواله بالنسبة لكثرة
خصوصاً لتلامذة المدارس ومستخدمي المصالح الاميرية

وتسهيلاً لاقتنائه قد جعلنا ثمنهُ ثلاثون غرشاً صاغاً وتنقيص ٢٠
يأخذ كمية لا تقل عن عشرين نسخة

وهو يطلب من مكتبة المعارف بأول شارع الفجاله بمصر

